الدكتور ابراهيم يوسف السيد

أبو زيد الأنصاري

وأثره في دراسة اللغة

الناشر : عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الرياض الرياض

١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو زيد الأنصاري

وأثره في دراسة اللغة

الدكتور إبراهيم يوسف السيد

الاستاذ المساعد بمعهد اللغة العربية بجامعة الريـاض

الناشر : عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الرياض ـ الريـاض
ص.ب : ٢٤٥٤ الرياض ـ المملكة العربية السعوديـة

أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة من المؤلف بعنوان :

« أبو زيد الأنصارى وأثره في دراسة اللغة »

للحصول على درجـة الماجستير في اللغة العربية من جامعة القاهرة · وقد منح الدرجة من قبل مجلس الجامعة بتقدير ممتاز بتاريخ ٢/٤/١٩٧٥م ·

الطبعة الأولى ١٩٨٠م ·

مطابع جامعة الرياض

الإهداء

الى التي منحتني الحب كلّه ...

وغرست في نفسي طلب العلم ...

وكانت دعواتها مشعلا يضيء طريقي ...

الى روح أمي الطاهرة

أهدى هذا الكتاب وفاء لذكراها

المؤلف

المقدمة

أحمد الله ، وأصلي وأسلم على نبيه أشرف الخلق ٠٠٠ وبعد

فقد كانت العربية ـ منذ وجدت ـ عزيزة على أهلها ، فنالت عنايتهم ٠ ثم أكرمهم الله بالقرآن الكريم ، أنزله بها ، فأعلى شأنها وزادها في النفوس عزة وتقديسا ٠

حظيت العربية بعلماء بررة أخلصوا لها ، وأقبلوا عليها ، وبذلوا في سبيلها جهودا مضنية ومتواصلة تستحق منا كل اجلال واكبار ، وكان لعلماء السلف في ميدانها أعمال رائعة بقيت شاهدة لهم بالفضل على مر الزمن ٠

لكنهم ـ على أي حال ـ أضاعوا كثيرا من الفائدة المرجوة من هذه الأعمال ، بسبب اقبالهم على اقحام المنطق في دراساتهم اللغوية ، وبسبب تعدد مذاهبهم وكثرة اختلافهم في المسألة الواحدة ، على نحو أدى الى تعقيد المسائل اللغوية ، والى صعوبة تناولها على كثير من الدارسين ٠٠٠ فكثر المنادون بالتيسير والاصلاح الى يومنا هذا ٠

وفي رأينا أنه لا سبيل الى تيسير سليم أو تجديد قويم الا بدراسة آثار السلف دراسة واعية . والوقوف على آرائهم ومناهجهم ، ومعرفة مواطن القوة والضعف عندهم حتى نتمكن من الاهتداء بهديهم وتجنب عثراتهم ٠

وتاريخ العربية يظهر أن القرن الثاني الهجري شهد نشاطا ملحوظا من جانب علماء العربية لجمع مفرداتها والوقوف على أسرارها ٠

وقد وقع اختيارنا على عَلَم كبير من أعلام العربية في تلك الفترة ، وهو أبو زيد الأنصاري ٠ وقد رأينا أن نقصر بحثنا على ناحية معينة من نواحي حياته العلمية ، فكان « أبو زيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة » موضوع البحث الذي نتعرض له الآن ٠

ونستطيع أن نوجز الأسباب التي دعتنا الى اختيار هذا الموضوع بما يلي :

١) أن أبا زيد أمضى سنوات عمره المديد في خدمة العربية ، وكان ذا شخصية فذة تستحق الدراسة ٠

٢) وأنه كان يتميز بين علماء عصره البصريين بنهج مستقل وتفكير حر ، فقد انفرد بينهم بالأخذ عن الكوفيين ٠

٣) جهوده في تيسير النحو العربي ٠

أما منهج البحث فيتلخص في الاعتماد على آثار أبي زيد ـ ما أمكن ـ في استخلاص آرائه واتجاهاته ، ثم البحث عن نصوص أخذت من الكتب ومقارنتها بما جاء فيها من أجل توثيقها ٠

وقد واجهتنا في هذه الدراسة صعوبة الكشف عن آراء أبي زيد نظرا لضياع غالبية مؤلفاته ، مما اضطرنا الى بذل جهود مضنية للبحث عن هذه الآراء في أمهات كتب العربية القديمة ، وفي مظانّها الأخرى ، فقد قمنا بجمع رواياته في معجم لسان العرب ٠

كما واجهتنا صعوبة الحصول على كتبه **الثلاثة الموجودة** لاقتنائها وهي : كتاب **الهمز** وكتاب **المطر** وكتاب **اللبا واللبن** ، فقد تطلّبتها في المكتبات فلم أعثر عليها ، لذلك قمنا بتصوير هذه الكتب في الجامعة اليسوعية في بيروت عن النسخ الموجودة فيها ، محتفظين بالنسخ المصورة ٠

وأما مصادر الدراسة فكثيرة منوعة منها المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها من أجل رسم صورة للعصر الذي عاشه أبو زيد ٠

ومنها كتب التراجم والطبقات بعامة وتراجم النحاة واللغويين وطبقاتهم بخاصة ، حيث اعتمدت عليها في التعرف على حياته وعلى شيوخه وتلاميذه ٠

وكان من مصادرنا الأصيلة بعد ذلك كتب اللغة والنحو بعامة وكتب أبي زيد بخاصة ٠

وقد أدت طبيعة البحث الى أن يكون في بابين سبقا بتمهيد أوجزت فيه الحديث عن بيئة أبي زيد العامة (العصر العباسي الأول) من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية ، وقد تبع ذلك صورة لبيئة أبي زيد المكانية ـ البصرة ـ (في القرن الثاني وأوائل الثالث) ، حيث وجهت عناية خاصة للحديث عن حياة البصرة العلمية في عصر أبي زيد ، فقد ازدهرت الحركة العلمية فيها نظرا لتمازج الثقافات اثر اتساع الترجمة وتشجيع الخلفاء للقائمين عليها ، وقد ظهر الى جانب هذه الثقافة الواردة الثقافة العربية الأصيلة في سوق المربد الذي لعب دورا خطيرا في الحياة الأدبية العلمية في البصرة ٠

أما **الباب الأول** فقد تناولت فيه أبا زيد ، وقد جاء في **فصلين** ، خصصت **الأول** للحديث عن حياته وصفاته ، وقد لوحظ خلط عجيب في روايات نسبه ، لأجل ذلك قمت بمناقشة هذه الروايات مرجحا أصحها وأوثقها ، كما لاحظت اختلاف الروايات في سنة وفاته فوثقت أصدقها ، أما صفاته فقد تخيرنا منها ما له علاقة بحياته العلمية ٠

وعقدت **الفصل الثاني** للحديث عن ثقافة أبي زيد ومنزلته العلمية ، فذكرت روافد هذه الثقافة مبرزا الحديث عن اثنين من شيوخه أحسب أن أثرهما فيه أكثر من غيرهما ، ثم انتقلت في هذا الفصل للحديث عن تلاميذه ، فذكرت بعضهم وخصصت ثلاثة منهم بابراز أثر أبي زيد فيهم ، وقد أوضحت في هذا الفصل اتجاه أبي زيد المذهبي ، ودفعت عنه التهم المنسوبة اليه مبينا أن أبا زيد كان من أهل السنة والجماعة وأنه لم يكن من ذوي الأهواء ، وختمت هذا الفصل بابراز منزلة أبي زيد العلمية وأقوال العلماء فيه ٠

أما **الباب الثاني** فقد وقع في **ثلاثة فصول** :

الأول في آثاره التي جاوزت الخمسين كتابا ، وقد فصّلت الحديث في الموجود منها ، فوثقته من الناحية التاريخية والمنهجية ومن ناحية النصوص ، أما الكتب المفقودة فقد تحدثت عنها بقدر ما أسعفتنا المراجع ·

والثاني : (أبو زيد والدراسات الصرفية والنحوية) وقد أفضنا الحديث فيه عن اتجاهه في الصرف والنحو وعرضنا لنزعته البصرية ثم لنزعته الكوفية فمظاهر استقلاله ، وانتهينا الى أنه من واضعي بذور المدرسة البغدادية ثم تكلمنا عن جهوده في تيسير النحو العربي وسقنا الشواهد التي تجمعت لدينا في ذلك ·

والثالث : (أبو زيد والثروة اللفظية) تحدثنا فيه عن اتجاهه في الثروة اللفظية فبيّنا نزعته البصرية والكوفية ومظاهر استقلاله ، واستعرضنا خلال ذلك نماذج من احتجاجاته · ثم تكلمنا عن جهود أبي زيد في الثروة اللفظية فأوضحنا أثره في الدلالة والمعجم والنوادر ·

وجعلنا للبحث خاتمة لخصنا فيها عملنا وأبرزنا النتائج التي توصلنا اليها ·

ولسنا ندعي أننا بلغنا درجة الكمال في هذا البحث ، وأنه سيكون مبرءا من العيوب ·

والله نسأل أن يأخذ بيدنا لما فيه خير لغة الضاد انه سميع مجيب ·

ابراهيم يوسف عبد القادر السيد

المحتويات

تمهيد

أولا : بيئة أبي زيد العامة :

الحياة السياسية والاجتماعية والعلميـة فـي العصر العباسى الأول ٠

ثانيا : البصرة في عصر أبي زيد :

من الربع الثاني من القرن الثانـي الهجري الى أوائـل القرن الثالث ٠

اولا : بيئة ابي زيد العامة

الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في العصر العباسى الأول

كنت قد أعددت وصفا تفصيليـا للأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية في العصر العباسى الأول ، ولكني خشيت أن تطول الرسالة ، فعدلت عما كنت قد ذهبت اليـه ، مكتفيـا بتقديم هـذا الموجز ٠

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس ، مما أدى الى زيادة نفوذهم وتقليص نفوذ العرب ، وقد شهد العصر محاولتهم احكام سيطرتهم على الدولة ، لكن وجود خلفاء أقوياء كالمنصور والرشيد فوّت عليهم تحقيق غرضهم عن طريق السياسة . فعمـدوا الى نشر نحلهـم القديمـة كالراونديـة والخرمية والزندقة ٠

تميز هذا العصر من **الناحية السياسية** بالمؤامرات والمكايد ، فقتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني ، ونكب الرشيد البرامكة ، كما تميز بثورات الشيعة والخوارج التي ظلت متأججة طوال العصر ٠

أما **الحياة الاجتماعية** في العصر العباسى الأول فقد امتازت بتعايش المتناقضات فيه ، حيث امتلأت خزائن الدولة بالأموال ، وأغدقها الخلفاء على كل من يحف بهم من القواد والوزراء والولاة والعلماء والشعراء والمغنيين ، فأدى ذلك الى حياة الترف والنعيم واللهو ، لكنه كان على حساب الطبقة المحرومة من عامة الشعب التي قاست من شظف العيش وبؤس الحرمان ٠

وقد ساعدت الحرية المسرفة في الحياة العباسية قوما من الناس على أن يفرطوا فـي اللذائذ فانتشر المجون المقترن بالغناء والخمر ، وكثرت الجواري ، كما انتشرت مجالس المنادمة والطرب وكانت الحياة لاهية لاعبة حتى ان بعضهم أطلق العنان لنفسه في ارتكاب الآثام ، وزخر المجتمع بزنادقة وملاحدة ، فتنبه لهم المهدي وتتبعهم ٠

ليس معنى هذا كله أن الحياة العباسية كلها كانت لهوا ومجونا ، بل اقتصر ذلك على فئة من المجتمع انغمست فيه على حين انتشرت المساجد التي كانت تغص بالعبّاد وأهل التقوى والصلاح ، وظهر الزهّاد يدعون الناس الى التمسك بأهداب الدين ، والوقوف في وجه التيار الجارف ، فنشأ الزهد وامتلأت بأخباره كتب الطبقات والتراجم فيما بعد ٠

خلاصة القول في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول : أنها قد جمعت في طياتها الأغنياء المرفهين كما جمعت الفلاحين الكادحين ، وظهرت حياة اللهو الى جانب حياة الجد ، وحياة الايمان الى جانب حياة الزندقة ٠

أما **الحركة العلمية** في العصر العباسي الأول فقد ازدهرت ازدهارا عظيما لم تشهده من قبل، بسبب تمازج الثقافات ، وتشجيع الخلفاء واكرامهم للعلماء والأدباء ، واغداقهم الأموال لهم وكان بعض الخلفاء على جانب كبير من العلم ، كالرشيد والمأمون ، فكان ذلك دافعا للحركة العلمية ، حيث عقدت مجالس المناظرة في قصور الخلفاء ، وكانت حافزا للعلماء على البحث والنظر ٠

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن بيئة أبي زيد العامة ، لننتقل الى الكلام عن بيئته المكانية ـ البصرة ٠

ثانيا : البصرة في عصر أبي زيد

من الربع الثاني من القرن الثاني الهجري الى أوائل القرن الثالث الهجري

أبو زيد الأنصاري بصري المولد والمنشأ والوفاة ، وقد عاش في البصرة في عهد شبابها لم يكد يغادرها الا ما ندر ، فلا بد والحالة هذه أن ندرس أحوال البصرة لنكشف مدى أثرها في تكوين شخصية صاحبنا ٠

أما أحوالها السياسية والاجتماعية فينطبق عليها ما قلناه عن العصر العباسي الأول ، ولذلك نكتفي به مجنّبين أنفسنا التكرار الممل ونضيف على الحياة السياسية فيها أن البصرة شكلت حزبا معارضا للدولة ، الا أنه حزب مفكك في ما بينه وبين نفسه ، وقد أخذ شأن البصرة يتناقص تدريجيا بعد أن بنى المنصور مدينة بغداد ٠

لكن الأمر يحتاج الى تفصيل في حياة البصرة العلمية لما في ذلك من نفع كبير للدراسة التي نقوم بها ، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية :

تمتعت البصرة بموقع جغرافي ممتاز جعلها محطة للقوافل التجارية وبذلك كانت ملتقى للنزعات المتعددة والثقافات المختلفة ، كما أتاحت الى جانب ذلك للبصريين أن يتنقلوا بين الأقطار المختلفة ، فيتصلوا بشتى الثقافات ويشهدوا مختلف الحضارات ، فتتأثر عقولهم وأخيلتهم ، وتتسع مداركهم ومثلهم ، وبذلك تم للبصرة ذلك المزاج العقلي الذي يتالف من سعة الأفق وشدة التطلع وحرية الرأي وسرعة الذكاء وصفاء القريحة وحب المنافسة والمغالبة [١] ٠

وعلى الرغم من تعدد جنسيات السكان في البصرة فقد تمازجوا ونشأت بينهم رابطة بلدية قوية صهرتهم في بوتقة واحدة ، جعلت الأحنف بن قيس التميمي يخاطب بعض أهل البصرة قائلا : « أنتم والله أحب الينا من تميم الكوفة » [٢] ٠

---

١) **الجاحظ حياته وآثاره** / ٢٦ تاليف الدكتور طه الحاجري ، ط مصر ١٩٦٢م ٠

٢) **الكامل** ١٤١/١ تاليف المبرد ، تعليق محمد أبو الفضل ابراهيم وزميله ، ط دار نهضة مصر ٠

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التمازج السكاني أن يتبعه امتزاج في الثقافات ، وهكذا اتصلت الثقافة العربية في البصرة بثقافات الأمم الأخرى من هندية وفارسية ويونانية مما كان له أطيب الأثر في ازدهار الحركة العلمية .

وقد أفاد أبو زيد الأنصاري من هذه الثقافات ، وبرز أثر ذلك عنده في معرفته التي لا نعرف مداها بالفارسية والعبرية والنبطية على نحو ما سنشير اليه في ثقافته [1] .

واتخذ هذا المزج بين الثقافات صورا أهمها الترجمة التي أخلص الناس لها وتابعوا حركتها ، واهتموا بكل كتاب وقع تحت أيديهم ، واشتهر في البصرة من المترجمين ابن المقفع ومَنْكَة الهندي وماسرجويه وابنه عيسى .

وأخذت هذه الكتب المترجمة مكانا ظاهرا في الحياة العقلية مما كان له أثره البعيد في هذه الحياة .

والى جانب هذه الثقافة الواردة كانت هناك الثقافة العربية الصحيحة في سوق المربد .

لعبت هذه السوق دورا خطيرا في الحياة الأدبية العلمية في البصرة فكان لا بد لكل متأدب أن يتردد عليها يتلقى فيها اللغة مشافهة عن الأعراب ، روى عن الأصمعي أنه قال : « جئت الى أبي عمرو بن العلاء فقال لي : من أين أقبلت يا أصمعي ، فقلت جئت من المربد ، قال هات ما معك فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي ، فمرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو وقال : شمَّرت في الغريب » .

بل لقد وجد الأدباء أن من شروط اجادتهم اتصالهم بعرب المربد فقد روى عن الجاحظ أنه تلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد [2] .

هكذا انتفع علماء اللغة بترددهم على السوق ، **وبطبيعة الحال لن يفوت أبا زيد المتعطش للعلم والمعرفة التردد على هذا السوق والافادة من حياته الأدبية والعلمية** ، ومشافهة الأعراب الفصحاء فيه. فقد عثرنا في مصنفاته على أسماء عدد من هؤلاء العلماء والفصحاء [3] .

وكان أن شهدت البصرة في مراحلها الأولى **رحيل عدد من الصحابة** [4] **اليها قامت على أكتافهم حركة دينية ولغوية** أتت كلها وأينعت في هذا العصر .

بذلك اتسعت الثقافة وأوسعت المدينة صدرها لكل ما يزخر به العالم من آراء ومذاهب الى أن صارت من أخطر البيئات العقلية ، يضاف الى ذلك ما امتازت به البصرة من ميل للنقد والتمحيص ، وشغف بالجدل والمخاصمة وتمتع بقسط كبير من حرية الرأي ... أدى كل ذلك الى انتشار مجالس الجدل والمناظرة .

ولعل تصوير هذه الخصومات خير ما يمثل لنا الحياة العقلية في البصرة ، وأصدق ما يعبر عن حيويتها الفياضة المتدفقة .

امتازت هذه المجالس بأنها لم تقتصر على فئة معينة ، وكانت في أكثر الأحيان مجالس عامة يختلف اليها الناس ، وبذلك زاد الانتفاع بها .

---

١) انظر البحث ص ٢٥ وما بعدها .

٢) معجم الأدباء ١٦/٧٥ تأليف ياقوت ، ط مصر سنة ١٩٣٦م .

٣) انظر البحث /٧٦

٤) انظر تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٦ ، ط بيروت سنة ١٩٦٠م .

ولا نشك في أن يكون أبو زيد قد شارك بشكل من الأشكال في هذه المجالس وأن يكون قد افاد منها .

أما المساجد فمجالسها وحلقاتها العلمية أكثر من أن تعد ويزيدها أهمية أن الخلفاء والأمراء كانوا يحضرون حلقاتها الى جانب عامة القوم ، يروى الزجاجي أن الرشيد حين نزل البصرة قصد مسجدها الكبير وجلس الى حلقة يونس بن حبيب.

وظهر في الفترة رواد أخلصوا للعلم واتصفوا بالصبر في طلبه ، وبذلوا حياتهم في الارتحال من أجل تقدمه والنهوض به ، فكان ذلك عاملا من عوامل ازدهار الحركة العلمية الأدبية في البصرة .

وقد احتل هؤلاء مكانة عظيمة وطافت بشهرتهم الآفاق وأخذت تشد اليهم رحال الطلب من جميع الوجوه لان لهم من الأدب المكان الذي لا يرقى اليه .

وأكثر من ذلك فقد طلبهم الخلفاء والولاة والحكام الى جانبهم ، وبالغوا في اكرامهم وأشركوهم في حلّهم وترحالهم ، وجدّهم ولهوهم وأغدقوا عليهم الأموال .

وكانت هذه المكانة الاجتماعية التي حصل عليها العلماء دافعا لهم على مواصلة العلم وباعثا على ازدهار الحركتين الأدبية والعلمية في البصرة.

ولم تنته هذه الفترة حتى خلفت لنا أمثال الخليل وسيبويه وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي والجاحظ والمازني .

ويقول الذهبي [1] انه كثر منذ عام ١٤٣هـ تدوين العلم وتبويبه ، ودوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة .

وقد أثرى أمثال هؤلاء العلماء المكتبة العربية بكثرة مؤلفاتهم .

كما اقترنت حركة العلم وتدوينه في هذا العصر بنشاط مصانع الورق وكثرتها ورخص أثمانها ، مما دفع الحركة العلمية قدما الى الأمام ،وما كان ذلك ليكون لو ظلت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة أو الغلاء .

ومن المفيد ان نذكر هنا ان ابا زيد قد افاد من نشاط صناعة الورق ورخص اثمانها وظهر اثر ذلك في كثرة مصنفاته ، وما كان ذلك ليتحقق له لو بقيت ادوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة وارتفاع الأسعار .

وكان من ثمار هذا التقدم في صناعة الورق انتشار دكاكين الورّاقين التي كانت مصدرا من مصادر انتشار الثقافة .

بقي أن نقول : انّ النشاط العلمي في البصرة كان يسير في اتجاهين ، ويصدر عن مصدرين مختلفين ، فمن فنون العلم ما كان يصدر عن النقل والرواية كالحديث واللغة والأخبار ومنها ما كان يعتمد على العقل والموازنة والاستنتاج كالكلام والنحو .

وقد تأثر أبو زيد في منهجه بالاتجاهين على نحو ما سيتبين لنا في اتجاهه المذهبي [2] .

---

١) تاريخ الخلفاء /١٠١ تاليف جلال الدين السيوطي ، ط مصر سنة ١٣٠٥هـ

٢) انظر ص ٤٢ وما بعدها .

أبو زيد الأنصاري

● أبو زيد : حياتـه وصفاتـه ● ثقافـة أبي زيد ومنزلته العلميـة

أبو زيد: حياته وصفاته

● نسب أبي زيد ● ميلاده ونشأته ● وفاته ● ضعف العصبية البلدية عنده ● التقعّر في اللغة ● الصدق

نسب أبي زيد

أبو زيد الأنصاري هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ٠

وقد أوردت كتب التراجم والطبقات نسب أبي زيد في روايات متعددة وخلط غريب سوف نتبينه في الصفحات التالية حيث سنعرض لمناقشة هذه الروايات لترجيح أصدقها وأصحها وقد صنفنا ما ورد في **اربع روايات** على الوجه الآتي :

الرواية الأولى

تقول : أبو زيد صاحب العربية هو عمرو بن عزرة بن أخطب بن محمود بن رفاعة بن بشر ابن عبد الله بن الضيف بن الأحمر بن القيطوم بن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن امرىء القيس بن الحارث بن عامر بن ماء السماء ، دخلوا في الأنصار ٠

وأقدم من ذكر هذه الرواية من المؤرخين الزبيدي [١] (ت ٣٧٩هـ) ثم تبعه ابن حزم [٢] الأندلسي ، وابن قاضى شهبة [٣] ٠

وقد حدث تحريف في نقل الرواية حيث ذكر ابن حزم (الفطيون) بدل (القطيوم) التي ذكرها الزبيدي ٠

وذكر ابن حزم في نهاية النسب « الحارث بن عمرو مزيقياء » في حين ذكر الزبيدي «الحارث ابن عامر بن ماء السماء » ٠

---

١) انظر **طبقات النحويين واللغويين** /١٨٢ تاليف الزبيدى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط مصر الاولى ٠

٢) انظر كتاب **جمهرة انساب العرب**/٢٧٣ تاليف ابن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢م ٠

٣) انظر **طبقات النحاة واللغويين** /٣٤٩ تاليف الامام ابن قاضي شهبه ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ٢١٤٦ تاريخ٠

وقد خطّأ ابن حزم هذه الرواية ، كما أبدى الزبيدي شكه فيها · والرواية منسوبة الى ابن الكلبي وهو متهم بالفساد [١] ومعروف بالوضع [٢] ·

ومن أجل ذلك كلّه ضعفت الرواية في نظرنا ·

الرواية الثانية

تقول : أبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت بن العتيك بن حرام بن محمود بن رفاعة بن بشر ابن الضيف بن الأحمر بن القيطوم بن عامر بن ثعلبة بن حارثة الأنصاري ·

ذكر هذه الرواية من المؤرخين الزبيدي [٣] وابن حزم [٤] وابن قاضي شهبه [٥] وأبو المحاسن اليمني الشافعي[٦] ·

وقد حدث بعض الاختلاف أيضا في هذه الرواية فقد ذكر الزبيدي وابن قاضي شهبه (القيطوم) بدل (الفطيون) وزادا (العتيك) ·

وفي حين توقف أبو المحاسن اليمني في ذكر النسب عند : « الأحمر بن الفطيون » والزبيدي وابن قاضي شهبه عند « ثعلبة بن حارثة » انفرد ابن حزم فزاد في النسب حتى ذكر (الحارث بن عمرو مزيقياء) ·

والذي يعنينا انهم جميعا لم يذكروا مصدر هذه الرواية ولم ينسبوها لأحد من الرواة ، ومن أجل ذلك لا نطمئن اليها ·

الرواية الثالثة

تقول : هو سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج ·

ذكر هذه الرواية من المؤرخين ابن مكتوم [٧] وابـن خلكـان [٨] وابو بكر الخطيـب [٩] البغدادي وباقر محمد الموسوي [١٠] الأصبهاني والقفطي [١١] ·

---

١) **البيان والتبيين** ٣/٣٦٧ تاليف ابي عثمان الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ، ط مصر الثالثة ١٩٦٨م
٢) **ضحى الاسلام** ١/١٨ تاليف احمد امين ، الطبعة السابعة ، مصر ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٣م ·
٣) **طبقات الزبيدى** /١٨٢ ·
٤) **جمهرة انساب العرب** ـ ابن حزم/ ٣٧٣ ·
٥) **طبقات النحاة واللغويين** ـ ابن قاضي شهبه / ٣٤٩ ·
٦) انظر **اشارة التعيين** /٣٧ تاليف ابي المحاسن عبد الباقي اليمنى الشافعي ، مخطوط بدار الكتب المصرية ١٦١٢ تاريخ ·
٧) **تلخيص اخبار النحويين واللغويين** / ٤١ تاليف ابن مكتوم ، مخطوط بدار الكتب المصرية ٢٠٦٩ تاريخ ·
٨) **وفيات الاعيان** ٢/١٢٠ تاليف ابن خلكـان تحقيق محمد محيي الدين ، ط مصر ١٩٤٨م ·
٩) **تاريخ بغداد** ٩/٧٧ تاليف الخطيب البغدادى ، ط السعادة بمصر ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م ·
١٠) **روضات الجنات** /٣١٢ تاليف باقر محمد الموسوى ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٦٧هـ ·
١١) **انباه الرواة** ٢/٣١ تاليف القفطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢م ·

وكفانا كل من البغدادي [١] والقفطي [٢] رد هذه الرواية فقد عقبا عليها بقولهما : « كذا جاء نسب أبي زيد في هذه الرواية وفيه اخلال ».

الرواية الرابعة

تقول : هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

وقد ذكر هذه الرواية : محمد بن سعد [٣] صاحب **الطبقات الكبرى** والبغدادي [٤] وابن خلكان [٥] والذهبي [٦] وياقوت [٧] وابن الجزرى [٨] والشيخ محمد بن علي الداودي [٩] والسيوطي [١٠] والمزرباني [١١] .

ونحن نرجح هذه الرواية ونعتمدها وذلك لما يلي :

اولا : ان هذه الرواية منسوبة الى محمد بن سعد وهو ثقة صدوق [١٢] قال عنه الخطيب البغدادي [١٣] : « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فانه يتحرى في كثير من رواياته » .

ووثقه أيضا ابن حجر قال عنه [١٤] : « أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين » .

ثم انه فوق ذلك كان على صلة بصاحبنا تتلمذ على يديه وروى عنه مما يجعل معرفته به تامة .

وهو أقدم من ذكر الرواية من المؤرخين توفي سنة ٢٣٠هـ ، وكان قد أنهى تاليف كتابه الطبقات الكبرى الذي أورد فيه نسب أبي زيد .

ثانيا : ومما يقوي هذه الرواية في نظرنا ما رواه البلاذري ـ وهو ممن عاصر أبا زيد ـ وهو يذكر اسم أبي زيد الأنصاري الجد الثالث لشيخنا عندما أرسله الرسول عليه السلام الى عمان، قال البلاذري [١٥] : « وقال بعض البصريين : اسمه عمرو بن أخطب جد عزرة بن ثابت بن عمرو بن أخطب ، وقال سعيد بن أوس الأنصاري : اسمه ثابت بن زيد » .

---

١) **تاريخ بغداد** الخطيب البغدادى ٧٧/٩
٢) **انباه الرواة** القفطي ٣١/٢
٣) **الطبقات الكبرى** ٢٧/٧ تاليف محمد بن سعد ، ط بيروت ١٩٥٨م .
٤) **تاريخ بغداد** الخطيب البغدادى ٧٧/٩
٥) **وفيات الاعيان** ابن خلكان ١٢٠/٢
٦) **تاريخ الاسلام** ٧٩/١١ تاليف الذهبي ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .
٧) **معجم الادباء** ياقوت ٢١٢/١١ .
٨) **غاية النهاية في طبقات القراء** ٣٠٥/١ تاليف ابن الجزري ، نشر برجستراسر ، ط مصر ١٩٣٢م .
٩) **طبقات المفسرين** /٧٧ تاليف الشيخ محمد بن علي الداودي . مخطوط بدار الكتب المصرية ١٦٨ تاريخ .
١٠) **بغية الوعاة** ٥٨٢/١ تاليف السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى مصر ١٩٦٤ .
١١) **نور القبس** /١٠٤ اختصار أبي المحاسن اليغموري تحقيق رودلف زلهايم . بيروت ١٩٦٤م .
١٢) **وفيات الاعيان** ابن خلكان ٤٧٣/٣
١٣) **تاريخ بغداد** الخطيب البغدادى ٣٢١/٥
١٤) **تهذيب التهذيب** ١٨٢/٩ تاليف ابن حجر ، الطبعة الأولى حيدر آباد ١٣٢٦هـ .
١٥) **فتوح البلدان** ٩٢/١ تاليف البلاذرى نشر د. صلاح الدين المنجد ، مصر ١٩٥٦م .

وهذا كلام يرويه البلاذري عن صاحبنا نفسه بما يتفق مع رواية محمد بن سعد التي رجحناها، مما يجعلنا ندفع الشك باليقين ونركن الى هذه الرواية .

ثالثا : وأمر آخر جدير باهتمامنا ، وهو ما ذكره ابن قدامة في كتابه الموسوم بالاستبصار في انساب الأنصار قال [١] : « أبو زيد الأنصاري جد أبي زيد النحوي صاحب الغريب هو من بني الحارث بن الخزرج » .

وهذا كلام يتفق مع روايتنا المتقدمة التي ارتضيناها ، في حين أن ابن قدامة كان قد ذكر أبا زيد عمرو بن أخطب جد عزرة بن ثابت قائلا [٢] : « يقال انه من بني الحارث بن الخزرج » وذكر [٣] أبا زيد بن عمرو بن أخطب بن محمود بن رفاعة بن بشر بن عبد الله ملحقا اياه بالحارث ابن عمرو بن نقباء الأنصاري حلفاء الأوس .

وهكذا نرى أن ابن قدامه لم يلحق صاحبنا بأي من النسبين المتقدمين ، وكان قد ذكر ثلاثة من الأنصار غلبت عليهم كنية أبي زيد .

رابعا : ولا يفوتنا أن ننوه بما أبداه بعض أصحاب التراجم من اطمئنان لهذه الرواية فقد عقب البغدادي بقوله [٤] : « والصواب ما أخبرنا الجوهري أخبرنا عيسى بن علي حدثنا عبد الله ابن محمد البغوى قال : قال محمد بن سعد في طبقاته ... وذكر الرواية المتقدمة .

وعقب القفطي قال [٥] : « والصواب ما ذكره محمد بن سعد » .

وقال الزبيدي [٦] : وأجمع الرواة أن أبا زيد سعيد بن أوس بن ثابت ... وذكر الرواية التي اعتمدناها .

ميلاده

أبو زيد عربي صميم صلبته من الخزرج ، لم تشر الروايات كثيرا الى أسرته ، واكتفت في حديثها عن أبيه أوس بن ثابت أنه كان محدثا [٧] ، أما جده ثابت بن زيد بن قيس فقد شهد أحدا ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد نزل البصرة واختلط بها ثم قدم المدينة فمات بها في خلافة عمر بن الخطاب [٨] .

كما أن كتب التراجم لم تذكر مكان ولادة شيخنا وان كان المرجح أنها كانت في البصرة ، وضرب المؤرخون صفحا عن ذكر السنة التي ولد فيها ، وانفرد ابن الجزرى [٩] صاحب كتاب **طبقات القراء** فذكر أن أبا زيد ولد سنة عشرين ومائة ، على أننا لا نستطيع أن نطمئن كثيرا لهذا

---

١) **الاستبصار في انساب الأنصار** / ٩٥ تاليف عبد الله بن قدامة المقدسي ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٤٨٩ تاريخ .
٢) المرجع السابق /٩٤ .
٣) المرجع السابق /٢٧٥ .
٤) **تاريخ بغداد** ــ الخطيب البغدادى ٧٧/٩
٥) **انباه الرواة** ــ القفطي ٣١/٢
٦) **طبقات الزبيدى** /١٨٢
٧) **مراتب النحويين** /٤٢ تاليف ابي الطيب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . مصر سنة ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٥م .
٨) **طبقات ابن سعد** ٢٧/٧
٩) **طبقات القراء** ــ ابن الجزرى ٣٥٥/١

التحديد خاصة وأن ابن الجزري نفسه يذكر أن وفاة أبي زيد كانت سنة خمس عشرة ومائتين عن أربع أو خمس وتسعين سنة ، ومعنى ذلك أن ولادته كانت سنة احدى وعشرين ومائة أو سنة عشرين ومائة ٠

وتبع ابن الجزرى بعض الباحثين المحدثين فذكروا سنة لميلاد أبي زيد دون أن يذكروا الأساس الذي اعتمدوا عليه فاختلفوا فيما بينهم : فذهب الباحثان خير الدين الزركلي [١] وعبد الصاحب الدجيلي [٢] الى أن ولادته كانت سنة ١١٩هـ ، وذكر الباحث يوسف سركيس [٣] أن سنة ميلاده ١٢٢هـ ، والى هذا الرأي الأخير ذهب الدكتور محمد عبد القادر في مقدمة تحقيق كتاب **النوادر لأبي زيد** [٤] ٠

ونحن ايضا نرجع سنة ١٢٢هـ **تاريخا لميلاد أبي زيد** لاننا وثقنا سنة ٢١٥هـ تاريخا لوفاته معتمدين على رواية أبي حاتم والرياشي من تلاميذ أبي زيد حيث تقول الرواية [٥] : « توفي أبو زيد سنة ٢١٥هـ وله ثلاث وتسعون سنة » وبذلك تكون ولادته سنة ١٢٢هـ ٠

نشأته

كانت نشأة أبي زيد في البصرة ، حيث تلقى العلم صغيرا ، يحدثنا ابن خلكان أن النضر ابن شميل كان يقول [٦] : « كنا في كتّاب واحد أنا وأبو زيد الأنصاري وأبو محمد اليزيدي » ٠

ويروي الزبيدي [٧] أن بعض أعراب مضر مثل عقيل وقشير نزلوا بالبصرة من مَحلٍ أصابهم فتعلم عندهم أبو زيد ٠

وكانت له في البصرة حلقة ينتابها الناس ، وقد أمضى سنوات عمره الأخيرة متنقلا بين بيته وحلقته ، يقول التوزي أحد تلاميذ أبي زيد : خرجت الى بغداد فحضرت حلقة القراء فلما أنس بي قال ما فعل أبو زيد الأنصاري ؟ قلت ملازم لبيته وحلقته في المسجد وقد أسنّ ، قال ذاك أعلم الناس باللغة واحفظهم لها » ٠

واجمع المؤرخون على ان وفاته كانت في البصرة ٠

وكل هذا يعني أن أبا زيد قد أمضى معظم حياته في البصرة لا يكاد يغادرها حتى يعود اليها ثانية وذلك يظهر مقدار تعلقه ببلدته ٠

أما عن تنقلاته فقد رحل أبو زيد الى الكوفة في سبيل طلب العلم حيث قرأ دواوين الشعراء على المفضل بن محمد الضبّي ، والتقى هناك بأبي حنيفة ٠

---

١) **الاعلام** ١٤٤/٣ تاليف خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م ٠

٢) **اعلام العرب في العلوم والفنون** ٩٦/١ تاليف عبد الصاحب الدجيلي ، الطبعة الثانية ، العراق ١٩٦٦م ٠

٣) **معجم المطبوعات** /٣١٢ تاليف يوسف سركيس ، مصر ١٩٢٨م ٠

٤) **النوادر في اللغة** القسم الاول /١٤ تاليف أبي زيد الانصارى تحقيق الدكتور محمد عبد القادر احمد ، مخطوط بجامعة القاهرة ٩٨١ رسائل ٠

٥) **تاريخ بغداد** ـ الخطيب البغدادى ٨٠/٩

٦) **وفيات الاعيان** ـ ابن خلكان ١٢٠/٢

٧) **طبقات الزبيدى** / ١٨٢

وانتقل أبو زيد الى مكة ، جاء في دائرة المعارف الاسلامية [١] : « ووفد أبو زيد الى مكة عندما استقدم المهدي الى بغداد اثر ولايته الخلافة سنة ١٥٨هـ أبرز العلماء » . والأرجح أن تكون رحلة أبي زيد الى مكة لاداء فريضة الحج .

ورحل أبو زيد الى بغداد في زمن الخليفة المهدي حيث أصبحت بغداد قبلـة العلمـاء وظهر حرص الخليفة على استقطاب العلماء في بلاطه تعظيما للعلم وتكريما للعلماء حتى يحصل بينهـم التنافس ويصدروا ما عندهم من النفائس ثم يجزيهم على ذلك بما هو واسع له مـن الكرم . قـال أبو زيد : أتيت بغداد حين قام المهدي محمد فوافاها العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم أر رجلا أفرس ببيت شعر من خلف ولا عالما أبذل لعلمه من يونس » [٢] .

وهذا القول يبين لنا أن رحلته الى بغداد من أجل العلم وأن لقاءاته كانت مع العلماء ، خاصة وأن صفاته لا تؤهله للتقرب من السلطان فقد كان متقعرا يبحث عن الغريب ، ويلتزم حتى مع العامة النحو والاعراب .

لذلك لا تطول اقامته في بغداد فيعود الى البصرة .

وفاتـــه

اتفق المؤرخون على أنّ أبا زيد قد عمَّر طويلا ، ثم اختلفوا في قدر عمره والسنة التي توفي فيها واقتصر بعضهم على ايراد الأقوال المتنازعة دون ترجيح .

حكى ياقوت أنه جاوز التسعـين ، وذكر الشيخ الامام أبو محمد عبد الله المكي وابن كثير أنه قارب المائة ، لكن هذا التعميم لم يرضَ به الآخرون ومالوا الى التحديد فاختلفوا : فمن قائل ان أبا زيد توفي وله ثلاث وتسعون سنة ، وقائل انها أربع وتسعون والباقي الأخير جمع بين الروايات وقال انه توفي وله ثلاث وقيل أربع وقيل خمس وقيل ست وتسعون سنة .

كذلك اختلف المؤرخون في السنة التي توفي فيها أبو زيد ، رغم أنه خلاف يسير على أي حال لا يتجاوز سنة أو سنتين .

انفرد ابن حجر وابن تغرى بردى فذكرا أنه توفـي سنـة ٢١٤هـ [٣] ، واتفـق أكثريـة المؤرخين منهم الزبيدي وابن الأثير وابن النديم والذهبي وأبو الطيِّب اللغوي وابن الجزرى وابـن حزم ، وياقوت وابن قاضى شهبه وابن مكتوم والفيروزبادى وأبو المحاسن وابن العماد على سنـة ٢١٥هـ [٤] .

أما المزرباني والبغدادي وابن الأنباري وابنالجوزي والقفطي والنووى فذكروا الروايتين [٥] .

وزاد ابن خلكان وابن كثير والسيوطي والداودى الى الروايتـين بـأن أضافوا « وقيـل سنـة ٢١٦هـ » [٦] .

---

١) دائرة المعارف الاسلاميـة ٤٣٢/١١ تالف محمد ثابت الفندى ، نقل عبد الحميد يونس وزملائه .

٢) الفهرست/ ٥٤ تاليف ابن النديم ، ط بيروت . سنة ١٩٦٤م .

٣) تقريب التهذيب / ١٨٤ ، النجوم الزاهرة ٢١٠/٢ .

٤) طبقات الزبيدى /١٨٢ ، الكامل ٤١٨/٦ ، الفهرست /٥٤ ، تاريخ الاسلام ٨:/١١ ، مراتب النحويين /٤٢ ، غاية النهايـة ٣٠٥/١ ، جمهرة الأنساب /٣٧٣ ، معجم الادباء ٢١٣/١١ ، طبقات النحاة /٢٥٠ ، تلخيص اخبار النحويين /٤١ ، البلغـة /٣٧ ، اشارة التعيين /٣٨ ، شذرات الذهب ٣٤/٢ .

٥) نور القبس : ١٠٨ ، تاريخ بغداد ٨٠/٩ ، نزهة الالباء /١٢٩ ، المنتظم ٧٣/٥ . انباه الرواة ٣٥/٢ ، تهذيب الأسماء ٢٣٦ .

٦) وفيات الأعيان ١٢٢/٢ ، البداية والنهاية ٢٦٩/١٠ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين ٧٧ .

وبعد فاني ارجح سنة ٢١٥هـ تاريخا لوفاة أبي زيد وذلك لما يلي :

١ ــ اتفاق عامة المؤرخين عليها ٠

٢ ــ أن البغدادي نسبها الى الرياشي وأبي حاتم وهما تلميذان لأبي زيد ٠

٣ ــ كما نسبها أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين الى المازني وهو تلميذ لأبي زيد ايضا ، اتصل به ولازمه وزاره في مرضه الذي توفي فيه ، روى المرزباني[1] : « قال المازني دخلت على أبي زيد في مرضه الذي مات فيه فقال اشتكي صدري فقلت له امرخه (بكسر الراء) بشمع ودهن فقال ليس كذا انما هو امرُخه (بضم الراء) فتعجبت منه في تلك الحال يعلمني » ٠

صفات أبي زيد

ليس من هدف البحث التعرض لصفات أبي زيد العامة ، ولكنه يتخيَّر منها ما كان له أثر في حياته العلمية ، وتلك الصفات :

١ ــ ضعف العصبية البلدية عنده

كانت المنافسة شديدة بين البصرة والكوفة ، وكان البصريون يتحرون ولا يجيزون كل ما يسمعون ولا يقبلون الا أصح اللغات وأفصحها وكانوا يتهمون الكوفيين في نقولهم ، ويعيبون عليهم تسامحهم، لذلك امتنعوا من الأخذ عن الكوفيين ، روى أبو الطيب اللغوى قال[2] : « وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين ولكن أهل البصرة يمتنعون من الأخذ عنهم لأنهم لا يرون الأعراب الذين يحكون عنهم حجة » ٠

فالبصريون اذاً لا يأخذون عن الكوفيين لأنهم يعتبرون الأعراب الذين يحكون عنهم ليسوا حجة ، وليس الأمر ــ في رأينا ــ كما ذهب البصريون ، ولكنها العصبية التي تأججت بين المدينتين دفعتهم لأن يزعموا ذلك ويتوقفوا عن الأخذ من الكوفيين ٠

أما أبو زيد الأنصاري فانه لم يكن ليعترف بأن للعلم حدودا اقليميه يجمد عندها ، ومع أنه تميز بالرواية عن فصحاء العرب ، فقد شدّ الرحال الى الكوفة لطلب العلم والأخذ عن المفضل الضبي الكوفي لأنه مشهود له بصدقه وصحة روايته ، مما يدل دلالة قاطعة على ضعف العصبية البلدية عنده ٠

وقد صرّح أبو زيد بأخذه عن المفضل في أول كتابه **النوادر** حيث قال : « ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبِّي » ٠

وقد أثار أبو زيد ــ بأخذه عن الكوفيين ــ دهشة المؤرخين ، ولفتَ أنظارهم[3] ٠

وتجدر الاشارة الى أن ضعف العصبية البلدية عند أبي زيد لم يتوقف عند حد الأخذ عن الكوفيين ، بل تعدّى ذلك الى اتفاقه معهم في بعض جوانب مذهبه النحوى واللغوى ، على نحو ما سنوضح في حينه ٠

---

١) نور القبس / ١٠٨ ٠

٢) مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوى / ٩٠ ٠

٣) انظر **اخبار النحويين البصريين** / ٤٢ تاليف أبي سعيد السيرافي ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، ط مصر سنة ١٩٥٥م ٠

٢ ـ التقعر في اللغة

عرف أبو زيد بكثرة اهتمامه وروايته للنادر والغريب حتى غلب عليه ذلك وانفرد بأشياء لم يروها غيره، ووصفه بذلك الأزهري فقال: « والغالب عليه النوادر والغريب »[١]، وابن خلكان في **وفيات الأعيان** قال: « كان من أئمة الأدب وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب »[٢].

ولعل مرجع هذه الظاهرة عند أبي زيد التنافس الشديد بين علماء اللغة في عصره على جمع الغريب فهذا أبو عمرو بن العلاء يعز عليه ألا يعرف أحرفا عرضها عليه تلميذه الأصمعي ويخرج باحثا عن الغريب .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد كان شيخنا يلتزم النحو والاعراب حتى مع العامة، لا يلحن في حديثه وفيما يجري بينه وبين الناس، حتى لكأن لسانه لسان أعرابي فصيح، قال الجاحظ عنه[٣]: « وممن كان لا يلحن البتة حتى كأن لسانه لسان أعرابي فصيح: أبو زيد النحوي » .

ولا غرو في ذلك فقد عرف أبو زيد بالرحلة الى البادية، وعايش الأعراب دهرا من الزمن حيث تعلم عند عَقيل وقُشَير لدى نزولهم البصرة من مَحل أصابهم[٤] .

وبعد، فان هذه الصفة في أبي زيد أبعدته عن قصور الخلفاء والأمراء، ولم تجعل اتصاله بهم كاتصال زميليه الأصمعي وأبي عبيدة، ولكنها كانت نعمة وبركة على اللغة العربية فأثرت في منهجه وجعلت خروجه جادا بقصد استيعاب اللغة وجمع مادتها وتلقف نادرها . ولم يكن خروجه سعيا الى جمع ما يروج في قصور الخلفاء عند سمرهم ومجالس أنسهم .

يقول الأستاذ أحمد أمين في حديثه عن أبي زيد[٥]: « ولكن اتصاله بالخلفاء لم يكن كاتصال الأصمعي وأبي عبيدة، ويظهر أن صفاته لم تكن تؤهله لذلك فقد كان متقعرا يبحث عن الغريب ويلتزم حتى العامة النحو والاعراب » .

ومعروف أن هارون الرشيد لم يقبل من الأصمعي أن يستعمل في خطابه اياه تعبيرا مهجورا غريبا لم يعرفه، هو: ما لاقتني بعدك أرض: أي لم تمسكني[٦].

ولعل أبا زيد في تقعره في اللغة كان متأثراً بشيخه عيسى بن عمر المشهور بأنه كان صاحب تقعير في كلامه واستعمال الغريب فيه[٧] .

٣ ـ الصدق

على أن أهم مميزات أبي زيد صدقه ـ أجمع على ذلك المؤرخون، روى الحسين بن الحسن عن أبيه عن ابن معين أنه صدوق[٨]، وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يجمل القول فيه ويرفع شأنه ويقول هو صدوق، وقال صالح بن محمد: أبو زيد الأنصاري ثقة[٩]، وعقب صاحب النجوم الزاهرة في ترجمته لأبي زيد قائلا: « وكان ثقة حافظا صدوقا »[١٠] .

---

١) **تهذيب اللغة** ١٢/١ تاليف الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، مصر سنة ١٩٦٤م .
٢) ١٢٠/٢
٣) **البيان والتبيين** ٢٢١/٢ تاليف الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط مصر ١٩٤٨م .
٤) **طبقات الزبيدي** /١٨٢ .
٥) **ضحى الاسلام** ـ احمد امين ٣٠٢/٢ .
٦) **تاريخ بغداد** ـ الخطيب البغدادى ٤٣٣/١٤
٧) انظر البحث ص ٣٤ .
٨) **معجم الادباء** لياقوت ٢١٢/١١ .
٩) **تاريخ بغداد** لأبي بكر الخطيب البغدادى ٨٠/٩ .
١٠) **النجوم الزاهرة** ٢١٠/٢ تاليف ابن تغرى بردى، ط مصر سنة ١٩٦٣م .

وكان أبو زيد يفضل زميليه الأصمعي وأبا عبيدة في التزام الصدق ، واذا قارن العلماء بين الثلاثة رأوا أن من أهم مميزاته الصدق ، قال سفيان الثوري ، قال لى ابن مناذر : أصف لك أصحابك : أما الأصمعي فأحفظ الناس وأما أبو عبيدة فأجمعهم وأما أبو زيد فأوثقهم »[١] .

ومن الدلائل على صدق أبي زيد وثقة العلماء فيه أن أصحاب الحديث رووا له على الرغم من عدم انقطاعه لروايته ، ذكر ياقوت[٢] أن أبا داود روى له في سننه وكذلك الترمذي في جامعه .

وقد انفرد بأشياء في اللغة فرواها له العلماء لما عرف عنه من الصدق والاتقان .

ومن مظاهر صدق ابي زيد امانته العلمية ، تلك التي لازمته في كل الحالات :

أ ـ **فهو يعلن شكّه في نسبة بعض الأبيات** : لواحد من شاعرين ، كأن يقول : قال زهير بن مسعود أو سويد ، فيثبت تلميذه أبو حاتم هذا الاحتراز فيقول : شك أبو زيد[٣] .

كذلك يشك في اللقب لواحد من شاعرين فيثبت ذلك ويقول : وقال قيس بن جِروة الطائي وهو جاهلي ولقبه عارق ، ويقال هو لعمرو بن مِلقَط[٤] .

ويشك في رواية لغوية فيثبت أبو عبيد شكه ويقول : وشك أبو زيد في المقشَعِرّ المجتمع أنه مزرئم أو مرزئمّ[٥] .

ب ـ **ولا يتحرج ان يقول لا ادري فيما لا يعلم** : « روى المازني قال : سالت الأخفش عن حرف رواه سيبويه عن الخليل في « باب من الابتداء » وهو قوله : ما اغفله عنك شيئا ، أي دع الشك » ما معناه : قال الأخفش : أنا منذ ولدت أسال عن هذا . قال المازني : سالت الأصمعي وأبا زيد وأبا مالك عنه، فقالوا ما ندري ما هو »[٦] .

جـ ـ **ويقول القول ثم لا يتردد في الرجوع عنه اذا تبين له خلافه** ، جاء في المزهر : « أجاز أبو زيد وأبو عبيدة صبت الريح وأصبت ولم يجزه الأصمعي ثم زعموا أن أبا زيد رجع عنه »[٧] .

د ـ **ثم لا يتوانى في ان يعلن رايه فيما يسمع كان يقول** : أنشدني الأخفش بيتا مصنوعا لطرفة ...[٨] .

هـ ـ وعندما تتقدم به السن **يمسك عن الرواية** خشية التخليط ، قال أبو الطيِّب اللغوى[٩] : كان أبو زيد قارب في سنه المائة ماختل حفظه ولم يختل عقله فأخبرنا عبد القدوس

---

١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٢٠ .
٢) معجم الادباء ١١/٢١٢
٣) مخطوطة النوادر في اللغة / ٣٨ تاليف ابي زيد الأنصارى تحقيق الدكتور محمد عبد القادر احمد ، جامعة القاهرة ٩٨١ رسائل .
٤) النوادر في اللغة / ٦١ تاليف ابي زيد الأنصارى تصحيح سعيد الشرتوني ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٦٧م .
٥) لسان العرب / رزم تاليف ابن منظور ، ط بيروت سنة ١٩٦٨م .
٦) تاويل مشكل القران / ٦٥ تاليف ابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ، ط مصر سنة ١٩٥٤م .
٧) المزهر ٢/٣٢١ تاليف جلال الدين السيوطي ، شرح وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وزملائه .
٨) المرجع السابق ١/١٧٧ .
٩) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوى /٤٢ .

ابن أحمد أنبأنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري أنبأنا الرياشي قال : رأيت أبا زيد ومعي كتابه في **الشجر والكلأ** فقلت له : أقرأ عليك هذا : فقال لا تقرأه عليّ فاني أنسيتُه ·

و ـ **وتدفعه أمانتـه العلميـة للاعتراف بالتصحيف** الذي وقع فيه ، حدّث التوّزى قال : قلت **لأبي** زيد الأنصاري : أنتم تنشدون قول الأعشى :

بسا باط حتّى ماتَ وهو مُحَزْرَقُ

وأبو عمرو الشيباني ينشدها (مُحَرْزَقُ) فقال انها نبطية ، وأم أبـي عمرو نبطيـة فهو أعلم بها منّا [1] ·

ز ـ **ويصرح في أول كتاب النوادر بان ما فيه من شعر القصيد مـن انشاد المفضل** الضبيّ قال أبو زيد : « ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان فيه من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعـي من العرب » [2] ·

هذا وقد عرف العلماء على مر الزمن أمانة أبي زيد العلمية ، وصرح بذلك غير واحد منهم : فأبو علي الفارسي يصفه بالضبط في الرواية [3] ، ويعلق على بيـت شعر رواه أبو زيـد بقوله : وهذه الكلمة كُنْبذُبُ يحكى فيما شذّ عن سيبويه في الأبنية ، ولولا ثقة أبي زيد وسكون النفس الى ما يرويه لكان ردها مذهبا » [4] ·

وأبو جعفر النحاس يعلّق على قراءة آية بقوله [5] : « هذا الوجه من أحسن ما حملت عليه الآية ، اذ كانت هذه اللغة معروفة قد حكاها من يرتضى علمه وصدقه وأمانتـه ، منهـم أبو زيـد الأنصاري » ·

ومن أجل ذلك انكب العلماء على كتب أبي زيد حفظا ودراسة وشرحا ، فأبو على الفارسي يقول عنه أبو حيان « انه لم يكد يتجاوز كتب أبي زيد في اللغة وهو يكاد يصلى بنوادر أبي زيد » [6] ·

والرياشي كان يحفظ الشعر الذي في النوادر كما يحفظ السورة من القرآن ·

ولأجل اشتهار أبي زيد بالصدق ، كنى العلماء عنه بأفضل ما يكنى به الرواة تكريما له فكان سيبويه اذا أخذ عنه قال « أخبرني الثقة » أو « من أثق بعربيته ، أو من نثق به ، أو من لا نتهم » ، روى ابن قتيبة قال [7] : « حدثني أبو زيد قال : كان سيبويه غلاما يأتي مجلسي وله ذؤابتان قال واذا سمعته يقول : أخبرني من أثق بعربيته فانه يريدني » ·

ولكن المستشرق الألماني يوهان فك يعقب على هذه العبارة المتقدمة بقوله [8] : « وقد حملها بعض المتأخرين غلطا على أبي زيد الأنصاري » فيثير بذلك موجة من الشك تجعلنا نتوقف قليلا لتجلية الحقيقة ·

---

١) **المزهر** ٣٦٩/٢ ، **والخصائص** ٢٨٣/٣ ·

٢) **النوادر في اللغة** ـ أبو زيد الأنصارى /١ ·

٣) انظر **الحجة في علل القراءات السبع** ٢٦٧/١ تاليف ابي علي الفارسي تحقيق علي النجدى ناصف وزملائه ، القاهرة سنة ١٩٦٥م ·

٤) المرجع السابق ٢٢٨/١ ·

٥) **القراءات واللهجات** /٢٣ تاليف عبد الوهاب حمودة ، الطبعة الاولى مصر سنة ١٩٤٨م ·

٦) **الامتاع والمؤانسة** ١٢١/١ تاليف ابي حيان التوحيدى تصحيح احمد امين وزميله ، طبعة مصر سنة ١٩٣٩م ·

٧) **المعارف** / ٥٤٤ تاليف ابن قتيبة ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار الكتب سنة ١٩٦٠م ·

٨) **العربية** /٥١ · تاليف يوهان فك ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، ط مصر سنة ١٣٧٠هـ ـ سنة ١٩٥١م·

الرد على يوهان فك

ينفي الأستاذ يوهان فك في عبارته السابقة أن يكون المقصود أبا زيد الأنصاري دون أن يبين لنا من المعنيّ اذن في العبارة ، ودون أن يقدم الدليل الذي اعتمد عليه في نفيه ، ونحن في ردنا نهدف الى أمرين :

١ ـ ازالة الشبهة التي أثارها المستشرق يوهان فك حول عالم من علماء العربية له خطورته في ميدان اللغة ٠

٢ ـ اقامة الدليل على أن المعني في العبارة أبو زيد الأنصاري ولتحقيق ذلك نقول :

اولا : أقدم من نقل الرواية التي نص فيها أبو زيد على أنه المعني بعبارة سيبويه (أخبرني الثقة) ابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦هـ ، ونقلها بعده بعض الرواة منهم أبو سعيد السيرافي ، ولعل الأخير هو المقصود بقول الأستاذ يوهان فك « بعض المتأخرين » ٠

وأول ما تجدر الاشارة اليه أن ابن قتيبة لم يختلق الرواية بل سمعها من أبي حاتم فهو يقول : حدثني أبو حاتم ، وقد لزم أبا حاتم فعلا وحدّث عنه وكان ثقة ديّنا فاضلا صادقا فيما يرويه [١] ٠

أما أستاذه أبو حاتم فكان تلميذا لأبي زيد ، كثير الاتصال به والأخذ عنه [٢] ٠

والرواية منسوبة في النهاية لأبي زيد الأنصاري وقد أجمع المؤرخون على صدقه وثقته [٣] ، وقال أبو زيد انهَ المعني بها على مسمع من الناس ، ولم يذكر الرواة أن أحدا نازعه اياها ٠

يقول الأستاذ علي النجدي ناصف في حديثه عن شيوخ سيبويه وبعد أن ينقل قول السيرافي ويناقشه [٤] : « وأرى برغم ذلك ان أبا زيد حقيق بالتصديق ، وحقيق أن يعدّ مع شيوخ سيبويه ، فقد قال سيبويه في الكتاب وأخبرني الثقة أو ما يشبهها غير مرة » ٠

ثم ان الخبر ذكر مسندا الى أبي زيد الأنصاري وبذلك يقطع أي شبهة ، ومعروف أن حكم الخبر القبول حتى لو كان منفردا اذا كان المتفرد به من أهل الضبط والاتقان كأبي زيد والخليل والأصمعي وأبي حاتم فكيف وقد اجتمع في نقل الخبر ثلاثة من أئمة العربية ممن عرفوا بالصدق في النقل ٠

ولكن لماذا آثر سيبويه ألا يصرّح باسم أبي زيد ؟

يجيبنا الأستاذ على النجدى ناصف على ذلك يقول [٥] : « ربما كان في ذلك نوع من التكريم لأبي زيد ، ولا سيما أنه يكنى عنه بأفضل ما يكنى به عن الرواة والعلماء مثل : من نثق به ومن لا نتهمه ، فكأنما أراد سيبويه أن يدعو الناس الى هذه التسمية ، وأن يشاركه فيها من لم يشاركه اجلالا للرجل ومكافأة ٠

---

١) **الفهرست** لابن النديم / ١١٥ ، ٨٦

٢) انظر البحث ص ٣٨ وما بعدها ٠

٣) انظر البحث ص ١٨ ٠

٤) انظر **سيبويه امام النحاة** / ٩٢ تاليف علي النجدى ناصف . ط مصر سنة ١٣٧٢هـ ـ سنة ١٩٥٣م ٠

٥) المرجع السابق / ٩٤

ثانيا : ثم ان سيبويه لم يشر بالاضمار الى أبي زيد وحده بل اعتاد أن يقول سألته أو قال ويعني الخليل ، قال أبو سعيد السيرافي [١] : « وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل وكل ما قال سيبويه سألته أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل » ·

وهكذا كان دأبه مع الخليل أن يراوح بين التصريح والاضمار ولم يقل أحد ان في ذلك غلطا ·

ثالثا : ويكشف يونس بن حبيب عن الحقيقة بوضوح وذلك في الرواية التي نقلها ثعلب في أماليه عن الأخفش قال [٢] : « كان يونس يقول حدثني الثقة عن العرب فقيل له من الثقة ، قال : أبو زيد قيل له : فلم لا تسميه ، قال : هو حي بعد فأنا لا أسميه » ·

فسبب عدم التسمية واضح اذن وهو أن أبا زيد كان حيا أيام يونس عند اطلاق اللقب عليه ·

ومعروف أن أبا زيد توفي بعد سيبويه بنيّف وثلاثين عاما فالعلة نفسها كائنة أيضا ·

ونفهم من العبارة السابقة أن العلماء تعارفوا على تلقيب أبي زيد بالثقة وأن سيبويه لم يكن الوحيد الذي أطلق اللقب ·

ويستوقفنا الدكتور حسين نصار عندما يعقب على رواية ثعلب السابقة بقوله [٣] :

« لكن هذا القول غير صحيح أيضا ، فالمعروف أن الذي كان يروي عن أبي زيد الأنصاري ويلقبه الثقة ويكني بذلك عنه في روايته هو سيبويه ، أما يونس فلم يفعل ذلك بل كان شيخا لأبي زيد » ·

ونحن وان كنا نوافق الدكتور حسين نصار على أن يونس شيخ لأبي زيد وهذا باعتراف أبي زيد نفسه حيث يقول [٤] : « جلست الى يونس بن حبيب عشر سنين » · ويقول أيضا [٥] : « وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي » ـ لكنا نختلف معه في انكار الرواية، لأن أخذ يونس عن أبي زيد ـ كما تبينه الرواية ـ محصور في السماع عن العرب ، وفي هذا المجال تنافس العلماء وتكبدوا المشاق في رحلاتهم الى البادية ، ولم يضعوا مثل هذه القيود في طريقهم ، فهذا أبو عمر بن العلاء يطلب من تلميذه الأصمعي أن يحدّثه بما سمع من العرب [٦] ·

ثم ان أبا زيد عُرف باتساعه في اللغات وكثرة رواياته ونقله عن الأعراب ، قال أبو المنهال : « أئمة البصرة في النحو وكلام العرب ثلاثة : أبو عمرو بن العلاء وهو أول من وضع أبواب النحو ، ويونس بن حبيب ، وأبو زيد الأنصاري ، وهو أوثق هؤلاء كلهم وأكثرهم سماعا من فصحاء الأعراب » [٧] ·

كذلك عرف أبو زيد بسعة حفظه للغة حتى انه يأتي في المرتبة الثانية بعد أبي مالك عمرو ابن كركرة الأعرابي ، وقد عدّه العلماء في مرتبة واحدة مع يونس في العلم باللغات ·

---

١) **اخبار النحويين البصريين** لأبي سعيد السيرافي /٤٠ ·
٢) **الاقتراح** / ٣٣ تأليف السيوطي ، الطبعة الأولى ، حيدر اباد سنة ١٣١٠هـ ، **والمزهر** ١٥٢/١، ١٤٣ ·
٣) **يونس بن حبيب** /٢٤ تأليف الدكتور حسين نصار ،ط مصر سنة ١٩٦٨م ، **اعلام العرب** ·
٤) **انباه الرواة** ـ القفطي ٣٦٦/٢ ·
٥) المرجع السابق ٣٦٥/٢ ·
٦) انظر البحث ص ٥ ·
٧) **الاقتراح** ـ السيوطي / ١٠١

واعترف يونس بالأخذ عن أبي زيد قال مخاطبا اياه : « رب علم استفدناه فكنت سببه » ٠

فهل يبقى في النفس شيء بعد أن أعترف له صاحب الشأن بالفضل ووضعه في هذه المرتبة٠

رابعا : وهـذه روايـة أخرى توضح لنـا الحقيقة ، نقلها المازني الذي كنا قد اعتمدنا روايته عندما وثقنا سنة وفاة أبي زيد بسبب صلته الوطيـدة باستـاذه ، جـاء فـي كتـاب **مراتـب النحويين** [١] : « أخبرنا جعفر بن محمد قال : « أخبرنا أحمد بن غياث النحوى قال : 'أخبر'نا عن المازني أنه قال : كل ما في كتاب سيبويه من قوله « أخبرني الثقة » ، وسمعت من أثق به « فهو عن أبي زيد » ٠

وهكذا أجمعت الروايات التاريخية بمصادرها المختلفة على أن المعنيّ بعبارة سيبويه « أخبرني الثقة » هو أبو زيد الأنصاري مما يدفع الشبهة التي أثارها المستشرق يوهان فك ، ويجعلنا بالتالى نطمئن الى حد ما ــ لصحة قولة أبي زيد ، لاننا على الأقل لم نقع على رواية تتعارض معها ٠

وبعد ، فلا غرو في صدق أبي زيد وأمانته العلمية ، فهذا خلق توارثه عن أجداده ، وقف عمر ابن الخطاب على قبر جده ثابت بن زيد فقال : « رحمك الله يا أبا زيد ، لقد دفن اليوم أعظم أهـل الأرض أمانة »[٢] ٠

ثم ان أبا زيد كان محدّثا روى له أبو داود والترمذي ، واشتغـل بتدريس الحديـث ٠٠٠ ومعلوم أن رجال الحديث يلتزمون الصدق والأمانة ٠

---

١) مراتب النحويين ــ أبو الطيب اللغوى / ٧٦

٢) طبقات ابن سعد ٢٧/٧ ٠

ثقافة أبي زيد ومنزلته العلمية

● دراسته ● ثقافة أبي زيد الأجنبية ● الرحلة الى البادية ● شيوخ أبي زيد ● تلاميذ أبي زيد ● اتجاه أبي زيد المذهبي ● منزلة أبي زيد العلمية

دراسته

نشأ صاحبنا في بيت علم وأدب ، فقد كان والده ممن ينشطون للعلم ويتحملون المشاق في سبيل طلبه حتى اذا ما اشتدّ عوده تفرغ لعلم الحديث ، وكان لهذا المناخ العلمي أطيب الأثر على الصبي ، فهو يفزع لطلب العلم منذ نعومة أظفاره ٠

لم تكن المدارس قد أنشئت في حداثة أبي زيد ، وكان لأبناء الخاصة معلمون يبقون معهم حتى سن متأخرة ، أما أبناء العامة فيتوجهون الى الكتّاب ثم الى المسجد ٠

وفي مرحلة الكتّاب يتعلم الطالب القراءة والكتابة والقرآن وبعض اللغة والنحو والعروض الى جانب الحساب والشعر حسب استعداد المعلم ، يقول الجاحظ في هذا الصدد : « وكانوا يُرَوّون صبيانهم الأرجاز ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الاعراب » [1] ٠

ومعلوم لدينا أن أبا زيد في حداثته كان يدرس في كتّاب واحد مع أبي محمد اليزيدي والنضر بن شميل [2] ٠

وهذه المرحلة شاقة يتعرض الطالب فيها للحبس والضرب ، ويتوقف عندها أغلبية المتعلمين ، أما القلة الطموحة من أمثال أبي زيد فانها تنتقل الى المسجد ساحة العلم الكبرى ٠

لم تكن المساجد للعبادة وحدها وانما تؤدّى فيها أعمال مختلفة أهمها أنها كانت أكبر معهد للدراسة ، وأهم مركز للحركة العلمية في عصر أبي زيد ٠

تعددت حلقات الدرس في المسجد وتنوعت وذلك أثر من آثار تنوع العلوم في العصر العباسي الأول ، فثمة حلقات لتعليم القرآن والحديث ، وحلقات لدراسة الأدب والشعر ، وغيرها يدرس فيها النحو ، وأخرى للكلام ٠

أما طريقة الدراسة في المسجد فكانت بأن يجلس الشيخ الى سارية فيتحلق حوله من شاء من طلاب العلم ، ثم يأخذ باملائهم والرد على أسئلتهم ، أو بمناقشتهم فيما يعرض من مسائل ، دون أن يتقاضى على ذلك أجرا ، ويأتي الطالب الى حلقة الدرس ، ويخرج منها متى أراد ٠

---

١) **البيان والتبيين** ـ الجاحظ ٢٧٢/١

٢) انظر **وفيات الأعيان** ـ ابن خلكان ١٢٠/٢ ٠

وكان الطلاب الذين يريدون أن يلمع نجمهم من أمثال صاحبنا لا يكتفون بالاستماع الى استاذ واحد بل يتنقلون من حلقة الى أخرى كالنحلة الدؤوب ٠

ويتضح لنا هذا الأمر جليا من نظرة نلقيها على قائمة أسماء شيوخه العديدين الذين طاف بهم لنلمح ثقافته العظيمة واطّلاعه الواسع واتصاله بعلماء عصره مما كان له الأثر الكبير في حياته العلمية ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن أبا زيد قد بزغ نجمه في هذه الحلقات وهو ما يزال طالبا يتلقى الدرس ، وقصته مع أستاذه المحدث شعبة بن الحجاج تشهد بذلك [1] ٠

كان لثقافة أبي زيد **روافد عديدة أهمها** : علوم القرآن الكريم وقراءاته المتعددة وتفسيره واعرابه ، والحديث الشريف رواية وشرحا ، والشعر العربي ، والنثر الأدبي من حكم وأمثال ، الى غير ذلك من ألوان الثقافات التي كانت سائدة في ذلك العصر ٠

على أن أهم ما يميز أبا زيد عقليته الفذة التي تمثلت هذه الثقافات المختلفة وطبعتها بطابعه الخاص وانعكست على مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة ، فكم من عالم عرف علوم اللغة واطلع على فنون المعرفة ولكنه لا يتاتى له انشاء فقرة فصيحة أو ادراك الساقط من الشعر أو الكلام ٠

وأمر هام آخر في دراسة أبي زيد وهو ارتحاله في سبيل طلب العلم لاشباع نهمه الذي لا يضع للعلم حدودا اقليمية ، وتلك خاصة تميزَ بها أبو زيد عن أقرانه وعلماء عصره من البصريين٠

فقد ارتحل أبو زيد الى الكوفة لتفوقها على البصرة في دراسة الشعر وجمعه ، وتتلمذ هناك على المفضل الضبي حيث قرأ عليه دواوين الشعراء ، وروى عنه قراءة عاصم ، وكان لذلك أثر واضح في ثقافة أبي زيد تمثل في امداده اللغة والنحو بالشواهد التي تفوّق بها على غيره ، وأثّر بها في تلاميذه والدارسين بعده ، وامتلأت بها كتب اللغة والنحو بشكل بارز ٠

أما الأثر الآخر لارتحال أبي زيد الى الكوفة في طلب العلم، **فقد كان في تاثره بالمذهب الكوفي وجمعه بين المذهبين ـ البصري والكوفي ـ مؤسسا المدرسة البغدادية ٠**

وتبرز أمامنا في هذا المقام مسألة على جانب كبير من الأهمية ، وجديرة بلفت الأنظار ، **وهي بدء تكوين بل نضج شخصية أبي زيد العلمية في هذه المرحلة من حياته** ، فتأتينا الأنباء بأن أبا زيد قد لقي الامام أبا حنيفة ، وهو على ما هو عليه من رسوخ قدم وعلو شان في العلم ، فيروى الامام حديثا فيه « يدخل الجنة قوم حفاة عراة منتنين قد أحمشتهم النار » ، فيقول أبو زيد : « منتنون قد محشتهم النار » ، ويستولى الاعجاب على الشيخ فيسأل : ممن أنت ؟ ويأتيه الجواب : من أهل البصرة، فيضيف الامام، أكُلُّ أصحابك مثلك ، فيكون الرد : أنا أخسهم حظا في العلم ، وينهي أبو حنيفة حديثه قائلا : طوبى لقوم تكون أخسهم » [2] ٠

ويرحل أبو زيد الى بغداد في زمن المهدي ، وهي رحلات علمية فيما نرجح ، حيث لم يكن لأبي زيد اتصال برجال الحكم ٠

---

١) انظر **تاريخ بغداد** ـ ابو بكر الخطيب البغدادى ٧٨/٩ ٠ روى ان ابا زيد كان عند شعبه ، وضجر شعبه من الحديث ، فرمى بطرفه ، فراى ابا زيد سعيد بن أوس في اخريات الناس ، فقال : اليّ يا ابا زيد ، فجاءه ، وجعلا يتناشدان الاشعار ٠

٢) انظر **تاريخ بغداد** ـ ابو بكر الخطيب البغدادى ٧٩/٩ ٠

ثقافة ابي زيد الأجنبية

لم تتوقف دراسة أبي زيد عند حدود الثقافة العربية ، فقد أوضحنا سابقا [١] في حديثنا عن الحركة العلمية في البصرة ـ في الفترة ما بين الربع الأول من القرن الثاني الهجري وحتى أوائل القرن الثالث ـ كيف أنها كانت تزخر بالعلم والعلماء ، وكيف أنها كانت مرتعا خصبا للدارسين حيث امتزجت العربية الأصيلة الممثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف والدراسات اللغوية بالثقافة الأجنبية الدخيلة التي تمثلت بما نقل الى العربية عن **الفارسية والهندية واليونانية** حيث نقلت كتب الطب والفلك والأدب والفلسفة بما فيها كتب أرسطو الثلاثة في المنطق ·

وكان نتاج تلاقي هذه الثقافات ازدهار الحياة العقلية في البصرة ، واقبال الدارسين وخاصة علماء الكلام ـ في نهم ـ على هذه الثقافة الواردة لتعميق علمهم وتقوية حجتهم واستنباطهم ·

وكان امتزاج الثقافات في وقت نشأت فيه المدرسة النحوية البصرية فلا بد والحالة هذه أن تتأثر بهذا التيار العلمي الدخيل ·

ومعلوم لدينا أن النحوي يبحث دائما عن حجة يؤيد بها قوله وذلك اما بالدليل العقلي كما في القياس أو النقل كما في السماع أو بهما معا ·

وقد سيطرت النزعة القياسية على المدرسة البصرية فوصف يونس بن حبيب بأنه صاحب قياس في النحو [٢] ، ووصف ابن أبي اسحق بأنه كان شديد التجريد للقياس [٣] ·

واخضع علماء اللغة في البصرة ما وصل اليهم عن العرب لمقاييس العقل والمنطق وهم وان أثروا بعملهم هذا اللغة الا أنهم قد بعدوا بها عن طبيعتها ·

تأثر صاحبنا بهذه الحياة العقلية في البصرة ، ولا بد ـ والحالة هذه ـ أن يكون قد شدا ألوانا من هذه الثقافات الدخيلة لما أوتي من همة عالية ورغبة شديدة في تحصيل العلم ، يدلنا على ذلك عمق ثقافته وغزارة علمه وسعة اطلاعه ، وانعكاس ذلك كله على كثرة مؤلفاته ·

وقد أوضحنا في مكان آخر من البحث [٤] معرفة أبي زيد ـ التي لم نعرف مداها ـ بالفارسية والنبطية والعبرية ، واوردنا الأمثلة التي تبين ذلك ، وقد جاءت هذه المعرفة ـ ولا شك ـ نتيجة تأثره بالثقافة الأجنبية والحياة العقلية في البصرة ·

خلاصة القول : ان أبا زيد في حياته العلمية اطّلع على ثقافات العصر وألمّ بما تزخر به البصرة من علوم ، وانه قد بدأ حياته العلمية بالثقافة العربية الخالصة التي قامت حول القرآن الكريم وتفسيره وقراءاته المتعددة ، والحديث الشريف وروايته ، والدراسات اللغوية التي قامت لخدمة القرآن والسنة ، ثم اعتنى بالثقافة الأجنبية التي اعتمدت على ما ترجم من كتب الحكمة والفلسفة والأدب والفلك ·

بقي أن نشير الى دراسة هامة اعتنى بها أبو زيد وأمضى سنوات عديدة من عمره في تحصيلها وجاب من أجلها الصحراء ، تلك هي مشافهة الأعراب والرواية عنهم ، وذلك ما سنتناوله في السطور التالية مكملين الحديث عن ثقافة أبي زيد ·

---

١) انظر البحث ص ٤ وما بعدها ·

٢) انظر **اخبار النحويين البصريين** لأبي سعيد السيرافي /٢٧ ·

٣) المرجع السابق /٢٠

٤) انظر البحث ص ١٥٧ ·

الرحلة الى البادية

اختلط العرب بالأعاجم وغيرهم من أبناء الأمم غير العربية نتيجة الفتح الاسلامي فادى هذا الاختلاط الى فساد ملكة اللسان العربي في المدن والى سقوط الأخذ عن أهلها والاحتجاج بكلامهم مما اضطر علماء العربية بدافع من غيرتهم على لغة القرآن وصيانتها أن يضربوا الى البادية للاستماع الى أهلها الذين سلمت السنتهم من اللحن ٠

اهتم العلماء اهتماما بالغا بالرحلة الى البادية حتى عدّوا ذلك من ثقافة العالم ، فكان أن نصح الخليل بن أحمد تلميذه الكسائي بالتوجه الى البادية يصقل نفسه بعد أن أمضى سنوات في الاستماع الى أستاذه والأخذ عنه ٠

ولقد أثار الكسائي في حضوره الى البصرة لسماع الخليل دهشة أحدهم حيث قال للكسائي : تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة ٠

ويعجب الكسائي بما وصل اليه أستاذه من العلم فيسأله من أين أخذت علمك هذا ؟

فيجيبه الخليل : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فيخرج الى البادية ويرجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ [١] ٠

ومن أجل ذلك تنافس علماء اللغة من بصريين وكوفيين في الرحلة الى البادية والأخذ عن العرب ، واشتهر بينهم في هذه الرحلة أبو زيد الأنصاري ، فهو يصرح في أول كتابه **النوادر** [٢] بأن ما كان فيه من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعه من العرب ٠

وقد أورد المؤرخون الذين ترجموا لأبي زيد أكثر من عبارة تدل على قيامه بهذه الدراسة ، وصفه الأزهري بأنه « كثير السماع عن الأعراب » [٣] ، وقال عنه السيرافي بأنه « كثير السماع من العرب » [٤] ، وروى أبو الطيب اللغوي بأنه أحفظ الناس للغة بعد أبي مالك وأكثرهم أخذا عن البادية [٥] ٠

وكان أن نزل بعض أعراب مضر مثل عقيل وقشير بالبصرة من محل أصابهم فتعلم عندهم أبو زيد ٠

ويريحنا أبو زيد عندما يقول : « ما اقول قالت العرب الا اذا سمعته من عجز هوازن وبني كلاب وبني هلال أو من عالية السافلة أو من سافلة العالية والا لم أقل قالت العرب » [٦] ، فيبين لنا بذلك القبائل العربية التي طاف بها في رحلاته ، وتجدر الاشارة الى أن هؤلاء الذين ذكرهم أبو زيد هم أفصح الناس كما يقول السيوطي [٧] ٠

وتبرز لنا في رحلات أبي زيد الى البادية مسالة هامة تبين لنا مدى ما يتمتع به الرجل من شخصية قوية وعقل حر ورأي مجتهد في رسم منهج مستقل له ، فقد كان رحمه الله ـ مع تحريه

---

١) انظر معجم الأدباء ـ ياقوت ١٦٩/٣ ٠

٢) انظر النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصارى /١

٣) تهذيب اللغة ١٢/١

٤) اخبار النحويين ـ ابو سعيد السيرافي /٥٤

٥) مراتب النحويين ـ ابو الطيب اللغوى /٤١

٦) المرجع السابق /٩٠

٧) المزهر ـ السيوطي ٤٨٣/٢

الشديد وتوثيق الناس له **يوسع دائرة من يؤخذعنهم** ويروي ما سمعه ولو كان غريبا نادرا ، ولذلك انفرد بأشياء ، وكان ما روى عنه من اللغة كثيرا ، بعكس زميله الأصمعي الذي كان يضيّق دائرة الأخذ ولا يجوّز الا أصح اللغات ٠

ويضاف لما تقدم مسألة أخرى تميز بها أبو زيد عن كثير من علماء عصره **وذلك أن خروجه للبادية كان خروجا جادا** يهدف الى جمع اللغة ورواية نادرها وغريبها حتى غلب عليه ذلك ، ولم يكن خروجه سعيا الى جمع ما يروج في قصور الخلفاء عند سمرهم ومجالس أنسهم ٠

وكان أيضا ينشر ما يسمعه من الأعراب بين الناس ولم يكن ضنينا كخلف الأحمر ، روى الجوهري [١] : « قال أعرابي بمحضر من أبي زيد الأنصاري ، ما خيرَ اللبنَ للمريض ، بنصب (خير واللبن) فقال خلف ما أحسنها من كلمة لو لم تدنسها باسماعها الناس ، قال شمر وكان خلف ضنينا ونشر أبو زيد في الناس ، فلم يستطع خلف أن يحتفظ بها لنفسه » ٠

وهو في خروجه متعطش للعلم يسأل في المسألة غير واحد من العرب ممن يوثق في عربيته ٠

ويلح في سؤاله ولا يقنع بالاجابة الأولى ، حكى أبو حاتم عن أبي زيد أنه قال : « قلت لأعرابي ما المتكاكى قال المتآزف قلت وما المتآزف قال المحبنطي قلت وما المحبنطي قال أنت أحمق ومضى » [٢] ٠

فانت ترى معي كيف أن أبا زيد يكثر من السؤال ليجمع مزيدا من الألفاظ التي تجتمع على معنى واحد ، مما يدل على تتبعه لهذه الظاهرة اللغوية ـ الترادف ـ ويبين أيضا جدية خروجه لجمع الفاظ اللغة ٠

وقد أكسبته كثرة تنقلاته في البادية ولقاءاته بالأعراب خبرة في مناقشتهم واجراء الحوار معهم ، فهو يقول لمن تجمهر من العلماء حول أعرابي فصيح مستوحش من الناس دعوني أسأله وأتولى السؤال فأنا أرفق به [٣] ٠

كما أكسبته تلك الرحلات معرفة دقيقة بلغات العرب وكلامهم ، أنشد لرجل من بني عقيل :

أَلَمْ تَعلَمي ما ظِلتُ بالقوم واقفا ... على طَلَلٍ أَضحَتْ مَعَارِفُهُ قَفرا

ثم عقب عليه بقوله : فكسروا الظاء في انشادهم وليس من لغتهم [٤] ، مما يدل على معرفة أبي زيد بكلامهم ٠

وتصور لنا الأخبار المروية العلاقة بين أبي زيد والأعراب وكيف كان يسلك الوسائل المختلفة للحصول على ما يريد ، فكان أحيانا يقتصر على الاستماع اليهم دون أن يتدخل في شيء الا أن يسجل ويروي ما سمع كأن يقول : « سمعت أبا مرة الكلابي وأعرابيا من بني عقيل يقولان : فَكاك الرقبة (بفتح الفاء) وقال غيرهما فِكاك (بكسر الفاء) [٥] ٠

---

١) **مقدمة الصحاح** ٢٩/١ ، ٣٠ تاليف الجوهري تحقيق احمد عبد الغفار عطار ٠ عني بنشره السيد حسن شربتلي٠ مطابع دار الكتاب العربي بمصر ٠

٢) **نزهة الألباء** /٨٦ تاليف ابي البركات كمال الدين بن الأنبارى تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، ط بغداد سنة ١٩٥٩م ٠

٣) **مجالس العلماء** /١٤٢ تاليف الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، الكويت سنة ١٩٦٢م ٠

٤) **لسان العرب** / فيض

٥) **اصلاح المنطق** / ٩٨ تاليف ابن السكيت تحقيق احمد شاكر وزميله ، الطبعة الثالثة مصر سنة ١٩٧٠م ٠

وفي بعض الأحيان يستدرج الأعراب للكلام ، فقد حضر عنده أعرابي فقال له أبو زيد : أنتم أهل خشونة يا أهل البادية ، ونحن أهل لين وغزل فقال الأعرابي : كيف تكونون أغزل منا وفينا من يقول :

هَيفاءُ مُقبِلَة عَجزاءُ مُدْبِرَة لَمْ تَجفُ طولا ولا أزْرى بِها قصرُ
غَرّاء كالقمرِ المشهورِ طَلعَتُه بل لا يُرى مثلها لما استوى القمرُ
ما لاَن قلبي لنساه عَنْ مَوَدّتِها وَهَل يلينُ لقولِ الواعظِ الحجرُ

قال أبو زيد : فكتبنا [1] .

لكن أبا زيد في أحيان كثيرة يلجأ الى السؤال المباشر كان يقول : سألت أعرابيا ... وقلت لأعرابي .

وقد وصل الينا أسماء بعض الأعراب الذين اتصل بهم أبو زيد وأخذ عنهم :

يأتي في مقدمة هؤلاء العجاج ، فقد بلغ من شدة اعجاب أبي زيد به أنه كان يروى قصائده ويلقنها لتلاميذه .

أما علاقة أبي زيد برؤبة بن العجاج فقد فاقت علاقته بوالده وكثر اتصاله به الى حد أنه كان يستوقفه في الطريق ويستنشده الشعر ليكتبه [2] ، حتى عرف عنه كثرة مشافهته له وسماعه منه ، روى أن أبا حاتم عندما اختلف مع شيخه الأصمعي في رواية بيت من الشعر ، قال له : أخبرني به من سمعه من فَلق فيّ رؤبة ، يعني أبا زيد الأنصاري [3] .

وكان أبو زيد الى جانب روايته الشعر عن رؤبة يروى عنه اللغة أيضا . وبلغت هذه العلاقة الى حد أن أبا زيد كان يتتبع رؤبة ويروى أخباره .

ولعل أبا زيد في صلته برؤبة وكثرة أخذه عنه متأثرا باستاذه يونس بن حبيب الذي كان شديد الاختصاص برؤبة بن العجاج حتى قال عن نفسه انه غلام رؤبة .

واتصل أبو زيد بأبي الدقيش الأعرابي وكان أفصح الناس ، ولازمه وزاره في مرضه .

كما كانت لأبي زيد صلات بالمنتجع الأعرابي وأبي خيرة العدوى فقد روى عنهما .

ويضيف المؤرخون أسماء عدد من فصحاء الأعراب أخذ عنهم أبو زيد مثل أبي مهدية وأبي طفيلة وأبي البيداء وأبي مالك عمرو بن كركرة .

ورأيت أبا زيد في كتابه **النوادر** في اللغة يروى عن عدد من الأعراب ، أذكر منهم : أبا المضاء الكلابي ، وأبا السمَّال العدوى ، والعلاء ، والحرمازى والعكلي ، والحجاج الكلابي ، وأبا مرة الكلابي ، وأبا العامرية النميري ، وأبا الصقر ، والغاضري ، وأبا الضبيب ، وأبا الساج وأبا السمح والصقيل .

ونعيد الى الأذهان ما سبق قوله من أن عامة هذا الكتاب من سماع أبي زيد عن العرب باستثناء ما أنشده عن المفضل .

---

١) **نور القبس** /١٠٥ ، ١٠٦
٢) المرجع السابق /١٠٧
٣) **الخصائص** ٢٩٤/٣ تاليف ابي الفتح عثمان بن جني ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤هـ ــ سنة ١٩٥٥م .

لم يكن أبو زيد يقصر جهوده على هؤلاء بل كان دائم البحث عن المعرفة فهو يلتقي بالأعراب في حلقة أستاذه يونس في مسجد البصرة ، وفي حلقة أستاذه المفضل في مسجد الكوفة كما يلتقى بهم في حلقته عندما يجلس للتدريس في مسجد البصرة ٠

نتبين من هذه الأخبار مقدار ما كان يبذله أبو زيد من جهد في سبيل تحصيل علوم العربية التي اخلص لها وأفنى عمره الطويل من أجلها ، لا يشغله عنها شاغل ، فاذا أضيف الى ذلك عقلية واعية وهمة عالية كانت الحصيلة عَلَماً من أعلام العربية اقترن اسمه بها على مر الأيام والعصور ٠

شيوخ ابي زيد ومن اخذ عنهم

طاف أبو زيد بأشياخ كثيرين لارضاء رغبته الشديدة في تحصيل العلم وكان بعض شيوخه علماء في النحو واللغة ، في حين كان الآخرون أئمة في الحديث ٠

وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء عديد من شيوخ أبي زيد وان لم تأت عليهم كلهم :

فمن شيوخه في الحديث : حميد الطويل (ت سنة ١٤٢هـ) ، وسليمان التيمي (ت سنة ١٤٣هـ) ، وعمرو بن عبيد (ت سنة ١٤٣هـ) ، وعبدالله بن عون (ت سنة ١٥١هـ) ، وسعيد ابن أبي عروبة (ت سنة ١٥٧هـ) ، وشعبة بن الحجاج (ت سنة ١٦٠هـ) ، وقيس بن الربيع (ت سنة ١٦٨هـ) ٠

وهؤلاء لم يكن لهم كبير أثر في أبي زيد الأنصاري ، **فقد اقتصر اثرهم في ظهور النزعة السلفية عند ابي زيد وفي ميله الى التحري والدقة ، وفي ارتحاله في سبيل طلب العلم ٠**

أما شيوخه في النحو واللغة فياتي في مقدمتهم **أبو عمرو بن العلاء والمفضل الضبي** ، وسوف نبرز اثرهما الواضح في أبي زيد الأنصاري في حديث لاحق ، **حيث يمثل الشيخان النزعتين البصرية والكوفية في منهج أبي زيد ٠**

ومن شيوخ أبي زيد في النحو واللغة : الخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر الثقفي وأبو الخطاب الأخفش الأكبر ورؤبة بن العجاج وأبو السمَّال قعنب العدوى ٠

اما الخليل بن احمد فقد كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه ، **وقد تاثر ابو زيد في منهجه بالخليل في حسن استعماله للقياس** ، حيث كان لأبي زيد بما افاده من أستاذه ، فضل معرفة باستعمال القياس ٠

كما اعتمد أبو زيد على الخليل في النحو ، فكان يعرض على شيخه ما يعترضه من مسائل نحوية ، كان يقول سألت الخليل عن الذين قالوا : مررت بأخواك وضربت أخواك[١] ، أو أن يقول : قلت للخليل لم قالوا في تصغير واصل أو يصل ولم يقولوا ووَيصل[٢] ٠

والأمثلة على ذلك كثيرة وهي في مجموعها تبين مدى ما أفاده أبو زيد في هذا المجال من شيخه الخليل امام النحو في عصره ٠

---

١) المنصف ٢٠٣/١ لابي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق ابراهيم مصطفى وزميله طبعة مصر الاولى سنة ١٩٦٠م ٠
٢) العقد الفريد ٤٨٤/٢ تاليف ابن عبد ربه الأندلسي ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٢م ٠

وقد كانت لأبي زيد مكانة سامية عند الخليل ، حيث كان الخليل يأخذ رأيه فيما يعرض عليه من مسائل اللغة [1] ٠

أما يونس بن حبيب فمعروف أن النحو قد غلب عليه ، وكان له قياس فيه ، ومذاهب يتفرد بها ، وبذلك عرف بتحرره ٠

واختلف أبو زيد الى حلقة يونس بن حبيب عشر سنين ، وكان الشيخ يعظم مكانة تلميذه ، وطبيعي ان يتأثر أبو زيد والحالة هذه بأستاذه ٠ **وكان اهم ما افاده منه تحرره في منهجه وانفراده بآراء يتميز بها عن شيوخه ومعاصريه على نحو ما سيتضح لنا في مذهبه في النحو واللغة ٠**

واقتصر أثر عيسى بن عمر في أبي زيد الأنصاري على احتفائه بالغريب ، وتقعره في اللغة ٠

أما شيوخ أبي زيد الآخرون فلم يكن لهم فيه كبير أثر وقد أوضحنا تأثر أبي زيد برؤبة بن العجاج في مكان آخر من البحث [2] ، وحان الوقت لكي نبرز أثر شيخيه الكبيرين : أبي عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبي ٠

أثر ابي عمرو بن العلاء في أبي زيد الأنصاري

أبو عمرو بن العلاء أمير القراء السبعة ، وعَلَم من أعلام القرآن ، والى قراءته صار أهل البصرة أو أكثرهم [3]٠

وكان الى جانب ذلك من أعلم الناس بالفاظ العرب ونوادر كلامهم وفصيح أشعارهم وسائر أمثالهم ٠

وفي منهجه في اللغة ، كان اشد تسليما للعرب ، فقيها بالعربية متمسكا بالآثار ، لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله ، وكان حسن الاختيار غير متكلف ، قدوة في العلم واللغة ، امام الناس في العربية ، مقدما في عصره ، فكان بحق سيد العلماء ٠

وقد أخذ عنه البصريون والكوفيون من الأئمة الذين صنفوا الكتب في اللغات وعلم القرآن والقراءات ، ومنهم أبو زيد الأنصاري ٠

كان أبو زيد من جلة أصحاب أبي عمرو ، فلا غرو أن نرى أثر أبي عمرو فيه واضحا في أكثر من مجال ٠

فقد كان أبو عمرو كما أسلفنا من الأعلام في القرآن ، وقد ظهر أثر ذلك في كثرة اهتمام أبي زيد بالقرآن قراءة وتفسيرا واعرابا ، الى حد أنه ألف كتابا في قراءة أبي عمرو مما يدل على عظيم تأثره به ، كما ألف كتابين آخرين في معاني القرآن وغريبه ٠

أما في مجال الحديث الشريف فتروى كتب التراجم لنا ان أبا زيد روى الحديث عن أبي عمرو ابن العلاء [4] .

---

١) انظر المزهر / السيوطي ٤٠٢/٢

٢) انظر ص ٣٢

٣) تهذيب التهذيب ـ ابن حجر ١٨٠/١٢ ٠

٤) معجم الادباء ـ ياقوت ٢١٦/١٠

أما الأثر الكبير الذي خلّفه أبو عمرو في أبي زيد فكان في مجال اللغة ، والى جانب الروايات اللغوية الكثيرة ، والشواهد الشعرية التي يرويها أبو زيد عن أبي عمرْو نجد أثر أبي عمرو واضحا في منهج أبي زيد اللغوي ، وذلك في ظهور النزعة السلفية عنده ، واهتمامه الكبير بالأثر وتقديمه السماع ، وسوف نفصل ذلك في حديثنا عن منهج أبي زيد اللغوي ٠

ويأتي احتفاء أبي زيد بالغريب دلالة واضحة على تأثره بأستاذه مما أكسبه معرفة أوسع بكلام العرب ومذاهبهم ٠

والحق أن أبا زيد قد أفاد كثيرا من شيخه أبي عمرو بن العلاء ، فاذا أضفنا الى ذلك عقلية فذة وشخصية مستقلة نتبين أثر ذلك في تكوين منهج مستقل ومدرسة جديدة ٠

أثر المفضل الضبيّ في أبي زيد الأنصاري

اشتهر المفضل الضبيَّ بكثرة روايته للشعر ، وكان أوثق من روى الشعر من الكوفيين الى حد أنه كان يتحرج من قول الشعر مع علمه به ، وقد قيل له : لِمَ لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ فقال : علمي به يمنعني من قوله ٠ ولأمانة المفضل في رواية الشعر قال عنه محمد بن سلام الجمحي : أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدقه من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي ٠

وقد ظهر أثر ذلك كله واضحا في تلميذه أبي زيد حيث روى عنه شعرا كثيرا ، وقد اعترف أبو زيد في مقدمة كتابه النوادر بأن ما جاء في الكتاب من شعر فهو سماعه من المفضل الضبيَّ ، وقد ورد في الكتاب ثلاثة أبواب من الشعر ، سوى ما روى عنه متناثرا في أبواب الرجز٠ والحقيقة أن أبا زيد قد أفاد كثيرا من كثرة الأشعار التي رواها عن المفضل حيث استطاع أن يمد اللغة بالشواهد الشعرية ، فكان له من الشواهد ما ليس لغيره ٠

وكان المفضل الى جانب علمه بالشعر عالما بالنحو واللغة والغريب وأيام الناس ، وكان أحد الأئمة الفضلاء الثقات ٠

وعلى ذلك ، فان أثر المفضل الضبيَّ في أبي زيد لم يتوقف عند حد رواية الشعر ، بل تعدى هذا الأثر الى ميدان اللغة والنحو ، فقد أفاد أبو زيد من الأعراب الذين يحضرون حلقة المفضل ، ومن المناقشات النحوية واللغوية التي كانت تدور في هذه اللقاءات ، ونقل لنا بعض آراء المفضل في النحو ٠

على أن أهم أثر للشيخ في تلميذه كان في تأثر أبي زيد بالمنهج الكوفي وسوف يأتي الحديث فى مذهبه النحوى عن أن أبا زيد قد مزج بين المنهجين الكوفي والبصري مكونا المدرسة البغدادية ٠

وفي مجال القرآن اتخذ أبو زيد المفضل الضبيَّ طريقا لرواية قراءة عاصم بن أبي النجود٠

وأخيرا فاننا نجد أبا زيد يعني بنقل أخبار المفضل ، وذلك يظهر لنا مدى قوة اتصاله وتأثره بـه ٠

تلاميذ أبي زيـد

بدأ أبو زيد الأنصاري حلقته في سن مبكرة ، ومع أن كتب التراجم لم تشر الى السنة التي بدأ فيها التدريس الا أن ابن خلكان أشار الى أن عددا من طلاب أبي عمرو بن العلاء الذين لازموه طويلا أقاموا حلقاتهم بعد وفاته سنة ١٥٤هـ ، ولما كان أبو زيد من جلة أصحاب أبي عمرو فنحن لا نستبعد والحالة هذه أن يكون أحد هؤلاء فيكون عمره اذ ذاك اثنين وثلاثين عاما ٠

وقد طال عمر أبي زيد حتى قارب المائة ، فطال تبعا لذلك عمر حلقته حتى قال الأصمعي [١] انه جلس اليه ثلاثين سنة ، وقال خلف [٢] الأحمر انه جلس الى أبي زيد عشرين سنة ٠

وربما مال بنا الظن الى أن الأصمعي أو خلفا الأحمر قد بالغا في قولهما أو تهاونا في ذكر السنين ، ولكن هذا الظن سرعان ما يتبدد اذا عرفنا أن أبا زيد عاش قرابة قرن من الزمان وأنه بقي مخلصا لحلقته ملازما لها حتى أواخر عمره على ما روى لنا التوزى [٣] ٠

وقد كانت حلقة أبي زيد في المسجد يؤمها الناس ، ويفد اليها الأعراب من البادية وتتنوع فيها مادة الدرس ، فيدرس فيها الحديث ، كما تدرس اللغة والنحو ، وعلوم القرآن ويُعلَّم القياس ٠

غير أن الهدف الأول الذي رمى اليه كل الذين قصدوا الحلقة هو « علم العربية » الذي برز فيه أبو زيد ، ووصل فيه مكانة سامية حتى عدّ أحد أئمة البصرة الثلاثة في هذا العلم [٤] ٠

وكان أبو زيد بالاضافة الى سعة علمه وشهرته الواسعة جميل الخلق محببا ، فلا عجب والحالة هذه أن تعظم حلقته وأن يتوافد اليها طلاب العلم من كل حدب وصوب ٠

وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء العديد من تلاميذ أبي زيد الذين جلسوا في حلقاته وأخذوا منه أخذا مباشرا ، لكنها لم تحصرهم ، وقد وقعت على أسماء اثنين وأربعين منهم ٠

وكان الرجل محظوظا فيهم فبرز منهم كثيرون في علوم شتى : فقد اشتهر منهم في اللغة : أبو حاتم السجستاني والتوزي والرياشي واللحياني والزيادي ٠

واشتهر منهم في النحو : سيبويه وأبو عثمان المازني وأبو عمر الجرمي واشتهر من تلاميذه في الأدب والأخبار : الجاحظ ، وعمر بن شبة ، وأبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بأبي العيناء ٠

وأورد ابن الجزرى جماعة من تلاميذه في قراءة القرآن أذكر منهم : خلف بن هشام البزاز ، ومحمد بن يحيى القطعي ، وأبا حاتم محمد بن أدريس الحنظلي وسليمان بن أيوب ٠

وفي الحديث روى عنه أبو حاتم السجزى واعتد بروايته عنه ، ومن الشعراء المشهورين الذين تتلمذوا عليه : أبو نواس ٠

---

١ ، ٢) انظر تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ٧٧/٩

٣) انظر ص ١٥ من البحث ٠

٤) الاقتراح ـ السيوطي /١٠١

وبطبيعة الحال لن يتاتّى لي الحديث عن جميع تلاميذ أبي زيد لأن ذلك يحتاج الى مجلدات ضخمة ، لذلك سوف أضرب صفحا عن الكلام عن تلاميذه في الحديث والقرآن ، فليس من شأن البحث الخوض في هذا المجال ٠

وسيقتصر الحديث على تلاميذه في اللغة والنحو ، حيث أخص ثلاثة منهم ، بابراز أثر أبي زيد فيهم ، أحسب أن أثره عندهم كان أوضح من غيرهم ، وهؤلاء الذين سيتناولهم الحديث هم **سيبويه وابو حاتم السجستاني وابو عثمان المازني ٠**

أثر أبي زيد في سيبويه

أما سيبويه فقد جلس الى أبي زيد في حلقته ، وعد الأستاذ علي الجندي ناصف أبا زيد من شيوخ سيبويه الذين اعتمد عليهم في تأليف كتابه [١] ٠

لكني وجدت أثر أبي زيد في سيبويه ضئيلا في مجال النحو نظرا لاختلافهما في مذهبهما النحوى ، فقد كان أبو زيد على نحو ما سنبين في مذهبه النحوى [٢] يتفق مع الكوفيين في بعض جوانب مذهبه ، ويقول بالقياس على الشاذ ويطبقه في منهجه ، ويحترم السماع ويستلهم العربية في تفسير المسائل النحوية بدلا من اللجوء الى التعليل وتحكيم الأصول ٠

في حين كان سيبويه يرفض القياس على الشاذ ، ويحكّم القواعد فيما يروى عن العرب ، ويرفض من السماع ما لا يتفق مع أصوله ٠

وتحدثنا الروايات عن لقاء بين أبي زيد وسيبويه حيث يقول أبو زيد [٣] : سمعت من العرب من يقول قَريت وتوضَّيت ، فيقول سيبويه كيف تقول منه يفعل فقال أقرأ ، فقال لا ينبغي أن تقول أقرأ يريد سيبويه أن هذا ابدال لا قوة له ولا قياس يوجبه ولو كان على القياس لوجب أن تخرج الكلمة الى ذات الياء فيقول أقري كما تقول رميت أرمي ٠

ومصدر الخلاف بين الشيخ وتلميذه في هذه المسألة ـ وفي أمثالها بالطبع ـ أن الشيخ قدم السماع واحترمه فاحتكم الى الاستعمال لأنهم لا يقولون في المستقبل الا يقرأ [٤] ، في حين أن سيبويه يحتكم الى المنطق والأصول النحوية ويرفض من السماع ما يخالفهما ٠

ومن أجل ذلك كان الخلاف بين منهجيهما جذريا فضعف تأثر التلميذ بشيخه في مجال النحو ٠

لذلك فقد اقتصر أثر أبي زيد في سيبويه على مجال اللغة ، فعامة ما يرويه في الكتاب عنه انما هو لغويات ، كأن يقول سيبويه [٥] : « وحدثنا من لا نتهم أنه سمع من العرب من يقول : رويد نَفسَه ، جعله مصدرا كقوله : « فَضَرْبَ الرقاب » [٦] ٠

---

١) انظر **سيبويه امام النحاة** ـ علي النجدي ناصف /٩٢
٢) انظر البحث ص ١١٠ وما بعدها ٠
٣) انظر **سر الصناعة** /٢٧٦ تاليف ابن جني ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠ لغة
٤) انظر **لسان العرب** / قرا
٥) **كتاب سيبويه** ، ٢٤٥/١ تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة مصر سنة ١٩٦٦م ٠
٦) **سورة محمد** / ٤

أو أن يقول[١] : « وزعم من نثق به أنه سمع رؤبة يقول : هذا غلام لك مقبلا جعله حالا ولم يجعله من اسم الأول ·

وقد تتبعت مضمون روايات سيبويه عن أبي زيد في بعض مظانها أملا في أن تكشف لنا صفة أبي زيد عند سيبويه وأنه المعني بها ، لكني وجدت العلماء ـ وفي مقدمتهم أبو سعيد[٢] السيرافي شارح الكتاب ـ ينقلون هذه الروايات من الكتاب كما أوردها سيبويه دون أن يكشفوا لنا حقيقتها مما يجعلنا نكتفي بما صرحت به الروايات التاريخية التي أجمعت على أن ابا زيد هو المعنيّ بعبارة سيبويه ·

اثر أبي زيد في أبي حاتم السجستاني

كان أبو حاتم عالمـا بالقرآن واليه نسب نفسه[٣] ، كما كان اماما بارعا في اللغة والشعر في نهاية الثقة والاتقان ، حسن العلم بالعروض واخراج المعمـيّ ، يقول الشعر الجيد ويصيب المعنى ، لكنه لم يكن بالحاذق في النحو ، فكان اذا اجتمع بأبي عثمان المازني في دار عيسى بـن جعفر الهاشمي تشاغل أو بادر بالخروج خوفا من أن يسأله عن مسألة في النحو[٤] ·

يضاف لِما تقدم أن أبا حاتم كان جمّاعا للكتب يتبحر فيها ، كما كان كثير التأليف فـي اللغة ، وكتبه في نهاية الاستقصاء والحسن والبيان ·

كان أبو زيد يرى في تلميذه أبي حاتم حبّه للعلم وبراعته في اللغة فقرّبه الى نفسه وانعكس أثر ذلك على أبي حاتم في كثرة سماعه لأبي زيد حتى انه يسمع المسألة الواحدة مائة مرة كما يروى عن نفسه[٥] ·

يضاف الى ذلك أن أبا حاتم كان يرفع من شأن أستاذه أبي زيد ، ويدفع عنه تهمة القدر ، ويوثقه في حماس ، ويدعو له بطول العمر ·

وكانت ثمار هذا الاتصال الوطيد وتلك العلاقة المتينة بين الشيخ وتلميذه ازدياد التأثـير في أكثر من مجال ·

ففي مجال علم القرآن الذي نسب أبو حاتم نفسه اليه ، رأيته ينقل عن أبي زيد روايات فـي معاني القرآن واعرابه ، كما يروى القراءة عنه ، ولا غرو في ذلك فقد كـان أبو زيـد علَما فـي القرآن ·

وكان من ثمار تأثر أبي حاتم بأبي زيد أن ألّف كتابا في القراءات ، فكان مما يفخر به أهل البصرة حيث كان أجلّ كتاب صنف في هذا النوع الى زمانه ·

أما في ميدان اللغة فقد بلغ أثر أبي زيد في أبي حاتم الذروة ، ونستطيـع أن نلمس ذلـك بوضوح اذا ما نظرنا الى كتاب **الأضداد** لأبي حاتم حيث نشهد كثرة الروايات عن أبي زيد الى حد يجعلنا على يقين أن أبا زيد كان مصدرا مهما من مصادر الكتاب ·

---

١) **كتاب سيبويه** ١١٣/٢
٢) انظر **شرح الكتاب** ٥٥/٢ ، ٥٦ تاليف السيرافي ، مخطوطة بدار الكتب رقم ١٣٧ نحو
٣) **الاذكياء** / ٥٧ تاليف ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزى ، ط بيروت ـ لبنان ·
٤) انظر **وفيات الاعيان** ـ ابن خلكان ٣٩٠/١ ·
٥) **النوادر في اللغة** ـ لابي زيد/١٣٦ ، طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م ·

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد كثرت الروايات اللغوية التي يرويها أبو حاتم عن أبي زيد ، كما تعددت الشواهد التي ينقلها عنه ، خاصة وأن لأبي زيد من الشواهد ما ليس لغيره ، وقد ظهر كل ذلك واضحا في كثير من كتب اللغة : أذكر منها على سبيل المثال كتاب **الأضداد** لأبي الطيب [١] اللغوي ، وكتاب **المعاني الكبير** [٢] لابن قتيبة ، **ومعجم لسان العرب** [٣] لابن منظور .

وينقل أبو حاتم عن أبي زيد الغريب النادر لأن أبا زيد كان من أشهر البصريين في روايته والاحتفاء به ، جاء في كتاب **المزهر** للسيوطي [٤] : « قال سيبويه : لا نعلم في الكلام آفعِلاء الا يوم الأربعِاء ، قال ابن قتيبة وقال لى أبو حاتم ، قال لى أبو زيد قد جاء الأرْمِداء وهو الرَّماد العظيم » .

والحق أن أبا حاتم كان يعرف تماما أثر شيخه في ظاهرة النوادر في اللغة ، ويعلم مكانته المرموقة فيها ، ولأجل ذلك فقد أكب على كتابه **النوادر** ، وقام بشرحه ، لأجل أن تتحقق له الفائدة المرجوة منه .

وكان أبو حاتم يفزع الى شيخه كلما غمض عليه معنى بيت من الشعر لأنه يعرف مدى سعة علم شيخه بكلام العرب ، حدث صاحب الأغاني أن بشار بن برد قال في دَيسم العِنزى [٥] :

آدَيسَمُ يابنَ الذِّئب من نَجلِ زارع أتَرْوى هجائي سادِرا غيرَ مُقصرِ

قال أبو حاتم : فانشدت أبا زيد هذا البيت وسألته ما يقول فيه .

ويأخذ رأي أستاذه في الشعراء ومنزلتهم فيسأله أيهما أشعر بشار أم مروان ؟ فيجيب مروان أجد وبشار أهزل [٦] .

وهكذا فقد أفاد أبو حاتم كثيرا من شيخه في مجال الشعر حتى أصبح اماما بارعا فيه .
وقد بلغ تأثر أبي حاتم بأبي زيد في مجال اللغة الى حد جعله يقدّم روايته ويعتمدها فيرد ما يخالفها ، قال أبو حاتم ، حدثني أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري قال : العوّا مقصور مؤنث : اسم كوكب لا يمدّ ، فانشدني عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير شعرا فمدّ العوا ، فرددته عليه ولم اقبله منه ولم أثق بعلمه في ذلك [٧] .

وقد دفعه هذا الأمر الى أن يناقش أستاذه الأصمعي فيما يرويه مقدما رواية أبي زيد ، موردا الأدلة على صحتها ، قال أبو حاتم :

قرأت على الأصمعي رجز العجاج حتى وصلت الى قوله :

جابا ترى بليتَه مُسَحَّجا

---

١) على سبيل المثال / ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥٦ ، ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٧١ ، ٥٤١ ، ٥٤٦ .
٢) على سبيل المثال ١٨١/١ ، ٣٧٦/١
٣) على سبيل المثال / رتث ، سمج ، انس ، فيض ، ثطط ، صبغ ، هنم ، حبل ، اقم .
٤) ٥٠/٢
٥) انظر **الاغاني** ١٤٦/٣ تاليف ابي الفرج الأصبهاني ، طبعة بيروت سنة ١٩٥٥م .
٦) المرجع السابق ١٤٣/٣
٧) مجالس العلماء للزجاجي / ١٩٣

فقال : تليله مسحجا ، فقلت : بليته ، فقال : هذا لا يكون ، فقلت له : أخبرني به من سمعه من فلق فيّ رؤبة ، أعني أبا زيد الأنصاري ، فقال هذا لا يكون . قلت : جعل مسحجا مصدرا أي تسحيجا فقال هذا لا يكون . فقلت : فقد قال جرير :

أَلَمْ تعلمي بِمُسرحي القَوافي

أي تَسريحي ، فكأنه توقف . قلت : فقد قال تعالى : « وَمَزَّقناهُمْ كُلَ مُمَزَّق »[1] فامسك .

فأنت ترى معي مقدار تأثر أبي حاتم بأبي زيد الأنصاري وتعلقه بآرائه وتحمسه لاقامة الدليل على صحتها مما يبرز عظيم الفائدة التي جناها أبو حاتم من شيخه أبي زيد .

هذا ، ولم يقتصر تأثر أبي حاتم بأبي زيد على الرواية عنه ، بل ان أبا حاتم قد اتخذ شيخه طريقا في الرواية عن يونس وأبي عمرو بن العلاء[2] .

أثر أبي زيد في أبي عثمان المازني

كان أبو عثمان المازني من فضلاء الناس وعظمائهم ورواتهم وثقاتهم ومن أهل القرآن ، حاذقا جيد الحفظ والفهم ، كثير الرواية متسعا فيها ، يتشبه بالفقهاء ، لا يناظره أحد الا قطعه لقدرته على الكلام ، اذا ناظر أهل الكلام لم يستعن بشيء من النحو ، واذا ناظر أهل النحو لم يستعن بشيء من الكلام .

وقد ناظر الأخفش في مسائل كثيرة فقطعه ، فكان اذا التقى به تشاغل الأخفش أو بادر خوفا من أن يسأله المازني عن النحو .

وقد احتل المازني مكانة سامية بين علماء عصره ، فكان علاّمة زمانه ، وشيخ النحاة بعد سيبويه .

وقد أخذ المازني اللغة عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش .

لكن أبا عبيدة كان قد منعه من الجلوس اليه فترة لأن المازني كان قد أومأ الى غلط أبي عبيدة في مسألة فأثار بذلك غضبه ، فانصرف المازني وحمل اليه اخوانه[3] .

وقد رمي المازني عند الأصمعي السنّي بالقدر والميل الى مذاهب أهل الاعتزال ، فكان اذا أقبل عليه أطبق الأصمعي نعليه وقال : نعم القناع للقدري ، فقلّل غشيانه ، وقلّت لذلك روايته عنه[4] .

وفي حين كثرت المناقشات والمناظرات بين أبي عثمان المازني وبين الأصمعي وأبي عبيدة لم يحدث صدام أو نقاش أو مناظرة بينه وبين أبي زيد الأنصاري .

---

١) سورة سبا / ١٩

٢) انظر شجر الدر في تداخل الكلام ـ ابو الطيب اللغوي / ١٧٤ ، ١٧٥ ، تحقيق محمد عبد الجواد ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦م .

٣) انظر بغية الوعاة ـ السيوطي ٤٦٤/١

٤) معجم الأدباء ـ ياقوت ١٢٥/٧

يضاف الى ذلك أن أبا زيد كان أعلم من أبي عبيدة والأصمعي في النحو ، وكان يحفظ ثلثي اللغة كما قيل ٠

ومن هنا جاء اعتماد أبي عثمان على أبي زيد الأنصاري في اللغة وتأثره به ، وكثرة رواياته عنه ، وملازمته له ٠

والحق يقال : ان الشيخ قد أخلص في تعليم تلميذه حتى اللحظات الأخيرة من حياته مما أثار دهشة التلميذ [١] ٠

فلا غرو ــ والحالة هذه ــ أن يكون تأثر المازني بأبي زيد واضحا جليا في عدة مجالات ٠

وتستطيع ان نلمس أثر أبي زيد في أبي عثمان بوضوح اذا ما نظرنا الى كتاب التصريف للمازني ، حيث نشهد كثرة الروايات عن أبي زيد الى حد يجعل القارىء يدرك ببساطة أن أبا زيد كان مصدرا مهما من مصادر الكتاب ٠

كذلك رايت أبا عثمان المازني يروى عن أبي زيد كثيرا من الشواهد الشعرية ، فقد كان لأبي زيد من الشواهد في اللغة ما ليس لغيره كما مر معنا [٢] ٠

ورايته ياخذ عنه كذلك النوادر والغريب لأن أبا زيد كان من أشهر البصريين بروايتها والاحتفاء بها ٠

ولم يقف تأثير أبي زيد في أبي عثمان المازني في مجال اللغة عند حد الروايات اللغوية والشواهد الشعرية بل نجد أن التأثير قد تعدّى ذلك الى المنهج اللغوي ، حيث رأينا المازني متسعا في الرواية كأستاذه ٠

كذلك فقد كان أبو زيد ملجأ أبي عثمان في كلّ ما يغمض عليه من مسائل اللغة ، يفزع اليه ليطلب توجيها أو شاهدا أو دليلا ٠

ولم تقتصر روايات المازني عن أبي زيد على مسائل اللغة بل تعددت ذلك الى رواية بعض مسائل الفقه [٣] ٠

وقد اتخذ المازني أبا زيد الأنصاري طريقا في الرواية الى الخليل [٤] ٠ لكننا مع كل ما تقدم نلاحظ قلّة تأثير أبي زيد في أبي عثمان في مجال النحو ولعل ذلك راجع الى ميل أبي عثمان الى التعليل في النحو ونفور أبي زيد منه ، ثم ان أبا زيد في مذهبه النحوي كان يجيز القياس على الشاذ ، وكان المازني يرفضه [٥] ، وكان أبو زيد متاثرا في منهجه في أحد اتجاهيه بالمنهج الكوفي، أما أبو عثمان فقد كان متعصبا للبصريين ويرفض كل ما هو كوفي ٠

الى هنا نكون قد أنهينا الحديث عن تلاميذ أبي زيد ، وقبل أن نختم الكلام عن ثقافته العلمية نرى لزاما علينا القاء ضوء على اتجاهه العلمي المذهبي ٠

---

١) انظر البحث ص ١٧
٢) انظر البحث ص ٣٥
٣) انظر مراتب النحويين ــ أبو الطيب اللغوي /٤٢
٤) انظر المنصف ــ ابن جني ١/٢٠٣ ، ٣٣٨
٥) انظر المنصف ــ ابن جني ١/٢٨١

اتجاه أبي زيد المذهبي

تضاربت أقوال المؤرخين في اتجاه أبي زيد المذهبي ، فنقل ابن قتيبة [١] (ت سنة ٢٧٦هـ) أنه يرى رأى القدر ، ونقل أبو الطيب اللغوي [٢] (ت سنة ٣٥١هـ) أنه كان من أهل العدل والتشيع ٠

أما عبد القاهر البغدادي [٣] (ت سنة ٤٢٩هـ) فقد ذكر أبا زيد مع جمهور أهل النحو واللغة والأدب الذين كانوا على معتقد أهل السنة ٠

واشار ياقوت الحموى [٤] (ت سنة ٦٢٦هـ) الى أنه « كان يرمي بالقدر » ، ولكن أبا حاتم قد دفع ذلك عنه ٠

وأما القفطى (ت ٦٤٦هـ) [٥] فقد اتبع أبا الطيب اللغوي فقال : « وكان أبو زيد من أهل العدل والتشيع » ٠

كما رد ابن خلكان [٦] (ت ٦٨١هـ) ما قاله ابن قتيبة فقد أشار الى أن أبا زيد كان « يرى رأي القدر » ٠

وأما ابن حجر العسقلاني [٧] (ت ٨٥٢هـ) في **تهذيب التهذيب** فقد أشار الى ان أبا زيد « يذكر بالقدر » ثم نقل قول النسائي بأنه « نسب الى القدر » ٠

ويجمل بنا الآن أن نصنف هذه الروايات على الوجه الآتي :

١ ـ رأي يقول ان أبا زيد كان من أهل العدل والتشيع ٠

٢ ـ وأغلب الروايات ترجح أنه كان ذا نزعة قدرية في الاعتزال ٠

٣ ـ والراي الأخير يشير الى أنه كان من أهل السنة والجماعة ٠

وأول ما نلاحظه في أقوال المؤرخين هذه ان الخلف يتبع فيها السلف دون مناقشة أو ترجيح للروايات ، كما أنها لم تستند الى أحد من معاصري أبي زيد أو تلاميذه ، ومن أجل ذلك فقدت هذه الروايات كثيرا من أهميتها ٠

مناقشة الروايات

ان طبيعة البحث تحتم علينا الا نعوّل كثيرا على هذه الروايات التاريخية المتضاربة ، وأن ننهج منهجا موضوعيا لأجل التعرف على اتجاه أبي زيد المنهجي ، وأن نعود الى منهجه وآثاره بقدر ما تسعفنا هذه الآثار في القاء الضوء على اتجاهه المذهبي ، خاصة وأن أقوال المؤرخين قد تباينت الى الحد الذي أوضحنا آنفا ٠

---

١) **المعارف** ـ ابن قتيبة / ٢٣٧

٢) **مراتب النحويين** ـ أبو الطيب اللغوى / ٤٢

٣) **الفرق بين الفرق** / ٣٦٥ تاليف عبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيى الدين ، مطبعة المدني ـ القاهرة ٠

٤) **معجم الأدباء** ـ ياقوت ٢١٢/١١

٥) **انباه الرواة** ـ القفطي ٣٣/٢

٦) **وفيات الأعيان** ـ ابن خلكان ١٢١/٢

٧) ٥/٤

ومن أجل التحقق من مدى صحة الرأي الأول القائل بتشيع أبي زيد أخذت ابحث في كتب الشيعة دون أن أجد ذكرا لأبي زيد فيها : بحثت في كتاب **طبقات الشيعة للعاملي** ، وكتاب **معالم العلماء** للمازندراني ، وكتاب **عيون اخبار الرضا** للقمي ٠

وأقول لعل تهمة التشيع هذه جاءت لأبي زيد من اتصاله بأشياخه المتشيعين من أمثال شعبة ابن الحجاج ٠

ومع ذلك فاننا لا نستبعد أن يكون لأبي زيد ميل لعلي كرم الله وجهه وآله رضوان الله عليهم فهم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان الرجل صاحب تقوى وعفاف واسلام ٠

أما بالنسبة لتهمة الاعتزال التي الصقت بأبي زيد فان أول ما يسترعي الانتباه بشأنها انها استندت الى عبارات واهية من أمثال : رمي بالقدر ، ونسب الى القدر ، ويذكر بالقدر ، مما يقوى عندنا احتمال أنها مجرد اتهامات لا تستند الى دليل ٠

وقد لحقت مثل هذه التهمة بكثير من العلماء حتى لم يسلم منها امام التابعين الحسن البصري فقد اتهم بالقدرية[1]٠

ولعل سبب هذه التهمة ــ في نظرنا ــ ما تمتع به أبو زيد من عقل حر ورأى مجتهد وشخصية مستقلة حيث انفرد من أهل البصرة بالأخذ عن الكوفيين ٠

وقد أقبل على الدراسات العقلية وبرع في القياس وكان له فيه فضل معرفة ٠ وجلس لتدريسه في مسجد البصرة ، مما يدل على معرفة عميقة بعلم المنطق اليوناني ٠ وهذا أثر واضح من آثار الثقافة اليونانية ٠

وقد عرف المعتزلة باقبالهم على الدراسات الفلسفية وميلهم للنزعة العقلية وتسلحهم بطرق الاستدلال العقلي من أجل الرد على أصحاب الديانات الأخرى وأصحاب الأهواء والبدع من الزنادقة والدهرية والمشبهة[2] ٠

ومن هنا جاءت التهمة لأبي زيد في ظننا ٠

أما الأمر الآخر الذي يحتمل ان تكون هذه التهمة قد تسربت لأبي زيد من خلاله فهو ان أبا زيد قد تتلمذ على اثنين من أعلام القدرية في عصره هما عمرو بن عبيد وسعيد بن أبي عروبة ٠

ومع ذلك فاننا لا نستبعد أن يكون لأبي زيد ميل نحو المعتزلة في اعتدال ، بل اننا نرى أن هذا أمر طبيعي فليس ببعيد أن يكون صاحبنا قد تأثر بالأمرين المشار اليهما سابقا ٠

أما الذي نرجحه ونطمئن اليه فهو أن أبا زيد كان من أهل السنة والجماعة ولم يكن من ذوي الأهواء ، ويؤيدنا فيما ذهبنا اليه عبد القاهر البغدادى عندما ذكر أبا زيد مع جمهور أهل النحو واللغة الذين كانوا على معتقد أهل السنة ٠

ولكننا مع ذلك اخذنا نبحث عن ادلة موضوعية تؤيدنا فيما ذهبنا اليه فوجدنا أبا زيد في منهجه ينزع منزع السلف الصالح وقد تمثل ذلك فيما يلي :

---

١) انظر **المعارف** ــ ابن قتيبة / ٤٤١

٢) **دراسات في الفرق والعقائد** / ١٠٨ ، ١٠٩ تاليف د٠ عرفان عبد الحميد ، الطبعة الأولى بغداد ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م ٠

أولا : عناية أبي زيد بالحديث الشريف

كانت عناية أبي زيد بالحديث الشريف فائقة ، ولا عجب في ذلك فقد كان والده محدثا ، فاحتذى الابن حذو أبيه ودرس الحديث على كبار المحدثين في عصره حتى اذا ما اشتدّ عوده جلس لتدريسه في مسجد البصرة .

ثم كان احتجاج أبي زيد بالحديث الشريف مظهرا قويا من مظاهر النزعة السلفية عنده مخالفا بذلك مذهب المعتزلة ، وسوف أوفي هذه المسألة حقها من البحث في حديثي عن مذهب أبي زيد اللغوى [1] ، أما الان فسوف أكتفي بهذه الاشارة حتى لا أخرج عن سياق الكلام .

ومعلوم لدينا أن المعتزلة في منهجهم يعتمدون على العقل ويغضون من شأن النقل والرواية ويرمون أهل الحديث بالجهالة ويلقبونهم بالحشوية ويتهمونهم بالكذب [2] ، ومن أجل ذلك احتدم الصراع واستحكم العداء بين الفريقين .

وبينما نرى المحدّثين يعنون بالحفظ ويعوّلون عليه في رواية الأحاديث النبوية نجد المعتزلة يقلّلون من شأن الحفظ لأنه يحد من النظر العقلى في مذهبهم .

ومن هنا كانت الهوة بعيدة بين منهج الفريقين مما جعلنا نرجح أن يكون أبو زيد من أهل السنة والجماعة منكرين تهمة القدرية عنه .

ثانيا : منهجه في الرواية

أما منهج أبي زيد في الرواية فقد جاء متفقا مع منهج السلف القائم على عدم التفلسف وادخال العوامل الأجنبية عن التفكير اللغوي ، ومخالفا مذهب المعتزلة الذين يُعملون العقل والمنطق فيما يروى حتى ان النظّام المعتزلى ينتقد بعض روايات الصحابيين الجليلين : ابن مسعود وأبي هريرة مدعيا أنها كذب لا تتمشى مع العقل[3] .

وكان أبو زيد في كتابه الشهير **النوادر في اللغة** [4] قد روى أشعارا عن شيخه المفضل الضبيِّ السني تتحدث عن الزواج من الجن .

وقد أثار هذا الموقف من أبي زيد النقاد تلميذه الجاحظ المعتزلى له الذي أخذ يهزأ بروايات العرب عن السعالى وأولاد السعالى من الناس كما يهزأ بما روى من الشعر في رؤْية الجن وأحاديث الجن .

وكان الجاحظ قد ذكر أن أبا زيد أنشده أن الجن طرقوا بعضهم فقال :

أَتَوْا نارى فَقُلتُ مَنونَ أَنتُمْ فَقالوا الجن قُلتُ عِموا ظَلاما

فَقُلتُ الى الطّعام فَقالَ مِنهُم زَعيم نحسُدُ الانسَ الطّعاما

وقد عقب الجاحظ على هذه الرواية فقال : « ولم اعب الرواية وانما عبت الايمان بها والتوكيد لمعانيها » [5] .

---

١) انظر البحث ص ١٣٢ وما بعدها .

٢) انظر **تاويل مختلف الحديث** / ٣١ ، ٨٠ تاليف ابن قتيبة . تصحيح محمد النجار ، مصر ١٩٦٦م

٣) انظر **الفرق بين الفرق** ـ البغدادى / ١٤٧ ، ١٤٨

٤) /١٤٧

٥) **العيوان** ١٨٦/١ تاليف الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . **الطبعة الثانية** مصر ١٩٦٥م .

وتجدر الاشارة الى أن الجاحظ في نقده للرواية وعيبه لها ينطلق من مبدأ المعتزلة الذين ينكرون امكان رؤية الجن [١] .

في حين أن أبا زيد هنا يتفق مع مذهب أهل السنة القائل بامكان رؤية الجن حتى انهم يعدّون من أصولهم اثبات الملائكة والجن والشياطين في أجناس حيوانات العالم [٢] .

ومن هنا – في رأينا – جاء التعارض بين الموقفين .

وتستوقفنا عبارة هامة – تزيح الستار – عن اتجاه أبي زيد المذهبي وردت في تعقيب الجاحظ المعتزلي على رواية شيخه أبي زيد السابقة ، قال الجاحظ : « وابو زيد وأشباهه مأمونون على الناس الا أن كل من لم يكن متكلما حاذقا وكان عند العلماء قدوة واماما ، فما أقرب افساده لهم من افساد المتعمد لافسادهم » [٣] .

فمضمون كلام الجاحظ – كما فهمناه – أن أبا زيد لم يكن متكلما حاذقا ، ومن أجل ذلك تعرض لنقد تلميذه بنقله مثل هذه الروايات التي لا يجوز – على حد رأي الجاحظ – نقلها للناس لأن في ذلك افساداً لهم .

وهذا كله يجعلنا على يقين بأن أبا زيد من أهل السنة والجماعة وأنه لم يكن من ذوى الأهواء فلم يكن قدريا ولا شيعيا ، فنلتقي بذلك مع رواية عبد القاهر البغدادى التي رجحناها في بداية الحديث . وسوف نتبين انعكاسات هذا الاتجاه المذهبي لأبي زيد على مذهبه في النحو واللغة في الباب الثاني من البحث ، أما الان فنختم حديثنا ببيان منزلة أبي زيد العلمية بين علماء العربية .

منزلة أبي زيد العلمية

عرف العلماء – قدامى ومحدثون – مكانة أبي زيد العلمية السامية ، فكان له من الثناء والتقدير ما يتفق وهذه المكانة .

فأبو زكريا الفراء يصفه بأنه أعلم الناس باللغة وأحفظهم لها . وفي الوقت الذي كان فيه ابن الأعرابي ينحرف عن الأصمعي كان لا يقول في أبي زيد الا خيرا .

وسئل الأصمعي وأبو عبيدة عن أبي زيد فقالا : ما شئت من عفاف وتقوى واسلام .

ويصفه صاحب النجوم الزاهرة بقوله : « كان اماما في علم النحو واللغة والأشعار ومذاهب العرب وآبائهم وأيامهم » [٤] .

وقد أعجب أبو على الفارسى بأبي زيد كثيرا وبالغ في تقديره فكان يصفه بالضبط في الرواية [٥] ، وتطمئن نفسه لما يرويه ، ويستعين به في كثرة ، ويستشهد بما ورد في نوادره ، ويوثقه في تحمس واعتزاز ، ويسر بما يحكيه .

---

١) انظر الفرق بين الفرق – البغدادى ١٤٨

٢) المرجع السابق / ٣١٦

٣) الحيوان للجاحظ ١٨٦/١

٤) ٢١٠/٢

٥) الحجة في علل القراءات – ابو علي الفارسي ٢٦٧/١ و ٢٢٨

وقد سار تلميذه ابن جني على هديه في الاعجاب بأبي زيد فكان يحسن الرأي فيه ، وقد قال عنه : « وما أبعده مع علمه وفقهه باللغة من أن تتطرق ظنة عليه في تحصيل ما يسمعه[١] » .

هذا ما كان من تقدير الأوائل أما المحدثون فلم يكونوا أقل اعجابا بأبي زيد : فصاحب **الأعلام** خير الدين الزركلي قال عنه[٢] : « أبو زيد احد أئمة الأدب واللغة ، وهو من ثقات اللغويين » .

والأستاذ أحمد أمين كان يعجب بأبي زيد ويصفه بالتزام الصدق[٣] .

وناشر كتابه **النوادر في اللغة** قال عنه[٤] : أبو زيد امام من أئمة العربية وعَلَم من أعلام اللغة .

والحق أن أبا زيد جدير بهذا الاعجاب ، فقد كان يشغل أسمَى مكانة في اللغة ، ويتمتع بأقصى درجات الاحترام ، قال أبو حاتم السجستاني عنه[٥] : « فاذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها أو حكيت عن العرب شيئا فانما أحكيه عن الثقات عنهم مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العِلم » .

ويمنحنا هذا القول من أبي حاتم مكانة أبي زيد عند أتباع مدرسة البصرة في اللغة خاصة .

وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الناس ، ونستطيع أن نتبين ذلك من كثرة تلاميذه ، وكثرة الأعراب الذين كانوا يترددون على حلقته ، وقد بقي حتى أواخر أيامه ملازما لبيته وحلقته .

وجدير بأبي زيد أن يكون موضع تقدير الجميع فهو أحد أئمة ثلاثة : ـ والآخران هما الأصمعي وأبو عبيدة ـ كانوا أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب لم ير مثلهم قبلهم ولا بعدهم ، عنهم أخذ جل ما في أيدي الناس من هذا العلم بل كله .

وامتاز أبو زيد بين علماء عصره بأنه لا يلحن البتة حتى كان لسانه لسان أعرابي فصيح ، وكان ذلك مدعاة لأن يفتخر به أهل البصرة لأنه امتاز بفصاحة خاصة في اللغة .

لقد احتل أبو زيد منزلة عالية وشهرة سامية في اللغة اعترف له بالفضل فيها معاصروه ولاحقوه حتى كان في استشهاده بشعر شاعر رفع لمكانة هذا الشاعر وكفاية له في تفضيله ، روى صاحب **الأغاني** قال[٦] : « أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم ابن مهرويه قال حدثني أسيد بن خالد الأنصاري قال قلت لأبي زيد النحوي ان الأصمعي قال : لا يقال شتان ما بينهما انما يقال شتان ما هما وانشد قول الأعشى :

شتان ما يومي على كورها

قال : كذب الأصمعي ، يقال شتان ما هما وشتان ما بينهما وأنشدني لربيعة الرقي واحتج بـه :

لَشتَّان ما بين اليزيدين في النَّدى يزيد سليم والأغرّ بن حاتم

---

١) المحتسب لابن جني ١٤٢/١

٢) الأعلام ـ الزركلي ١٤٤/٣

٣) ضحى الاسلام ـ احمد امين ٣٠٢/٢

٤) النوادر في اللغة ، المقدمة /٥

٥) مراتب النحويين ـ أبو الطيب اللغوى / ٩٠

٦) ٣٧/١٥

ثم عقب صاحب الأغاني على هذه الرواية بقوله : « وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع قول مثل الأصمعي بشعر ربيعة الرقي كفاية له في تفضيله » .

وقد شهد له بهذه المكانة الممتازة في اللغة شيخه يونس بن حبيب عندما سأله الحكم بن قنبر عن تَعاهَدْتُ ضيعتي أو تَعَهَّدْتُ فأجاب يونس تعاهدت وقال أبو زيد تعهدت وكان ستة من الأعراب الفصحاء في المجلس فقالوا بما أفتى به أبو زيد فقال يونس بن حبيب : يا أبا زيد رب علم كنت سببه أو شيئا نحو هذا »[١] .

ومن جلالة ابي زيد في اللغة أن الخليل بن أحمد كان يأخذ برأيه ويرجع اليه ، حدث أبو حاتم عن أبي زيد قال : كتب رجل من أهل رامهرمز الى الخليل يسأله كيف يقال ما أوقفك ههنا ومن أوقفك فكتب اليه هما واحد ، قال أبو زيد ثم لقيني الخليل فقال لى في ذلك فقلت له : انما يقال من وَقَفَكَ وما أَوْقَفَكَ قال فرجع الى قولى[٢] .

وجدير بالذكر إن العلماء كانوا يتباهون بسؤال الخليل لهم نظرا للشهرة العلمية التي حازها الخليل ، فالموصلي عندما هجا الأصمعي رد عليه ما كان يدعيه من سؤال الخليل له فقال الموصلي :

أَلَيسَ من العجائِبِ أنَّ كَلبا ... أُصَيمِعَ باهِلِيا يَستَطيلُ
ويَزْعم أنَّه قَدْ كانَ يُفتي ... أَبا عمرو ويسأَلُه الخليلُ[٣]

---

١) اخبار النحويين ـ أبو سعيد السيرافي / ٤١
٢) المزهر ـ السيوطي ٢/٤٠٢
٣) مراتب النحويين ـ أبو الطيب اللغوي / ٣٨

الباب الثاني

أثر أبي زيد الأنصاري في دراسة اللغة

- آثار أبي زيد
- أبو زيد والدراسات الصرفية والنحوية
- أبو زيد والثروة اللفظية

آثار أبي زيد

- الكتب الموجودة : كتاب الشجر والكلأ ـ اللبأ واللبن ـ مسائية ـ المطر ـ النوادر في اللغة ـ الهمز
- الآثـار المفقودة

حفظت لنا كتب التراجم أسماء بعض آثار أبي زيد فذكر له ابن مكتوم ستة كتب [1] ، وزاد ابن خلكان فذكر ثمانية عشر كتابا [2] ، أما ابن العماد الحنبلى فقد أشار الى أن لأبي زيد في اللغة نحو عشرين مصنفا [3] ٠

لكن السيوطي ذكر لأبي زيد ثلاثين مؤلفا [4] ، كما ذكر له القفطي اثنين وثلاثين كتابا [5] ، وزاد ابن النديم فذكر ثلاثة وثلاثين مصنفا [6] ٠

أما بقية كتب التراجم فأنها لا تكاد تشير الا الى النزر القليل من كتب أبي زيد أو أنها في الغالب لا تتعرض لمؤلفاته ٠

ولكني نقبت في كتب التاريخ وأحصيت مؤلفات صاحبنا فوجدتها خمسة وخمسين مصنفا عفى الدهر على معظمها ، ولم يصل الينا الا كتب ستة ٠

وفكرت في طريقة أعرض بها كتب أبي زيد ، وحاولت جاهدا أن أتعرف تاريخ كل كتاب ، ليكون أساسا للترتيب لكن عبثا حاولت ، لان كتب التاريخ سكتت عن ذلك ولم تشر اليه لا من قريب ولا من بعيد ٠

وعندما عزّ عليّ ذلك حاولت تصنيفها بحسب الموضوعات التي تناولتها ، ولكني رجعت عن هذه الفكرة لأن معظم هذه المؤلفات قد تناولتها يد الزمن ، وأصبح من الصعب التكهن بما تحتويه من مادة ٠

---

١) انظر **تلخيص أخبار النحويين** ـ ابن مكتوم /٤١

٢) انظر **وفات الأعيان** ـ ابن خلكان ١٢١/٢

٣) **شذرات الذهب** ٣٥/٢ تأليف ابن العماد الحنبلي . طبعة بيروت ـ لبنان ٠

٤) **بغية الوعاة** ـ السيوطي ٥٨٣/١

٥) **انباه الرواة** ـ القفطي ٣٥/٢

٦) **الفهرست** ـ ابن النديم /٥٥

ثم اني خشيت أن أقع فيما وقع فيه أحد الباحثين المحدثين [١] عندما أشار الى أن أبا زيد قد ألف في المنطق مستندا الى عنوان كتاب مفقودلأبي زيد سماه « **المنطق** » وهو كتاب في اللغة كما أشار اليه السيوطى [٢] ٠

لهذا كله آثرت السلامة وعمدت الى ترتيب كتب أبي زيد حسب أحرف الهجاء ، بادئا الحديث عن الكتب الموجودة ٠

كتب أبي زيد الموجودة

أولا : كتاب الشجر والكلأ

هذا الكتاب مطبوع الا أنه أشبه بالمخطوط في ندرته ، توجد منه نسخة وحيدة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥٩ لغة ، ونسخة في مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٣٠٦٤٩ ٠

نشر هذا الكتاب المستشرق الألماني الدكتور صمويل ناجلبرغ Samuel Nagelberg عن مخطوطة محفوظة في مكتبة برلين تحت رقم ٧٠٥١ ، وطبع في مطبعة ماكس شمرسوف في كرخهين سنة ١٩٠٩م ، فجاء الكتاب في سبع وعشرين صفحة عدا الفهارس ، وقد وردت للناشر في أسفل الصفحات تعليقات كثيرة ، كما ألحق الناشر بالكتاب روايات علماء اللغة عن النبات والشجر وقد جاءت في تسع وأربعين صفحة ٠

وقد نشر المستشرق صمويل مع الكتاب رسالة في الريح لابن خالويه وقد جاءت في ست صفحات ٠

وافتتح كتاب الشجر بعد البسملة بالعبارة التالية : قال ابن خالويه : قرأت كتب أبي زيد على أبي عمر عن ثعلب عن ابن نجدة عن أبي زيد ، أسماء الشجر العضاه ٠٠٠ » ٠

وفي الختام جاءت العبارة التالية : تم الكتاب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما دائما ٠

عرض مادة الكتاب

يبدأ الكتاب بذكر أسماء الشجر العضاه ومفردها ، مبينا صفة كل شجرة ومكان منبتها فيذكر من العضاه السمر وواحدته سَمُرَه وهي شجرة حجازية نجدية شاكة ومنبتها بكل مكان ما خلا حرّ الرمل ، ثم ينتقل الى ذكر أسماء الثمار مبينا صفاتها كأن يقول : ثمرة السلم صفراء ، وثمرة السمَّر غبراء تضرب الى البياض ٠

بعد ذلك يعدد أسماء الكلأ ومكان منبته وبيان صفاته ، وينتهي من ذلك لينتقل الى ذكر أسماء الشجر عندما يكثر : فيقال للسمر اذا كثر في موضع الحرجة ويقال لما كثر من الطَّلح في موضع النَّوطة والفالّ ولما كثرمن العُرْفُط الفَرْشُ والوَهط ٠٠٠

وفي الكتاب استشهاد بالشعر لذي الرمة والمهلهل وامرىء القيس وآخرين ٠

وفي نهاية الكتاب فهرس بأسماء النبات في كتاب الشجر يشتمل على مائتين وثلاثين اسما ٠

---

١) **النوادر في اللغة** / القسم الأول / ٣٠ تاليف أبي زيد تحقيق الدكتور محمد عبد القادر، مخطوطة بجامعة القاهرة رقم ٩٨١ رسائل ٠

٢) **بغية الوعاة** ـ السيوطي ٥٨٣/١

توثيق الكتاب

هذا الكتاب منسوب لابن خالويه في حين أنه مرويّ عن أبي زيد[١] . وربما كان سبب **الخطأ الذي وقع فيه الناشر المستشرق الألماني صمويل ناجلبرغ Samuel Nagelberg أنه خطف العنوان خطفا فلم يتثبت مما جاء في صدر الكتاب وقد رأيت في طرته هذه العبارة التالية :**

« قال ابن خالويه قرأت كتب أبي زيد على أبي عمر عن ثعلب عن ابن نجدة عن أبي زيد ، ومن هنا جاء اللبس ــ في اعتقادي ــ حيث ظهر للناشر أن الكتاب لابن خالويه فأثار بذلك شبهة كلفتنا جهدا مضنيا في سبيل دحضها ووضع الحق في نصابه .

وقد تبع المستشرق ناجلبرغ فيما ذهب اليه الزميل محمد أبو الفتوح شريف الذي قدم بحثا في كلية دار العلوم نال بموجبه درجة الماجستير[٢] ، فأثبت لابن خالويه (**كتاب الشجر**) مستندا الى فهارس دار الكتب . ودون التحقق من نسبة الكتاب في كتب الطبقات .

وأبادر فأقول انني أشك في صحة نسبة الكتاب لابن خالويه وأرجح أن يكون لأبي زيد .

وقد سبقني فيما ذهبت اليه المستشرق آرثر جفري عندما قال بالحرف الواحد في معرض حديثه عن كتب ابن خالويه المطبوعة : « ولكن كتاب **الشجر** الذي اشتهر باسمه وكان مطبوعا في ألمانيا سنة ١٩٠٩م ليس مصنفه بل بالحقيقة مصنف اللغوي المشهور أبي زيد صاحب كتاب **النوادر في اللغة** »[٣] .

الا أن المستشرق آرثر جفرى اكتفى بطرح القضية في صورتها الآنفة الذكر دون أن يقدم الدليل على ما ذهب اليه .

وقبل أن أبدأ بتوثيق الكتاب أود أن أشير الى أن ورود اسم ابن خالويه في طرة الكتاب مرة وفي ثناياه مرة أخرى لا يعني بالضرورة أن يكون الكتاب من تاليفه ، وأن وجود عبارة أو رواية دخيلة في كتاب لا يقدح ــ حتما ــ في توثيق نسبة الكتاب ولهذا نظائر في أكثر من كتاب : ففي كتاب **الشجر** للأصمعي تكررت روايات لأبي بكر مُحمد بن دريد أكثر من مرة[٤] ، وفي كتاب سيبويه جاءت عبارات دخيلة ليست منه مثل ما جاء في تقديم أحد شواهد الكتاب « ويقال وضعه النحويون » وواضح كما يقول يوهان فك[٥] أن مثل هذه العبارات ليست من مقول سيبويه وانما هي من وضع مخرج الكتاب ولا يمكن أن تكون من قول المؤلف .

على أن مثل هذه الروايات الدخيلة موجودة في أثرين آخرين من آثار أبي زيد : ففي كتاب **النوادر في اللغة** وردت روايات دخيلة بكثرة لأبي حاتم السجستاني والرياشي والسكرى والزيادى وأبي الحسن الأخفش . ولم يقل أحد ان الكتاب من تأليف أحدهم .

كما وردت في كتاب **اللبأ واللبن** لأبي زيد روايات للرياشي وأبي حاتم فلم ينسب الكتاب لأحدهما .

---

١) انظر كتاب **البلغة في شذور اللغة** /١٧ ، نشر الدكتور هفنر والأب لويس شيخو ــ المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩١٤م .

٢) انظر **ابن خالويه واثره في الدراسات الصرفية** /٤٦ تأليف محمد أبو الفتوح شريف ، مخطوطة بمكتبة دار العلوم تحت رقم ٣٠٣ رسائل .

٣) **مختصر في شواذ القرآن** من كتاب البديع ، المقدمة /٥ ، تأليف ابن خالويه ، مصر سنة ١٩٣٤م .

٤) انظر كتاب **البلغة في شذور اللغة** / ٣١ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٥١

٥) **العربية ــ يوهان فك** / ٥٢

وهكذا يتبين لنا أن من عادة علماء اللغة أن يضيفوا تعليقات على مؤلفات سابقيهم من الأئمة لدى قراءتها والاطلاع عليها ·

وقد تكرر هذا الأمر مع ابن خالويه في أكثر من كتاب ، يقول المستشرق آرثر جفرى [1] : « وكانت عادة ابن خالويه أن يهذب مصنفات مشايخه كما رأينا ذلك في كتاب **الشجر** وكما يظهر في كتاب **العشرات** الذي اشتهر باسمه مع أنه في الواقع مصنف شيخه المطرز » ·

ومن أجل ذلك كله عجبت للمستشرق صمويل ناجلبرغ Samuel Nagelberg كيف انزلق من هذه الثغرة رغم أنها لا تخفى على الدارسين المدققين ·

وبعد ، وبرغم كل ما تقدم فقد ذهبت أبحث وأنقب دون كلل الى أن تجمعت أمامي الأدلة التالية لتوثيق الكتاب ·

أولا : التوثيق التاريخي

يممت وجهي في بداية الأمر شطر كتب الطبقات القديمة والحديثة ، أبحث ما وسعني الجهد في ترجمة ابن خالويه نعلي أجد بين مؤلفاته كتابا بعنوان **الشجر** ، ولكن دون جدوى ·

بدأت بالنظر في كتاب **الفهرست** لابن النديم (ت ٣٧٧هـ) المعاصر لابن خالويه ، وقد ذكر له من الكتب عشرة لم يكن (**الشجر**) بينها [2] ·

ثم نظرت في كتاب **نزهة الألباء** لابن الأنباري (القرن السادس الهجري) وقد ذكر في ترجمته لابن خالويه خمسة كتب له ، لم يكن (كتاب **الشجر**) واحدا منها [3] ·

وبحثت في كتاب **معجم الأدباء** لياقوت (ت ٦٢٦هـ) ، فوجدته قد ذكر لابن خالويه اثني عشر كتابا لم أجد (كتاب **الشجر**) بينها [4] ·

ومضيت فنظرت في كتاب **انباه الرواة** للقفطي (ت ٦٤٦هـ) وقد ذكر لابن خالويه أربعة عشر كتابا دون أن يورد ذكرا (لكتاب **الشجر**) [5] · وكانت نهاية المطاف في كتب الطبقات القديمة بكتاب **بغية الوعاة** للسيوطى ، وقد أورد لابن خالويه أحد عشر كتابا لم يكن (كتاب **الشجر**) واحدا منها [6] ·

وعدت الى كتب المحدثين فنظرت في كتاب **كشف الظنون** لحاجي خليفة وقد ذكر لابن خالويه ستة عشر كتابا [7] ، لم تقع عيني على (كتاب **الشجر**) بينها ·

وبحثت في كتاب **معجم المؤلفين** لصاحبه محمد رضا كحالة وقد ذكر بعض تصانيف ابن خالويه [8] ، ولكن لم يكن لكتاب **الشجر** حظ بينها ·

---

١) انظر المقدمة /٦

٢) / ١٢٤

٣) / ٣١٢

٤) ٩/ ٢٠٤

٥) ١/ ٣٢٥

٦) ١/ ٥٣٠

٧) **كشف الظنون** / ٨٦ ، ١٢٣ ، ٦٠٢ ، ١٢٧٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٧ ، ١٤٦١ ، ١٨٠٨

٨) /٣١١

وكانت نتيجة هذا البحث في كتب التراجم القديمة والحديثة أنني أدركت ـ أو أيقنت ـ أن ابن خالويه لم يترك لنا أثرا بعنوان **الشجر** ، وانما جاءت نسبة هذا الكتاب اليه نتيجة اللبس والخلط ٠

وعندها رجعت ثانية الى كتب الطبقات أبحث في ترجمة أبي زيد لأرى ان كانت هذه المراجع قد أثبتت له كتابا بعنوان **الشجر** أم لا ، فوجدتها قد أجمعت على ذكر هذا الكتاب لأبي زيد ولكنها ذكرته تارة باسم (**النبات والشجر**) واختصره بعضها فسماه « **النبات** » وذكرته تارة أخرى باسم (**الشجر والكلأ**) واختصره بعضها أيضا فسماه (**الشجر**) ٠

وقد ذكره من المؤرخين القدماء : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والسيوطي والقفطي وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** [١] ٠

ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة وخير الدين الزركلي وبروكلمان [٢] ٠

هذا ، وقد روى المؤرخون ما يشير الى اهتمام علماء اللغة بهذا الكتاب واقبالهم عليه حفظا ودراسة ، فذكر أبو الطيب اللغوى بأن الرياشي قد جاء الى أبي زيد ومعه كتابه في **الشجر والكلأ** وقال له أقرأ عليك هذا ، فرد أبو زيد قائلا : لا تقرأه علي فاني أنسيته [٣] ٠

كذلك اطلع ابن خلكان على الكتاب وأعجب به ، روى لنا في ترجمة أبي زيد قائلا : « ولقد رأيت له في النبات كتابا حسنا جمع فيه أشياء غريبة » [٤] ٠

ومثل ذلك ذكره أبو سعيد السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه عندما قال : « وكنت قرأت كتاب **الشجر والكلأ** لأبي زيد على أبي بكر بن دريد رحمه الله » [٥] ٠

الى هنا أحسب أنني قد وفيت بعض ما وجب من دفع الشبهات ، ولكني لن أتوقف عند حد التوثيق الشكلي التاريخي ، وأرى من واجبي الان أن أنتقل الى التوثيق الموضوعي المنهجي وذلك باستخراج خصائص الكتاب المنهجية ومقارنتها بمنهج كل من أبي زيد وابن خالويه في تأليف مثل هذه الرسائل ، كما أنني سوف أقابل ما وقفت عليه من النصوص الخارجية بأمثالها من الكتاب امعانا في التوثيق ٠

ثانيا : التوثيق المنهجي

كان أبو زيد الأنصاري أحد علماء اللغة الذين اشتهروا بالرحلة الى البادية كما أوضحنا سابقا ، وكان يرمي من وراء رحلاته الى جمع مفردات اللغة والبدء بتبويبها حيث غلب عليه ذلك ٠

وجدير بالذكر أن علماء اللغة بدأوا بتبويب المفردات حيثما اتفق وكما تيسر لهم سماعها فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب ٠

---

١) انظر : **الفهرست** /٥٥ ، **وفيات الأعيان** ١٢١/٢ ، **معجم الأدباء** ٢١٧/١١ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦

٢) انظر **كشف الظنون** ١٤٦٦/٢ ، **الاعلام** ١٤٤/٣ ، **تاريخ الأدب** ١٤٧/٢

٣) **مراتب النحويين** ـ أبو الطيب اللغوى /٤٣

٤) **وفيات الأعيان** ـ ابن خلكان ١٢١/٢

٥) **شرح الكتاب** ـ أبو سعيد السيرافي ٢١/٥

ثم جاءت الخطوة الثانية التي سبقت عمل المعاجم حيث أخذ علماء اللغة يجمعون ما ورد من الألفاظ اللغوية في موضوع واحد ويسمونه كتابا وقد يكون الكتاب بضع ورقات ، وقد ظهر ذلك واضحا في كثير من كتب صاحبنا كما في كتاب **الشاء** وكتاب **الابل** وكتاب **خلق الانسان** وكتاب **المياه** وكتاب **الوحوش** ٠ وقد وصل الينا من أمثال هذه الكتب : كتابا **المطر** ، **واللبأ واللبن** ٠

وقد اطلعت على هذين الكتابين لأبي زيد ولاحظت أنهما يشتركان معا في المنهج القائـم عـلى مشافهة العرب وتدوين ما سمع منهم ، فهما خاليان من الآراء الشخصية ومن النقول عن الشيوخ والعلماء ، ومن الاستشهادات بآيات القرآن الكريم ، وان كانا لا يخلوان من الاستشهاد ببعض أبيات الشعر ٠

وذهبت أبحث في كتب ابن خالويه الموجودة فعثرت على رسالة له شبيهة بأمثال هذه الكتب هي : (كتاب **الريح**) لابن خالويه وهي مطبوعة وملحقة بكتاب**الشجر** وقد نشرها أيضا المستشرق الألماني صمويل ناجلبرغ ولدى اطلاعي عليها وجدت ابن خالويه يعتمد فيها اعتمادا كثيرا على من سبقه من الشيوخ والأئمة فهو ينقل عن ابن دريد وعن نوادر اللحياني وعن ابن مجاهد عن السمري عن الفراء ، كما ينقل قراءة أبي عمرو بن العلاء وعاصم يستشهد بأبياتأنشدها سيبويه ونفطويه وابن دريد ويروى عن أبي عبد الله القاضى وأبي حفص بن الشَّحام ٠

ورأيت ابن خالويه في (كتاب **الريح**) كثيرا ما يستشهد بآيات القرآن الكريم ٠

ثم عدت في نهاية المطاف الى (كتاب **الشجر**) أمعن النظر فيه فرأيته في منهجه يتفق مع منهج أبي زيد في تأليف مثل هذه الرسائل ٠

فالكتاب في جملته يعتمد على السماع من أفواه العرب وليس للرأي فيه مجال كبير ، كمـا أنه خِلو من النقول عن الأئمة فلم يرد فيه ذكر لعلماء العربية خـلا عبـارة دخيلـة وردت لابـن خالويه . ثم ان الكتاب خال من الاستشهاد بالقرآن الكريم ٠

وكانت خلاصة ذلك كله أنني رجحت ـ أو أيقنت ـ خطأ نسبة (كتـاب **الشجر**) الى ابـن خالويه . وأنه في حقيقته كتاب أبي زيد ٠

ثالثا : توثيق النصوص

وأخيرا فقد طفقت أبحث في أمهات كتب العربية عن نصوص مقتبسة من (كتاب **الشجر**) لأبي زيد لمقارنتها بما جاء في الكتاب امعانا في التوثيق وقد تجمع لدى من النصوص ما يلي :

أولا :

أ ـ وقعت على نص في معجم لسان العرب منقول من كتاب **الكلأ والشجر** لأبي زيد الذي بين أيدينا . وقد حرصت على تقديم النص كاملا ـ برغم طوله ـ لأهميته حيث يعتبر تلخيصا للصفحات التسع الأولى من الكتاب ٠

وقد ورد النص في **لسان العرب** على الوجه التالى[1]:

« قال أبو زيد في أول كتاب **الكلأ والشجر** : العِضاه اسم يقع على شجر من شجر الشوك له أسماء مختلفة يجمعها العضاه . واحدتها عِضاهَة ، وانما العِضاه الخالص منه ما عظم واشتد

---

١) مادة / عضض

شوكه ، وما صغر من شجر الشوك فانه يقال له العِضَ والشِّرس ، واذا اجتمعت جموع ذلك فما له شوك من صغاره عِضَ وشِرْس ولا يُدْعيان عِضاها ·

فمن العِضاه السَّمُر والعُرْفُط والسَّيال والقَرَظ والقَتاد الأعظم والكَنَهبَل والعَوْسَج والسِّدْر والغاف والغَرَب ، فهذه عِضاه أجمع ومن عضاه القياس ، وليس بالعضاه الخالص الشَّوْحَط والنَّبع والشِّرْيان والسَّراء والنَّشَم والعُجْرُم والتَّأْلَب والغَرَف فهذه تدعى كلها عِضاه القِياس ، يعني القِسيّ ، وليست بالعضاه الخالص ولا بالعِضَ ومن العِضَ والشِّرْس القَتاد الأصغر ، وهي التي ثمرتها نُفّاخة كَنُفّاخة العُشَر اذا حركت انفقأت ، ومنها الشُّبْرُم والشَّبْرِق والحاج واللَّصَف والكَلَبة والعِتْر والثُّغْر فهذه عِضَ وليست بعضاه ، ومن شجر الشوك الذي ليس بعِضٍ ولا عضاه الشُّكاعَى والحُلاوَى والحاذ والكُبَ والسُّلح ·

ب ـ وقد وردت الفقرة الأولى من النص المتقدم بنفس الألفاظ تقريبا في أول الكتاب الذي بين أيدينا ـ والذي نسب خطأ الى ابن خالويه ـ على الوجه التالي :

« العضاه اسم يقع على شجر الشَّوك له أسماء مختلفة يجمعها العضاه وواحدته العضاهة وعضهة وعضة وانما العضاه الخالص منه ما عظم واشتد شوكه وما صغر من شجر الشوك فانه يقال له العض الشرس والعضاه الخالص واذا اجتمعت جموع ذلك قيل لما له شوك من ذلك كله عض وشرس ، والعضَ والشِّرس لا يدعيان في الجموع عضاها [1] ·

أما الفقرة الثانية التي ورد فيها بعض أسماء العضاه فقد جاءت تلخيصا لما جاء في الكتاب حتى الصفحة التاسعة ·

ثانيا :

أ ـ جاء في مخطوطة **شرح كتاب سيبويه** لأبي سعيد السيرافي قوله :

« وكنت قرأت كتاب **الشجر والكلأ** لأبي زيد على أبي بكر بن دريد رحمه الله فقرأت عليه شُقّارَى للجميع وشُقّارَى واحدة **ولُصَيقَى للجميع ولُصَيقَى واحدة** » [2] ·

ب ـ وقد وردت اللفظتان في الكتاب الذي بأيدينا في الصفحتين : الثانية عشرة والثالثة عشرة ·

ثالثا :

أ ـ ووجدت في معجم **لسان العرب مادة الأ** ما يلي : « الآلاء بوزن العلاء شجر · قال أبو زيد: هي شجرة تشبه الآس لا تَغَيَّر في القيظ ولها ثمرة تشبه سنبل الذرة، ومنبتها الرمل والأودية· قال: والسُّلامان نحو الآلاء غير أنها أصغر منها، يتخذ منها المساويك وثمرتها مثل ثمرتها ومنبتها الأودية والصحارى ·

ب ـ وقد جاء نفس التعبير في الكتاب الذي بين أيدينا حين ذكر أبو زيد أسماء الشجر فقال:

« ومنه الآلاء تقديره العَلاء والواحدة ألاءَة وهي شجرة تشبه الآس لا تَغَيَّر في القيظ ولها

---

١) **كتاب الشجر** / ١ المنسوب لابن خالويه . طبعة كرخهين سنة ١٩٠٩م ·

٢) **شرح الكتاب** للسيرافي ٥/٢١

ثمرة تشبه سنبل الذرة ومنبتها الرمل والأودية · ومنه السلامان والواحدة السلامانة وهي نحو الألاءة غير أنها أصغر من الألاءة تتخذ منها المساويك وثمرتها نحو من ثمرتها ومنبتها الأودية والصحارى »[١] ·

رابعا :

أ ــ وقرأت في **لسان العرب** أيضا ما يلي[٢] : « قال أبو زيد : ومن العض اليَنبوت والواحدة يَنبوتة وهي شجرة شاكة ذاتُ غِصَنَة وَوَرَق وثمرُها جَرْو ، والجَرْوُ : وِعاء بَذْرِ الكَعابير التي في رؤوس العيدان ، ولا يكون في غير الرؤوس الا في مُحَقَّراتِ الشجر ، وانما سمي جَرْوا لأنه مُدَحرَج وهو من الشَّرْسِ والعِضّ وليس من العِضاهِ » ·

ب ــ وقد وقعت في كتاب **الشجر** لأبي زيد الذي بين أيدينا والمنسوب خطأ لابن خالويه على نفس التعبير تقريبا ، جاء في الكتاب[٣] : « ومنه الينبوت والواحدة ينبوتة وهي شجرة شاكة ذات غصنة وورق وثمرتها جَرْو ومنبتها الصحاري والسِّباخ ، والجرو وعاء بذر الكعابير التي في رؤوس العيدان ولا يكون جروا في غير الرؤوس الا في محقرات الشجر وانما سمِّي جروا لأنه مدحرج فهؤلاء شرس وعض وليس بعضاه » ·

خامسا :

أ ــ ووردت العبارة التالية أيضا في **لسان العرب**[٤]

« قال أبو زيد : في العضاه الشُبْرُمُ ، الواحدة شُبْرُمَة وهي شجرة شاكة ولها ثمرة نحو النَّخر في لونه ونِبتَتِه ، ولها زَهرَة حمراء ·

ب ــ وقد قرأت هذه العبارة بنفس الألفاظ في كتاب **الشجر** الذي بأيدينا[٥] ·

سادسا :

أ ــ وفي معجم تهذيب اللغة للأزهري[٦] ورد النص التالى :

« وقال أبو زيد الغربُ ، الواحد غربَة وهي شجرة ضخمة شاكة خضراء وهي التي يتخذ منها الكُحيلُ وهو القطِران حجازية » ·

ب ــ وقد وقعت على هذا القول لأبي زيد في كتابه **الشجر** الذي بأيدينا حيث ورد فيه :

« ومنه الغربُ والواحِدة غَرْبَة وهي شجرة ضخمة شاكة خضراء وهي التي يتخذ منها الكحيل حجازية والكحيل القطران »[٧] ·

---

١) **كتاب الشجر /٩**
٢) مادة ينبت
٣) /٨
٤) مادة شبرم
٥) /٧
٦) مادة / غرب
٧) /٤

سابعا :

أ ـ واخيرا فقد اطلعت أيضا على العبارة التالية في لسان العرب [١] :

« قال أبو زيد : الغاف من العضاه وهي شجرة نحو القرظ شاكة حجازية تنبت في القفاف ٠

ب ـ وانظر معي الآن لما ورد في كتاب **الشجر** الذي بأيدينا [٢]

« ومنه الغاف والواحدة غافة وهي شجرة نحو القرظ شاكة حجازية تنبت بالقفاف » ٠

تعقيب

وبعد ، فقد حرصت على ايراد تلك النصوص التي وقعت عليها في كتب العربية منسوبة لأبي زيد ، لمقابلتها بما ورد في (كتاب **الشجر**) المنسوب خطأ لابن خالويه ، ووضع ذلك كله أمام القارىء ، حتى أدفع الشك باليقين ، وأخلص الى الحقيقة الثابتة ، وهي أن الكتاب الذي بأيدينا كتاب أبي زيد ، وأن المستشرق صموئيل ناجلبرغ قد وقع في خطأ فادح عندما نسب الكتاب دون التحقق منه ـ لابن خالويه ، وقد تبعه في خطئه الزميل محمد أبو الفتوح شريف في بحثه عن ابن خالويه وأثره في الدراسات الصرفية ٠

وقد شعرت وأنا أورد النصوص المتقدمة وما يقابلها في (كتاب **الشجر**) أنني ربما أثقلت على القارىء بكثرتها ، ولكنني أردت أن اقدم الحقيقة ناصعة حتى لا ادع مجالا لمتشكك ، وحتى أضع الحق في نصابه ، وذلك ما قصدت وأرجو أن أكون قد وفقت اليه ٠

ثانيا : كتاب اللّبأ واللّبن

نسخ الكتاب

هذا الكتاب عبارة عن رسالة صغيرة لا تتجاوز الصفحتين ، جمع فيها أبو زيد الألفاظ اللغوية التي قيلت في اللبن ٠

وقد وصل الكتاب الينا برواية تلميذين لأبي زيد : أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي ٠

جاء في مقدمة الكتاب « أخبرني الشيخ المهذب أبو الحسن على عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن ابراهيم بن عبد الملك السلمي الرقي قراءة عليه بمدينة السلام في سنة ٥٥٣هـ (١١٥٨م) فأقرّ به قال : أخبرني الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي قراءة عليه يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) فاقرّ به قال : أخبرنا الرئيس أبو على محمد بن سعيد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب بقراءتي عليه فاقرّ به في ٤٩١ (١٠٩٨م) قال : أخبرنا الرئيس أبو الحسين هلال بن الحسن الكاتب قراءة عليه وأنا أسمع فاقرّ به في صفر ٣٢٥ (٩٣٦م) قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن السرى السرّاج النحوى٠ قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري قال : أخبرنا أبو الحاتم سهل بن محمد السجستاني وأبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي قالا : قال أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري » ٠

---

١) مادة / غيف ٠
٢) /٤

أما خاتمة الكتاب فكانت العبارة التالية : « تمت صفات **اللبأ واللبن** لأبي زيد والحمد لله تعالى » ٠

وقد نشر كتاب **اللبأ واللبن** لأبي زيد الأب لويس شيخو عن **مخطوطة** وجدت في الكتبخانة الخديوية بمصر ، وأتبعه بملحق وفهرس بالألفاظ اللغوية الواردة في الكتاب ٠

أما نسخ الكتاب فهي :

١ ــ **مخطوطة** محفوظة بالكتبخانة الخديوية بمصر ضمن مجموع لغوي تحت رقم ١٦٦ والمجموع المذكور يحتوي على عدة فصول لغوية جليلة منها كتاب **الشاء** الذي قام بطبعه في فينا الدكتور هفنر وكتاب **الداخل** لأبي عمر محمد الزاهد المعروف بغلام ثعلب وكتاب **البئر** لابن الأعرابي وكتاب **الأشربة** لابن قتيبة وكتاب **الدارات** وكتاب **النبات والشجر** للامام الأصمعي ٠

أما كتاب **اللبأ واللبن** لأبي زيد فهو الفصل الرابع من هذه المجموعة ويأتي في الصفحات من ٢٩ الى ٣١ ٠

٢ ــ النسخة المطبوعة [1]

وهي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٨٣ لغة ٠ وقام بنشرها عن المخطوطة السابقة الأب لويس شيخو مدير تحرير مجلة المشرق ضمن كتاب **البلغة في شذور اللغة** ، الذي تم طبعه بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٤م ٠

وقال الأب لويس شيخو في مقدمة الكتاب انه قام بمراجعته على المعجمات الكبرى لئلا تذهب فائدته بما وقع من السهو في النسخة الأصلية ٠

كما ألحق الناشر في نهاية الكتاب فصلا في اللبن والشراب نقله عن كتاب **الجراثيم** المنسوب لابن قتيبة حتى تتم الفائدة ٠

وختم الكتاب بفهرس للمفردات الواردة فيه ٠

وجاء كتاب **اللبأ واللبن** بما أضيف له من ملحق وفهرس في الصفحات من ١٤١ ــ ١٥٣ من كتاب البلغة في شذور اللغة ٠

عرض مادة الكتاب

يخلو الكتاب من مقدمة يبين فيها المؤلف منهجه حيث يبدأ مباشرة في ذكر صفات **اللبأ واللبن** ، فيقول : « العرب تقول في صفة اللبأ (مهموز مقصور) اللبأ (ولبأت الناقة) وأكثر ما يكون ثلاث حلبات وأقلّه حلبة ، والمفصح يقال : أفصحت الناقة وأفصح اللبن افصاحا اذا انقطع وأخلص ، وهي الرَّمثة تنزل في الضرع بعد الحلب ٠٠٠

ويستمر على هذه الصورة في سرد صفات اللبأ واللبن الى نهاية الكتاب فيذكر منها ستا وخمسين صفة ، وأبو زيد يورد هذه الصفات كيفما اتفق ودون نسق معين ٠

ويستشهد في ثنايا الكتاب بالشعر وبلغ عدد ذلك أربع مرات ٠

وفي الكتاب عبارتان دخيلتان : الأولى لأبي حاتم وقد وردت في الكتاب على الوجه التالي « ٠٠٠ والدَّوْقُ اللبن الكثير ٠ قال أبو حاتم : لعله فارسي معرب يريد الدَّوْغَ » [1] ٠

---

١) البلغة في شذور اللغة / ١٤٣

أما العبارة الدخيلة الثانية فقد أوردها الرياشي قال : « صَرى وصِرى لغتان ، أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : الفَواق والفُواق والدّرّة بعد الحلب حلبت على درتها وان لم تحلب فربما عجّلت وربما أخرّت »[١] .

ولعل من المفيد أن نعيد الى الأذهان أن الكتاب وصل الينا برواية أبي حاتم والرياشي .

توثيق الكتاب

سوف أكتفي في توثيق هذا الكتاب بالتوثيق التاريخي وتوثيق النصوص ، أما التوثيق المنهجي ، فما قلته عن منهج كتاب **الشجر** ينطبق على هذا الكتاب لأنهما يشتركان في كونهما رسالتين لغويتين ، تعتمدان على السماع ولا مجال فيهما للرأي أو الاجتهاد .

أولا : التوثيق التاريخي

ذكر المؤرخون القدماء والمحدثون هذا الكتاب بين مصنفات أبي زيد ، وقد أطلق عليه بعضهم « **اللبن الحليب** » واختصر البعض الآخر فسماه ، **اللبن** » .

ومن المؤرخين القدماء الذين ذكروا هذا الكتاب : ابن النديم والقفطي وابن خلكان وابن مكتوم وياقوت والسيوطي[٢] .

أما المحدثون فقد ذكره منهم : بروكلمان ، وحاجي خليفة وخيرالدين الزركلي ويوسف سركيس وعبد الصاحب الدجيلي[٣] .

(ثانيا) توثيق النصوص

تجمعت لدى نصوص من هذا الكتاب وجدتها في كتاب القدماء أجتزىء منها ما يلي :

أولا :

(أ) قال أبو الفتح بن جني[٤] : «قال أبو زيد نسأت اللبن أنسؤه نسئا وذلك أن تأخذ حليبا فتصب عليه ماء واسمه النسء » .

(ب) وجاء هذا المعنى في كتاب **اللبا واللبن** حيث قال أبو زيد : « النسء وهو الحليب يخلطه الماء ويقال نسأت اللبن أنسأه نسئا »[٥] .

ثانيا :

(أ) وفي لسان العرب قرأت قول أبي زيد : « أول الألبان اللِّبأ عند الولادة وأكثر ما يكون ثلاث حلبات وأقله حلبة »[٦] .

---

١) البلغة في شذور اللغة / ١٤٣

٢) الفهرست / ٥٥ ، انباه الرواة ٢/ ٣٥ ، وفيات الأعيان ٢/ ١٢١ ، تلخيص اخبار النحويين / ٤١ ، معجم الادباء ١١/ ١٢٦ ، بغية الوعاة ١/ ٥٨٣ .

٣) تاريخ الأدب ٢/ ١٤٦ ، كشف الظنون ٢/ ١٤٥٤ ، الاعلام ٣/ ١٤٤ ، معجم المطبوعات / ٣١٢ ، اعلام العرب ١/ ٩٨ .

٤) المحتسب ٢/ ٤٠ تاليف ابي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وزملائه ، طبعة القاهرة ١٣٨٦هـ

٥) البلغة في شذور اللغة / ١٤٣

٦) /مادة لبا

(ب) وقد ورد هذا المعنى في أول كتاب **اللبا** حيث قال أبو زيد [١] : « اللبأ (ولبأت الناقة) وأكثر ما يكون ثلاث حلبات وأقله حلبة » ·

ثالثا :

(أ) وأورد الزمخشري في أمثاله : « أهون مظلوم سقاء مرّوب » وقال في ثنايا التعقيب على المثل : وقال أبو زيد : « وأما الرائب فهو الممخوض المخرج زبدته » [٢] ·

(ب) وجاء في كتاب اللبأ واللبن قول أبي زيد [٣] : « وقالوا الرائب الذي مخض وأخرجت زبدته » وأورد شاهدا قول الشاعر :

وأهون مظلوم سقاء مرّوب

تعقيب

عثرت في كتاب المزهر للسيوطى على أقوال لأبي زيد في **اللبأ واللبن** ، لم أجدها في كتابه الذي بين أيدينا ، وقد يعني هذا أن الكتاب لم يتضمن جميع اقوال أبي زيد في **اللبا واللبن** لأنه اقتصر على أقواله في الصفات فقط ·

ويحتمل أن تكون عوادى الدهر عبثت بالكتاب وأضاعت بعضه ، فوصل الينا الكتاب ، ناقصا في شكله الحالى · لكن هذا الكلام يبقى مجرد احتمال الى أن يكشف البحث الحقيقة في المستقبل ·

ولدى اطلاعي على الملحق الذي أضافه الناشر الى كتاب **اللبا واللبن** لأبي زيد ، والذي قال عنه أنه أخذه من كتاب **الجراثيم** المنسوب لابن قتيبة وجدت هذه **الأقوال** في الملحق، وتكاد تكون بنفس الألفاظ في أغلب الأحيان ·

وقد يعني هذا أن ابن قتيبة نقل هذه **الأقوال** وضمنها كتابه دون أن ينسبها لقائلها ، وأنه اعتمد على أبي زيد في تأليف كتابه ·

وأقدم الان الأقوال التي عثرت عليها **لأبي** زيد وما يقابلها في الملحق المنسوب لابن قتيبة على الوجه التالى :

أولا :

(أ) جاء في كتاب المزهر للسيوطى [٤] : « قال أبو زيد : فاذا جعل الزبد في البرمة ليطبخ سمنا فهو الاذْوَاب والاذْوَابَة فاذا جاد وخلص ذلك اللبن من الثُفل فذلك اللبن الاثرة والاخلاص ، والثُفل الذي يكون أسفل اللبن هو الخُلُوص ، وان اختلط اللبن بالزبد قيل ارتَجَنَ » ·

---

١) البلغة في شذور اللغة /١٤٢

٢) **المستقصى في امثال العرب** ١/٤٤٤ ٤٤٥ تاليف ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى · **طبعة اولى** · حيدر اباد سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م ·

٣) **البلغة في شذور اللغة** / ١٤٥

٤) ١/٤٤٣ وانظر ايضا **لسان العرب** / خلص

(ب) أما ما يقابل هذا النص في الملحق المنسوب لابن قتيبة ، فيكاد يكون بنفس الألفاظ تقريبا فانظر اليه[١] :

« والزبد حين يذاب في البرمة ليطبخ سمنا فهو الاذواب والاذوابة فاذا جاد وخلص ذلك اللبن من الثفل فهو الاثر والاخلاص ، والثفل الذي يكون أسفل اللبن هو الخلوص ، فاذا اختلط اللبن بالزبد قيل ارتجن ٠

ثانيا :

(أ) أما النص الثاني فقد جاء في كتاب المزهر كما يلي[٢] : « قال أبو زيد : والماضِرُ من اللبن الذي يحذى اللسان قبل أن يدرك وكذلك النبيذ ٠٠٠٠ والاحلابَةُ اسم للبن تحلِبه لأهلِك وأنت في المرْعى ، ثم تَبعثُ به اليهم » ٠

(ب) وورد على لسان ابن قتيبة بالوجه التالي[٣] : « والاحلاب ما تحلبه في المرعى ثم تبعث به الى أهلك ، وقد أحلبتهم احلابا ، والماضر الذي يحذى اللسان قبل أن يدرك ، وقد مضر يمضر مضورا وكذلك النبيذ » ٠

ثالثا :

(أ) والنص الثالث قال فيه أبو زيد[٤] : « فان سَخَّنَ الحليب خاصة حتى يحترق فهو صَحِيرة » ٠

(ب) وقال ابن قتيبة[٥] : « فان سخن الحليب حتى يحترق فهو صحيرة » ٠

ثالثا ـ كتاب مسائية

وصل الينا هذا الكتاب ملحقا بكتاب النوادر حتى ان أغلبية علماء اللغة والمؤرخين يضيفونه الى كتاب **النوادر** ، وقد وقعت على نصوص من الكتاب عدّها ناقلوها من كتاب **النوادر** ٠

وسبب اطلاق هذه التسمية ـ مسائية ـ عليه ـ فيما نعتقد ـ أن الكتاب يبدأ بقول أبي زيد : « يقال سؤته مساءة ومسائية وسوائية »[٦] ٠

واقع الأمر أن الكتاب في منهجه لا يختلف عن كتاب **النوادر** في شيء ، لذلك فسوف أسير مع الرأي الغالب الذي يعتبر هذا الكتاب بابا من كتاب **النوادر** ، فلا أخصه بالحديث هنا ، لأنني سأتكلم بالتفصيل عن كتاب **النوادر** ، وقد سبقني الى ذلك ناشر كتاب **النوادر** الأستاذ سعيد الشرتوني وكذلك الدكتور محمد عبد القادر أحمد الذي قام بتحقيق **النوادر** لأبي زيد ٠

وقد انفرد بذكر كتاب مسائية من المؤرخين القفطي[٧] ٠

---

١) البلغة في شذور اللغة / ١٤٩
٢) ٤٤٢/١
٣) البلغة في شذور اللغة / ١٤٩
٤) المزهر للسيوطي ٤٤١/١
٥) البلغة في شذور اللغة /١٤٧
٦) النوادر في اللغة / ٢٣٢
٧) انباه الرواة ـ القفطي ٣٥/٢

رابعا ـ كتاب المطر

نسخ الكتاب

وصل الينا كتاب المطر لأبي زيد برواية أبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي عن عمه أبي جعفر أحمد بن محمد عن أبي زيد ·

والكتاب مطبوع ضمن مجموع بعنوان **البلغة في شذور اللغة** لكنه أشبه بالمخطوط في ندرته وقد تمكنت من تصويره عن نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة اليسوعية في بيروت ·

وقد نشر المستشرق الأميركي غوتيل Gottheil كتاب **المطر** في مجلة الجمعية الشرقية الأميركانية سنة ١٨٩٥ (ص ٢٨٢ ـ ٣١٢) [1] عن مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس فكان أول من نشر الكتاب ·

وقد تبعه في نشر الكتاب الأب لويس شيخو مدير مجلة المشرق والدكتور أوغست هفنر أستاذ اللغة العربية في جامعة انسبروك حيث قاما بنشر الكتاب في مجلة المشرق سنة ١٩٠٥م عن نفس مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس · ثم قاما بطبع الكتاب ضمن المجموع السابق الذكر سنة ١٩١٤م ·

وقد افتتح الكتاب بعد البسملة بالعبارة التالية :

« قال أبو زيد الأنصاري : قال القيسيون : أول المطر الوَسْمِيّ وأنواؤه العَرْقُوتَان المؤخَّرتَان من الدَّلو ثم الشَّرَط ثم الثُّريَّا ··· »

وجاء في الختام عبارة « تم الكتاب والحمد لله على نعمه » ·

وقد ألحق بالكتاب فهرس بالمفردات الواردة فيه ·

اما نسخ الكتاب فهي :

١ ـ **نسخة المكتبة الأهلية في باريس** : وهي محفوظة ضمن مجموع لغوي تحت رقم ٤٢٣١ تاريخها يرجع الى سنة ٦٣١هـ الموافقة للسنة ١٢٣٣ـ١٢٣٤م · طول الكتاب واحد وعشرون سنتمترا ونصف ، وعرضه خمسة عشر سنتمترا ونصف وعدد الأسطر في كل صفحة خمسة عشر سطرا ·

والكتاب منسوخ على قرطاس متين وبخط نسخي محكم ضمن مجموع يحتوي على بعض تآليف مثل كتاب خطأ العوام ومقصورة ابن دريد ، والنسخة مضبوطة بالشكل الكامل حسنة الخط وهي قليلة الأغلاط ·

ويأتي كتاب المطر لأبي زيد أول هذا المجموع اللغوى ·

٢ ـ **نسخة بدار الكتب المصرية** تحت رقم ٤٨٣ لغة ضمن مجموع لغوى بعنوان « **البلغة في شذور اللغة** » نشرها الدكتور أوغست هفنر والأب لويس شيخو وتشتمل بالاضافة الى كتابي **المطر** ، **واللبا واللبن** لأبي زيد على مجموعة كتب للأصمعي ، وعلى شرح مثلثات قطرب ، وعلى رسالتين احداهما في المؤنثات السماعيّة ، والأخرى في الحروف العربية منسوبة الى النضر بن شميل ·

---

١) البلغة في شذور اللغة /٩٩ . وقد أشار بروكلمان الى ان صفحات النشر ٢٨٨ ـ ٣١٢ ـ انظر تاريخ الادب ١٤٦/٢ ·

وقد طبعت هذه النسخة بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٤ وعليها شرح يبين غريبها للأب لويس شيخو ·

عرض مادة الكتاب

دوّن العلماء مفردات اللغة في بادىء الأمر حيثما اتفق ، وكانت تلك مرحلة متقدمة تبعتها مرحلة ثانية أخذ العلماء فيها يجمعون الألفاظ اللغوية المتصلة بموضوع معين في مؤلف خاص يسميه كتابا ، وقد يكون الكتاب بضع ورقات ، فهو أشبه ما يكون بمقالة أو رسالة في مفهوم المحدثين ، وتلك هي المرحلة السابقة لعمل المعاجم [١] ·

وكتاب **المطر** لأبي زيد من هذه الرسائل التي ألفت في هذه الفترة حيث تضمنت الألفاظ اللغوية التي تلحق بظاهرة المطر وما يتصل به من برق ورعد وسحاب ·

والكتاب يقع في ست عشرة صفحة ويشتمل على خمسة أبواب تحمل العناوين التالية : أسماء المطر ، الرعد ، البرق ، السحاب ، وأسماء المياه ·

وقد بدأه أبو زيد بأسماء المطر وأنواعه ، فذكر للمطر أسماء كثيرة منها القِطْقِطُ والرّذاذُ والطّشّ والبَغشُ والدّيمَةُ والذّهابُ والوبِلُ والمِدْرارُ ··· وغيرها ·

أما أسماء الرعد التي أوردها أبو زيد في هذا الباب فهي : الارْزامُ والتَّهزُّم والقَعقَعَةُ والرّجسُ والصَّاعِقَةُ والأزيزُ ·

ومن أسماء البرق التي وردت في الكتاب : الاستِطارَةُ والتّكَشُّفُ والقُرادُ والخُلَّبُ والوَميضُ والعَرّاضُ ·

ويورد للسحاب أربعة وثلاثين اسما أذكر منها : الغَيم والغَرّاءُ والمُزْنُ والحَماءُ والصَّبيرُ والرّكامُ والعَمّاءُ والضَّبابُ والمُكفَهِرّ ·

ومن أسماء المياه التي يذكرها في هذا الباب : العُدْمُلُ والضَّحلُ والضَّحضاحُ والرّقاقُ والبَرْضُ والأجِنُ والمُعَرْمِضُ والمُطَحلِبُ ·

ويورد أبو زيد هذه الأسماء في الأبواب المختلفة كيفما اتفق ودون نسق معين ، وهي في مجموعها سماع عن العرب ، ولا مكان للرأي أو الاجتهاد فيها ·

ولكني رأيت أبا زيد ينسب بعض ما سمعه الى القبائل كأن يقول : ومن لغة الكلابيين ··· ، قال القيسيون ··· ، وهو قول عامة الكلابيين ···

ويروى عن العنبرى وهو أحد رواة القرن الثاني الهجري ، كما يروى عن شيخه رؤبة بن العجاج ·

ويستشهد في الكتاب بالشعر دون ذكر الشاعر في الأعم الأغلب مكتفيا بقوله : قال الشاعر ، وقال الراجز ، وينفرد بذكر كثير عزة ·

ولم يستشهد بالقرآن الكريم ·

---

١) انظر **دلالة الألفاظ** /٢٢٨ تاليف الدكتور ابراهيم انيس ، الطبعة الثانية ، مصر سنة ١٩٦٣م ·

توثيق الكتاب

لن أتعرض للتوثيق المنهجـي لأن الكتاب يخلو من الآراء الشخصية ، وسوف أكتفي لتوثيق الكتاب بالجانب التاريخي ، ثم انتقل بعد ذلك لتوثيق النصوص ٠

اولا : التوثيق التاريخي

ذكر كتاب **المطر** لأبي زيد من المؤرخين القدماء : ابن النديم ، وابن خلكان والقفطي وياقوت والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين** ، وصاحب **روضات الجنات** [1] ٠

ومن المحدثين بروكلمان وخير الدين الزركلي ويوسف سركيس وصاحـب **ايضاح المكنـون** ، وعبد الصاحب الدجيلي [2] ٠

ثانيا : توثيق النصوص

أما من حيث توثيق النصوص ، فقد وقعت في الكتب على نصوص كثيرة اجتزىء منها الآتي:

اولا :

(أ) جاء في كتـاب **الكامل** للمبرد [3] : « قال أبو زيد الذهاب اسم للمطر كلـه ، ضعيفـه وشديده » ٠

(ب) وقد وردت العبارة بنفس **الألفاظ** في كتاب المطر لأبي زيد [4] ٠

ثانيا :

(أ) وأنشد أبو الطيب اللغوى لأبي زيد [5]

أَرِقتُ لـه وشايَعَني رجـال وَقَدْ كَثُرَ المخَايِلُ والسُدودُ

(ب) وهذا البيت أحد بيتين أنشدهما أبو زيد في كتاب **المطر** ، وقد ورد بكلمة « قعدت » بدل « أرقت » على الوجه التالى :

تَبَصَّر هَلْ تَرى أَلواحَ بَرْق أَوائلُـهُ عـلى الأفعـاة قـودُ
قَعَدْتُ لـه وشيَّعَنـي رجـالٌ وقد كَثُرَ المخايلُ والسدود [6]

جاء في **لسان العرب** : « وقال أبو زيد في كتاب **المطر** [7] : الغِرْيَلُ هو الطين يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض رطبا كان أو يابسا » ٠

---

١) **الفهرست** /٥٥ . **وفيات الاعيان** ١٢١/٢ . **انباه الرواة** ٣٥/٢ . **معجم الادباء** ٢١٦/١١ . **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ . **روضات الجنات** / ٣١٢ ٠

٢) **تاريخ الادب** ١٤٦/٢ . **الاعلام** ١٤٤/٣ . **معجم المطبوعات** /٣١٢ . **ايضاح المكنون** /٣٣٢ ، **اعلام العرب** /٩٦ ٠

٣) ١٢٣٨/٣

٤) انظر كتاب **البلغة في شذور اللغة** /١٠٣

٥) **الاضداد** ٢٢٩/١ تاليف أبي الطيب اللغوى . تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق سنة ١٩٦٣م ٠

٦) **البلغة في شذور اللغة** /١١٠

٧) مادة / غرل

(ب) وقد وردت العبارة في كتاب **المطر** بلفظة الغرين بدل الغريل . جاء في الكتاب : « والغِرْيَنُ الطين الذي يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض رطبا كان أو يابسا »[١] .

رابعا :

(أ) وورد في **لسان العرب** قوله في مادة دوم : « فأما دوّمت فعلى القياس وأما ديَّمت فلاستمرار القلب في ديمة وديم ، أنشد أبو زيد :

هو الجوادُ ابن الجوادِ ابنُ سَبَلْ   انْ ديَّموا جاد وان جادوا وبل

(ب) وقد جاء هذا البيت في كتاب **المطر** لأبي زيد مع اختلاف في الرواية حيث ورد بقوله « أنا الجواد بن جواد » ، ووردت في الحاشية رواية السكري للبيت بقوله « أنا الجواد بن الجواد » . واليك البيت كما أنشده أبو زيد في كتابه **المطر** :

أنا الجوادُ بنُ جواد بن سبل   انْ ديَّموا جاد وان جادوا وبل

وعقب أبو زيد بقوله : وقال العنبري : « ان دوّموا جاد »[٢] .

خامسا :

(أ) وجاء في **لسان العرب**[٣] : « قال أبو زيد سنا البرق ضوءه من غير أن ترى البرق أو ترى مخرجه في موضعه ، فانما يكون السَّنا بالليل دون النهار وربما كان في غير سحاب » .

(ب) وقد وردت العبارة في كتاب **المطر** لأبي زيد بنفس الألفاظ[٤] .

سادسا :

(أ) وجاء في **معجم لسان العرب** أيضا[٥] : « وقال أبو زيد : العارضُ السحابة تراها في ناحية من السماء وهو مثل الجُلبِ الا أن العارِضَ يكون أبيض والجُلب الى السواد . والجلب يكون أضيق من العارض وأبعد » .

(ب) وقد وردت العبارة السابقة بنفس المعنى مع اختلاف في بعض الألفاظ من حيث التقديم والتأخير ، جاء في كتاب **المطر**[٦] : والعارض السحابة تراها في ناحية السماء وهي مثل الجلب الا أن الجلب أبعد وأضيق من العارض . والعارض الأبيض أكثر ما يكون الى السواد .

خامسا : كتاب النوادر في اللغة

نسخ الكتاب

وصل الينا كتاب **النوادر** في اللغة لأبي زيد بروايتين :

الأولى : رواية أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرد المتوفي سنة

---

١) البلغة في شذور اللغة / ١١٠

٢) المرجع السابق / ١٠٣

٣) مادة / سنا

٤) البلغة في شذور اللغة ١٠٨

٥) مادة / عرض

٦) البلغة في شذور اللغة / ١١٠

٢٨٦هـ عن أبي محمد عبد الله بن محمد التوزي المتوفي سنة ٢٣٨هـ وأبي حاتم السجستاني سهل ابن محمد المتوفي سنة ٢٥٠هـ عن أبي زيد الأنصاري ٠

والثانية : رواية أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكرى الحسن بن الحسين المتوفي سنة ٢٧٥هـ عن الرياشى أبي الفضل العباس بن الفرج المتوفي سنة ٢٥٧هـ وأبي حاتم السجستاني عن أبي زيد ٠

وهؤلاء جميعا من أعلام اللغة الذين يرجع الفضل اليهم في حفظ لغتنا ٠

وقد اهتم علماء اللغة الأقدمون والباحثون المحدثون بالكتاب وأقبلوا عليه حفظا ودراسة وشرحا ، وحرصوا على اقتنائه ٠

فقد روى أن العباس بن الفرج الرياشى كان يحفظ الشعر الذي في هذا الكتاب كما يحفظ السورة من القرآن [١] ، وكان أبو على الفارسى يكاد يصلى بنوادر أبي زيد اعظاما لها في حين كان لا يعتد بنوادر اللحياني ، وقد قرأ ابن جني نوادر أبي زيد على أبي علي الفارسى فوصفها له أبو علي بقوله : ليس فيها حرف الا ولأبي زيد تحته غرض ما ، وعقب ابن جني على ذلك بقوله : وهي كذلك لأنها محشوة بالنكت والأسرار [٢] ٠

وقام عدد من علماء اللغة بشرح الكتاب نذكر منهم : الأصمعي وأبا حاتم السجستاني وأبا عثمان المازني والمبرد وأبا الحسن علي بن سليمان الأخفش ، وقد ترددت أسماؤهم في الكتاب ٠

ولم تتوقف العناية بالكتاب على أهل المشرق فقد وجدنا في الأندلس من كان يحفظ النوادر لأبي زيد [٣] ٠

وفي عصرنا الحديث اطلع على الكتاب الأستاذ سعيد الشرتوني فأعجب به وقام بنشره لتكتمل الفائدة منه ، ووصفه لدى اطلاعه عليه قائلا : « ولقد سرحت النظر فوجدته مما تبيع العذراء عقدها لتشتريه ويقتصد الأديب في قوته ليقتنيه » [٤] ٠

كما قام أحد الباحثين المحدثين ــ وهو الدكتور محمد عبد القادر أحمد ــ بتحقيق الكتاب سنة ١٩٧١م ، لكن التحقيق ما زال مخطوطا ولم ينشر بعد ٠

وقد حان الوقت لذكر نسخ الكتاب المخطوط منها والمطبوع على الوجه التالى :

١ ــ نسخة كوبريلى

وهي أقدم النسخ ، موجودة بمكتبة كوبريلى تحت رقم ١٤٠٦ مكرر وتقع في ١٢٦ صفحة ، وقد ذكرها بروكلمان في تاريخه [٥] ٠

٢ ــ نسخة الشنقيطي بدار الكتب المصرية

وهي تحت رقم ٤٤ ش ، أولها هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت مما سمعه من المفضل بن محمد الضبي ومن العرب قال أبو حاتم : قال لى أبو زيد : ما كان من شعر القصيد٠٠٠

---

١) **النوادر في اللغة** / ٢

٢) انظر **سر الصناعة** / ١٢٠ تاليف ابن جني . مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠ لغة ٠

٣) **فهرست** ابن خير الأشبيلي /٣٧١

٤) **النوادر في اللغة** . المقدمة /٤

٥) انظر **تاريخ الأدب العربي** ١٤٦/٢ تاليف كارل بروكلمان . ترجمة الدكتور عبد العليم النجار ، دار المعارف سنة ١٩٦١م ٠

وهي مخطوطة بقلم مغربي بخط العلامة اللغوى الكبير الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي ، وبأسفل كل بيت منها تفسيرات كثيرة كالشرح عليها لغريب مفرداتها ، ومضبوطة بالحركات وبهامشها تقييدات ·

وهي ضمن مجموعة مخطوطة تحتوى على كتابين مخطوطين أحدهما **غرر الفوائد ودرر القلائد** للشريف المرتضى وهو المطبوع المعروف بأمالي المرتضى ، وثانيهما كتاب **النوادر في اللغة** لأبي زيد الأنصاري ·

٣ ـ نسخة ثالثة

بمعهد احياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٨٩ لغة وهي مصورة على ميكروفيلم من مكتبة عاطف أفندى في تركيا ·

٤ ـ النسخة المطبوعة

نشرها الأستاذ سعيد الخوري الشرتوني اللبناني سنة ١٨٩٤م عن نسخة بخط اللغوى الكبير عبد الله بن المكرم الأنصاري صاحب **لسان العرب** · وقد تم طبع الكتاب بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت والحق في آخرها كتاب **مسائية** لأبي زيد وهو الكتاب الذي يضيفه بعض الناس الى كتاب النوادر ·

وقد أعيد طبع الكتاب سنة ١٩٦٧ ، وفي آخره ملحق بزيادات نسخة عاطف أفندي بعد الاطلاع عليها ·

وفي نهاية الكتاب فهرس بأسماء الرجاز والشعراء والفاظ اللغة التي وردت في الكتاب ·

وقد جاء الكتاب المطبوع في مائتين واثنتين وستين صفحة عدا الفهارس والزيادات ·

٥ ـ النسخة المحققة

وقد قام بتحقيق كتاب **النوادر في اللغة** الصديق الدكتور محمد عبد القادر أحمد باشراف الدكتور يوسف خليف حيث منح درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٧١م ·

والكتاب ما زال مخطوطا وهو موجود بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٩٨١ رسائل ·

وقد جاء التحقيق في أربعمائة واحدى وخمسين صفحة عدا الفهارس ، أوله : « قال تمام ابن عبد السلام بن محمد بن أحمد اللخمي اللغوى رحمه الله : قرأت على أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن أحمد بن بسّام بفسطاط مصر ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى ، قال أخبرني التوزى وأبو حاتم السجستاني عن أبي زيد ، قال الأخفش : وأخبرني أبو سعيد الحسن بن الحسين البصري المعروف بالسكرى عن الرياشي وأبي حاتم عن أبي زيد ، قال أبو سعيد : هذا كتاب أبي زيد ···

وآخره : تم كتاب **النوادر** وما يضاف اليه من كتاب **مسائية** بحمد الله ومنّه وصلى الله على خيرته من خلقه محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما ·

عرض مادة الكتاب

لم يبين لنا أبو زيد المنهج الذي سار عليه في تأليف كتابه **النوادر في اللغة** ، فقد خلا الكتاب من مقدمة • فهو يبدأ بالعبارة التالية : « أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أحمد ابن بسام قال أخبرنا أبو الحسن ••• »

وكما خلا الكتاب من مقدمة ، خلا كذلك من خاتمة الا ما جاء في آخره من عبارة : « تم كتاب **النوادر** وما يضاف اليه من كتاب **مسائية** بحمد الله ومنّه » •

وقد قمت بدراسة الكتاب فوجدته يحتوى على ستة عشر بابا كما في النسخة المطبوعة : ثلاثة أبواب خاصة بالشعر وسبعة بالرجز وستة بالنوادر •

أما أبواب الشعر فقد جاء ترتيبها في الكتاب على النحو التالى: الأول والثالث والحادى عشر•

وجدير بالذكر أن أبا زيد يصرح في أول الكتاب بأن ما جاء في كتابه من شعر القصيد فهو سماعه من المفضل بن محمد الضبي • وعندما يأتي بأبيات لم يسمعها من المفضل فانه يشير الى ذلك [1] •

وطريقته في أبواب الشعر أن يأتي بالبيت أو البيتين أو المقطوعة ، ويشرح ما فيها من ألفاظ غريبة ، ويتعرض لما فيها من ظواهر لغوية ، وقد يأتي بالمعنى الاجمالى بعد ذلك ، ويستشهد أثناء الشرح بأبيات أخرى من الشعر وبآيات من القرآن الكريم •

وراينه يذكر قائل البيت أو الأبيات ويعرف به فيذكر اسم قبيلته وعصره ، ويشير الى أنه جاهلى أو اسلامي أو يقول ••• وأدرك الاسلام أو ••• وأدرك معاوية ، وقد يكتفي بقوله : أنشدني بعض القشيريين ، أو : وقال رجل جاهلى •

ويشك في نسبة بعض الأبيات لواحد من شاعرين فيثبت ذلك تحقيقا للأمانة العلمية فيقول : وقال زهير بن مسعود الضَّبِّي أو سويد ، فيعقب تلميذه أبو حاتم ويثبت هذا الاحتراز ويقول : شك أبو زيد •

ويصوب خطأ وقع فيه غيره من الناس فيروي شعرا لكعب بن سعد بن مالك الغنوى ثم يقول : « وهذا الشعر يرويه بعض الناس لسهم الغنوى والثبت ما ذكرت لك » [2] •

وقد وردت بعض الأبيات في كتاب **النوادر** دون ذكر قائلها وقبلها علماء اللغة واستشهدوا بها لأن أبا زيد ثقة عندهم مأمون ، ولم يغض ذلك من قيمة الكتاب ، فقد وردت أبيات في كتاب سيبويه غير منسوبة لقائليها ومع ذلك تناقلها العلماء •

أما طريقته في اختيار الأشعار فلم تكن على أساس التذوق الأدبي فقد تعمد اختيار الأبيات التي تخدم الدراسة اللغوية بحيث تحتوى على فوائد لغوية وألفاظ نادرة فجاءت كما وصفها ابن جني محشوة بالنكت والأسرار ، ليس فيها حرف الا ولأبي زيد تحته غرض ما [3] •

وقد وردت بعض الأبيات التي تحوى أخبارا كتلك التي تروى قصة الشاعر عدى بن زيد مع النعمان ، وكان عدى كاتب النعمان فقتله بعد عذاب طويل ومساءلة كثيرة [4]•

---

١) انظر النوادر في اللغة /١٦٢ ، ١٦٣
٢) المرجع السابق / ٣٧
٣) مخطوطة سر الصناعة لابن جني / ١٢٠
٤) انظر النوادر في اللغة / ٢٦

ووردت أبيات أخرى تروي خرافات كتلك التي تحكي قصة عمرو بن يربوع والسعلاة التي تزوجها فأقامت عنده حتى ولدت له بنين فأبصرت ذات يوم برقا فقالت[١] :

الزمْ بَنيكَ عمرو اني آبِقْ   بَرْق على أرضِ السَّعالى آلِق

فقال عمرو :

ألا لِلّهِ ضيفك يا أماما

وقال الشاعر :

يا قاتَلَ اللهُ بني السِّعلاتِ   عمرَو بن يربوع شرار النّاتِ
غيرَ أعِفّاء ولا أكياتِ

وقد عاب أبا زيد على هذه الرواية تلميذه الجاحظ المعتزلي ، وفصلت ذلك عندما تحدثت عن اتجاه أبي زيد العلمي[٢] ٠

أما الشعر الذي ورد في كتاب **النوادر** فكان بعضه جاهليا ، منه ما كان موغلا في جاهليته حتى ان أبا الحسن الأخفش عقب على بعض الأبيات قائلا : « حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى أن هذا الشعر من أقدم ما قيل في الجاهلية[٣] ٠

وأما البعض الآخر فكان شعرا اسلاميا ٠

وقد لاحظت خلوّ الكتاب من الشعر العباسي نظرا لتوقف النحويين في عصر أبي زيد عن الاستشهاد بشعر المولدين ٠

وقد وقعت في الكتاب على أسماء كبار الشعراء الجاهليين كثير منهم كان من أصحاب المعلقات ، ومن الجاهليين المشهورين الذين وردت أشعارهم في الكتاب : أمرؤ القيس وطرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم وعنترة والنابغة والأعشى ٠

كما وقعت على أسماء كبار الشعراء الاسلاميين ومنهم جرير والفرزدق والأخطل وابن الرقيات والعجاج ورؤبة بن العجاج ٠

وأما أبواب الرجز في الكتاب فقد جاءت أكثر أبوابه عددا اذ بلغت سبعة أبواب ، جاء ترتيبها على النحو التالي : الثاني والرابع والخامس والسابع والتاسع والثاني عشر والخامس عشر ٠

غير أن هذه الأبواب لم تقتصر على الرجز ، فقد رأيت أبا زيد يدخل فيها كثيرا من شعر القصيد وأخص البابين الخامس والتاسع حيث طغى القصيد على الرجز ٠

أما طريقته في أبواب الرجز فهي نفسها التي اتبعها في أبواب الشعر وهي أن يأتي بالأبيات ويأخذ في شرح مفرداتها الغريبة ويستشهد أثناء الشرح بأبيات من الشعر وبآيات من القرآن الكريم على نحو ما كان يفعل في أبواب الشعر ٠

---

١) النوادر في اللغة /١٤٧

٢) انظر البحث / ٤٤

٣) النوادر في اللغة / ١١٢

وقد رأيته يتعمد اختيار الرجز المحشو بالألفاظ الغريبة، ولا عجب في ذلك فقد كان أبو زيد رجل غريب .

ووردت مفردات غريبة في الباب التاسع صعبت على العَالِم اللغوي أبي الحسن الأخفش عندما تعرض لشرح الكتاب فعرضها على شيوخه فلم يتمكنوا من معرفة معناها ، قال أبو الحسن : « سألت جماعة شيوخنا عن قوله أَتاَنَ وأَتناً والجَمير فما عرفوه ولا عرفته الىهذه الغاية»[1] .

وقد ساعدت أبا زيد في فهمه هذه الأرجاز وشرحها معرفته الواسعة بكلام العرب ، انظر اليه في أحد أبواب الرجز حين يقول : « يقال لفرخ الضبِّ حين يخرج من بيضته حسل ثم يكون غيداقا ثم يكون مطبِّخا ثم يكون ضبًّا مدركا »[2] .

وفي باب آخر يقول : « النَّقال واحدها نقل وهي النِّعال ، والنَّقلان والنَّعلان الخلقان اللتان قد خصفتا فتقطعت سيور الرقاع منها . يقال نقلت أشدّ النَّقل وهي التي يجرّها صاحبها جراً والنِّقلة بكسر النون وتسكين القاف من النساء التي يتركونها فلا يخطبونها من الكبر . والنَّقيل الغريب في القوم ان رافقهم أو جاورهم »[3] .

وهكذا تجد معرفة واسعة بكلام العرب .

لكن أبا زيد نادرا ما يذكر اسم القائل في أبواب الرجز ويكتفي في أغلب الأحيان بأن يقول: ... قال الراجز ... وقال آخر ... أو قال راجز من قيس ... أو وأنشدني الأسديون .

ويصرح في أول الكتاب بأن ما فيه من رجز فهو سماعه عن العرب وعندما ينشد رجزا عن المفضل يشير الى ذلك[4] .

ويختار رجزا يحمل أخبارا فيذكر قصة قيس بن عاصم عندما أخذ ابنه حكيما وأمه منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي فرقصه وقال[5] :

أَشبِهْ أَبا أمِّك أَوْ أَشبِهْ حَمَل ولا تكونَنَّ كَهِلَّوْف وَكَلْ
يَبيتُ في مَقعَدِهِ قَدْ انجَدَلْ وارْقَ الى الخَيراتِ زنأً في الجبلْ

فأخذته منفوسة منه ثم قالت :

أَشبِهْ أَخي أَو أَشبِهَنْ أَباكا أَمَا أَبي فلَنْ تنالَ ذاكا
تَقصُرُ أَنْ تَنالَهُ يداكا

١) النوادر في اللغة / ١١٨
٢) المرجع السابق / ٩٢
٣) المرجع السابق / ١٨٢
٤) المرجع السابق / ١٠٥
٥) المرجع السابق / ٩٢

أما أبواب النوادر فجاءت في الكتاب ستة، ترتيبها على النحو التالى : السادس والثامن والعاشر والثالث عشر والسادس عشر ·

والنوادر على ما يبدو هي الغرض الأساسى لتاليف الكتاب وهي التي حملت اسمه ·
وهذه الأبواب سماع أبي زيد عن العرب كما يصرح في أول الكتاب ·

ويعرضها أبو زيد في الكتاب على شكل أقوال نثرية ، يبدأها في الغالب بكلمة يقال ، ومثال ما ورد من النوادر في الكتاب ما يلي :

« يقال ركب فلان المَجَبَّة أي ركب الطريق وركب فلان مَلْكَ الطَّرِيقِ أي وَسَطَه ، ويقال انطلق فلان مهلًا اذا انطلق والقوم شاكّون أينطلقُ أم لا يَتِمّ انطلاقُه · ويقال زَمهرَتْ عينا فلان زَمهَرَة اذا احمرّتا وغَضِبَ · ويقال ما يَعضّ فلان الا على دُرْدُرِه أي ليست له أسنان فهو يَعَضّ على لثتِه · ويقال ما لي به نُبه أي لم أنتبه له ، ويقال أنبلتُ الرّجلَ انبالا اذا وَهَبتَ له نَبلا أو سهما واحداً » [1] ·

وقد ينسب هذه النوادر الى قبائلها واصحابها كأن يقول : قال الكلابيون المَهروسُ والمَجشوشُ واحد وهي هَريسَة وجَشيشة وقال أبو المَضاء الكِلابي : الهريسُ والجشيشُ الحَبّ حين يُدَقّ بالمِهراسِ قبل أن يُطبَخَ فاذا طُبِخَ فهو هَريسةوجَشيشَة اذا جشّوه [2] · وسمعت رجلا من بني عقيل يقول هم الّذون قالوا ذاك ولم يقل الذين [3] · وقال رجل من بني حنظلة ما رأيتُ من المرأة مَوْقِفَها [4] · وقال رجل من بكر بن وائل أخذت هذا مِنهِ يا فتى ومِنهِما ومِنهِم قال وقال ولم أعرِفهِ ولم أضرِبهِ فكسر الهاء مع الباء [5] ·

وسمعت أعرابيا من بني تميم يقول [6] : فلان كِبرَةُ وَلَدِ أبيه اذا كان أكبرَهُم وقال رجل من بني عبس ··· وقيس تقول ··· وقال القُشَيريونَ ··· وسمعت أعرابيا من أهل العالية يقول ··· وسمعت نميرا تقول ··· وسمعت بعض العجلانيين ··· وهو قول بني كعب ابن عبد الله بن أبي بكر · وتقول يَئِسَ يَيئِسُ وَحَسِبَ يَحسِبُ في لغة عليا مُضَر وسفلاها يقولون يَئِسَ يَيأَسُ وحَسِبَ يَحسَبُ [7] ·

والكتاب في هذه الناحية دراسة واسعة للغات العرب · لكن أبا زيد ـ رحمه الله ـ فوّت علينا فرصة كبيرة لأنه أورد أغلب النوادر في الكتاب دون أن ينسبها الى قبائلها وبذلك لم تكتمل الفائدة المرجوة من الكتاب في هذا المجال ·

والكتاب بعد ذلك يدلنا على كثرة تنقلات أبي زيد في البادية وكثرة القبائل التي طاف بها في رحلاته وروى عنها ، كما يؤكد لنا اتساع أبي زيد في الرواية ، وتلك صفة عرف بها ·

ولا يكتفي أبو زيد بعرض هذه النوادر بل يعمد في أغلب الأحيان الى شرح غريبها كان يقول :
« ويقال جعل القوم حَبُولَهُمْ على غَوارِبِهِمْ الحَبُول واحدها حَبل وهي الأرْسان · والغَوارِبُ واحدها غارب وهي أعالي كُلّ شيء » [8] ·

والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب ·

---

١) النوادر في اللغة /٨٨
٢ ـ ٨) المرجع السابق / ٨١ ، ٨٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٩٧ ، ٢٢٥ ، ٨٣ على الترتيب ·

ويكثر من الاستشهاد بالشعر أثناء شرح هذه النوادر ، جاء في الكتاب : « وقال رجل مَقتوَين ورجلان مَقتوَين ورجال مَقتوَين وكذلك المرأة والنساء وهو الذي يخدمُ القوم بطعام بطنه ، وقال عمرو بن كلثوم :

تَهَدّدْنا وأَوْعِدْنا رُوَيداً متى كنا لامِّك مَقتوِينا

الواو مفتوحة وبعضهم يكسرها أي متى كنا خدما لأمك[1]٠

والشعر هنا ياتي لخدمة النوادر وليس كما يرد في أبواب الشعر والرجز ٠

كما يستشهد بآيات من القرآن الكريم لايضاح المعنى جاء في الكتاب[2] : « ويقال أَسقَيتُ الأرض اسقاء اذا حفرت لها نهرا تشرب منه وسَقَيتُ الأرض سَقياً اذا وَليت ذلك لها ويقال قد أسقانا الله اذا أرسل علينا مطرا عاما وهو من قوله عز وجل « ونُسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسيّ كثيرا »[3] ٠

ويستشهد كذلك بالأمثال ، قال أبو زيد : « يقال ذِمتُه أذيمُه ذَيما وذاما ٠ أبو زيد وقالوا في مثل لا تَعدَم الحسناء ذاما أي عيبا »[4] ٠

وأثناء عرضه لهذه النوادر يروى أخبارا عن العرب ، قال أبو زيد[5] : « ويقال قد دَخَلتُ في غَيثَرَةِ الناس وأفرَتِهِمْ مشددة الراء وهما واحد ، اذا رأيت قوما مختلطين قد اجتمعوا فدخلت فيهم الغين من غيثرة معجمة ٠ قال : وزعموا أن امرأة أمرت زوجها بالسمسرة فقال لها ويلك اني أخاف أنْ أُوضَعَ ان نساء أصحابي خير لهم منك لى قالت وكيف ذلك قال انهن يَنبِذْنَ لأزواجهنّ فتسقي المرأة زوجها قبل أن يغدو شَرْبَة قالت فأنا أنبذُ لك فَنَبَذَتْ له جَرّة من نبيذ فلما كان سَحَر أيقظته ولجَرّتِها كتيت والكَتيتُ الغليان ٠٠٠ فَسَقَتهُ منها عند طُلوع الزّهَرَةِ مثل هُمَزَة ، فلما رَوِي غَدا الى السوق فأقام ما أقام ثم حَسَبَ حسابَهُ فاذا هو قد وُضِعَ عَشَرَةَ دراهم فأنشأ يقول :

قد أَمَرَتني زَوْجَتي بالسَّمسَرَة وصبَّحتني لطلوع الزّهَرَةْ
عُسَّيْنَ من جَرّتِها المُخَمَّرَة فكان ما أصبتُ وسط الغَيثَرة
وفي الزّحام أن وُضِعتُ عَشَرَة

ونقع في هذه الأبواب على أسماء شيوخ لأبي زيد كأبي السمَّال العدوى ورؤبة بن العجاج ، كما نجد نقولا عن جماعة من ثقات الأعراب وفصحائهم طالما أخذ عنهم صاحبنا وأفاد منهم ومن هؤلاء : أبو خيرة العدوى وأبو المضاء الكلابي وأبو مرة الكلابي والمنتجعْ بن نبهان وأبو الصقر والحجاج الكلابي والخرمازي والعكلي ٠

---

١ ، ٢) النوادر في اللغة / ١٨٨ ، ٢٢٣
٣) سورة الفرقان ، آية : ٤٩
٤) النوادر في اللغة /٩٧
٥) المرجع السابق / ١٣٧

وقبل أن أنهي حديثي عن مادة الكتاب ، تجدر الاشارة الى أنه قد اشتمل على كثير من المسائل الصوتية والصرفية والنحوية ، وكنت قد أعددت عرضا لبعض هذه المسائل هنا ، ولكن خشيتي من الاطالة جعلتني أرجع عن ذلك ، خاصة وأنني سوف أتعرض لتفصيل هذه المسائل في حديثي عن مذهب أبي زيد النحوى ٠

وبعد ، فالكتاب في مجموعه ثروة لفظية هائلة ، فلا نعجب اذا وجدناه مصدرا هاما لكثير من علماء اللغة في مؤلفاتهم ، وقد وقعت على نصوص كثيرة من الكتاب في مختلف كتب التراث سوف أعرض بعضها عند توثيق الكتاب ٠

توثيق النوادر

اولا : التوثيق التاريخي

حظي كتاب **النوادر** بعناية المؤرخين قديما وحديثا، فلا يكادون يذكرون شيئا من مؤلفات أبي زيد حتى يكون كتاب **النوادر** في مقدمتها ، وذلك يظهر لنا مدى أهمية الكتاب وكثرة اقبال الدارسين عليه ٠

ومن المؤرخين القدامى الذين ذكروا كتاب **النوادر** في اللغة لأبي زيد : ابن النديم والأزهرى وابن خلكان وابن مكتوم والقفطى وياقوت والسيوطي [١] ٠

أما المحدثون فقد ذكره منهم بروكلمان وخير الدين الزركلي ويوسف سركيس [٢] ٠

ثانيا : التوثيق المنهجي

جاء كتاب النوادر مطابقا لمنهج أبي زيد في النحو واللغة على النحو التالى :

أ ــ البعد عن التعليل : سوف افصل هذه المسألة عند الحديث عن مذهب أبي زيد النحوى ، ولكنني أكتفي هنا بالاشارة الى أن أبا زيد في منهجه قد بعد عن التعليل وخرج على المدرسة البصرية في ميلها الى التعليل واحتفائها به ، وقد جاء كتاب **النوادر** في اللغة مطابقا لمنهج أبي زيد في بعده عن التعليل[٣] ٠

ب ــ القياس على الشاذ : اهتم البصريون بوضع الأصول بعد استقراء الأمثلة ، وكانوا اذا سمعوا مثالا مخالفا لتلك الأصول حاولوا تأويله والا نعتوه بالشذوذ والنادر وتوقفوا عن القياس عليه ٠

أما الكوفيون فكانوا اذا سمعوا لفظا في شعر أو نادر كلام جعلوه بابا ، وأنهم لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوّبوا عليه ٠

وعرف عن أبي زيد البصرى تحرره وشخصيته المستقلة فكان يقيس على الشاذ كما سأوضح ذلك بالتفصيل عند الحديث عن مذهبه النحوى ، ولكني هنا أبادر فأقول : ان كتاب **النوادر في اللغة** جاء مطابقا لمنهج أبي زيد وتفكيره في هذه المسألة وان أبا زيد قد صرح فيه بالقياس على الشاذ واليك المثال التالى :

---

١) **الفهرست /٥٥ ، تهذيب اللغة ١/١٢ ، وفيات الأعيان ٢/١٢١ ، تلخيص اخبار النحويين /٤١ ، انباه الرواة ٢/٣٥ ، معجم الادباء ١١/٢١٧ ، بغية الوعاة ١/٥٨٣ ٠**

٢) **تاريخ الادب ٢/١٤٦ ، الاعلام ٣/١٤٤ ، معجم المطبوعات /٣١٢ ٠**

٣) انظر البحث / ١١٢ وما بعدها ٠

جاء في نوادر أبي زيد قوله : وسمعت أعرابيا من بني تميم يقول فلان "كِبرة ولد أبيه اذا كان أكبرهم ·

ومعروف أن الصيغة في أفعل التفضيل هي « أفعل » ومعنى ذلك أن قول الأعرابي في نظر البصريين شاذ لا يقاس عليه ·

لكن أبا زيد قاس عليه وقال في نفس الكتاب : وفلان صِغرَةُ ولد أبيه وعِجزَةُ ولد أبيه اذا كان آخر ولد يولد لأبيه [1] ·

جـ ـ الاتساع في الرواية : احترم أبو زيد السماع ، ووسع دائرة الأخذ ، ولم يكن لينثني عن رواية ما سمعه ولو كان نادرا غريبا في رأي غيره من البصريين · وكان خروجه الى البادية جادا يهدف الى جمع المزيد من الثروة اللغوية التي كانت مادة للدرس الاستقرائي ، وبذلك كان أقرب الى فهم الطبيعة اللغوية ·

وقد لحظت المنهج نفسه في كتاب **النوادر** لأبي زيد حيث يقول : « والنِّكلُ والقَيد يجعلان من الحديد والقدّ » · وعقب أبو الحسن الأخفش قال : « هكذا حكي عن أبي زيد نكل بفتح النون وما علمت أحدا حكاها ولا حكيت عنه الا بكسر النون » [2] ·

وقد حكاها يعقوب في المنطق نِكل بكسر النون [3] عن أبي زيد ·

د ـ الاحتفاء بالغريب : كان أبو زيد رجل غريب ، وقد جاء كتابه **النوادر في اللغة** مليئا بالألفاظ الغريبة ومطابقا لمنهجه في هذا المجال · روى أبو زيد في كتابه **النوادر** : اعرنفز الرجل اعرنفازا اذا مات » [4] · وعقب أبو الحسن الأخفش على الرواية فقال : « أخبرني محمد بن يزيد قال : قرأت هذا الكتاب من أوله الى آخره على أبي محمد التوزي فلم ينكر منه الا حرفا واحدا وهو أن أبا زيد قال : اعرنفز الرجل اذا مات · ولم يعرفها التوزي [5] ·

هـ ـ الاستشهاد بالحديث الشريف : توقف القدماء من البصريين والكوفيين على السواء عن الاستشهاد بالحديث النبوي ·

الا أن أبا زيد بما عرف عنه من تحرر وشخصية مستقلة قد استشهد بالحديث الشريف، وقام منهجه في النحو واللغة على أساس جواز الاستشهاد بالحديث ، وسوف أفصل الكلام في هذه المسألة عند الحديث عن مذهب أبي زيد في الثروة اللفظية ·

وما أود قوله الان هو أن كتاب **النوادر في اللغة** قد جاء موافقا لمنهج أبي زيد القائم على جواز الاستشهاد بالحديث الشريف ·

---

١ ، ٢) **النوادر في اللغة** / ٩٧ ، ٢٤٥

٣) **اصلاح المنطق** /٩٨ تاليف ابن السكيت ، تحقيق احمد شاكر وزميله ، **الطبعة الثالثة** ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٩م ·

٤) **النوادر في اللغة** /٩٠ وقد وجدت مصحفة في الكتاب والصواب ما ذكرت ، انظر **مخطوطة النوادر المحققة** /١٦١

٥) **النوادر في اللغة** /٣١٧

ثالثا : توثيق النصوص

أبادر هنا فاعترف بأنني لم أجد صعوبة في العثور على نصوص من كتاب **النوادر** في كتب اللغة ، فقد كان الكتاب في حد ذاته مادة هامة لكثير من علماء اللغة ، وفي مقدمتهم أبو علي الفارسي وابن جني ، حتى ان يوهان فك في حديثه عن شرح ديوان المتنبي لابن جني أشار الى أن الكتاب اشتمل على القسم الأعظم من النوادر اللغوية التي جمعها أبو زيد [١] .

ولقد تجمع لديَّ كثير من النصوص أجتزىء منها ما يلي :

أولا : أ) جاء في كتاب (**سر صناعة الاعراب**) لابن جني قوله : قرأت على أبي علي في **نوادر** أبي زيد لقيس بن جروة الطائي جاهلي [٢] :

فأَقسَمتُ لا أَحتَلّ الا بصهوة   حرام عليّ رملُه وشقائقُه
فانْ لم تغير بَعضَ ما قَدْ صَنَعتُم   لأنتحين لِلعَظْم ذو أَنا عارِقُه

ب) وقد ورد البيتان في كتاب **النوادر** لأبي زيد بنفس الألفاظ باستثناء كلمة (أحتل) التي ورد بدلها (أحل) ، و (حرام) التي ورد بدلها (كرام) [٣] .

ثانيا : أ) ورد في كتاب المنصف على لسان ابن جني قوله : « وأخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد عن أبي زيد في كتاب **النوادر** : وقالوا احبنطيت احبنطاء وهو محبنط غير مهموز في كلامهم » [٤] .

ب) وقد ورد نفس النص بنفس الألفاظ في كتاب النوادر لأبي زيد [٥] .

ثالثا : أ) وفي **المزهر** قال أبو زيد في نوادره : قلت لأعرابية بالعيون بنت مائة سنة مالك لا تاتين أهل الرفقة ، فقالت : اني أخزى أن أُمَشّيَ في الرِّفاق أي أستحي [٦] .

ب) وقد اطلعت على نفس النص في كتاب **النوادر** في اللغة لأبي زيد [٧] .

رابعا : أ) وفي أمالي **المرتضى** [٨] روى عن أبي زيد أن قيس بن عاصم المنقرى أخذ صبيا له يرقصه وأم ذلك الصبي منفوسة ، وهي بنت زيد الفوارس ضرار الضبي ، فجعل قيس يقول له :

أَشبِهْ أَبا أُمّكَ أو أَشبِهْ حَمَلْ   ولا تكونَنَّ كَهِلَّوْفٍ وَكَلْ
وارْقَ الى الخيرات زَنا في الجبل

---

١) انظر كتاب العربية ليوهان فك /١٧٨
٢) مخطوطة سر الصناعة لابن جني /١٤٥
٣) النوادر في اللغة /٦١
٤) المنصف لابن جني ٩/٣
٥) النوادر في اللغة /١٩٨
٦) المزهر للسيوطي ١٣٩/١ وقد وردت اخطاء في نقل النص والصواب ما جاء في النوادر .
٧) النوادر في اللغة /٣
٨) امالي المرتضى ٢٨٦/٢ تاليف الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوى ، تحقيق محمد أبو الفضل ، طبعة مصر ١٩٥٤ .

فأخذته أمه وجعلت ترقصه وتقول :

أَشبِهْ أَخي أَوْ أَشبِهَنْ أَباكا أما أبي فلنْ تنالَ ذاكا
تَقصُرُ عنْ منالِهِ يَداكا

ب) وقد قرأت القصة بكاملها في كتاب **النوادر في اللغة** لأبي زيد[1] .

خامسا : أ) ونقل صاحب اللسان عن أبي زيد في نوادره خمسة أبيات أنشدها للبعيث في الشمل أولها[2] :

وقد ينعش اللهُ الفتى بعد عَثرة وقَدْ يجمعُ اللهُ الشَّتيتَ من الشَّمَلْ

ب) والأبيات الخمسة موجودة في كتاب **النوادر في اللغة** لأبي زيد ، وقد زيد عليها بيت واحد للبعيث هي قوله[3] :

وأَيَّةُ أُم لا تَكِبَّ على ابنِها على شَجَبَ أو لا يُصادِفُها ثكَلْ

سادسا : كتاب الهمز

لأبي زيد ثلاثة كتب في الهمزة هي : **تحقيق الهمز** ، **وتخفيف الهمز** ، ثم كتاب **الهمز** الذي نحن بصدد الحديث عنه .

أما الكتابان الأول والثاني فهما مفقودان ، لذلك فسوف أرجىء الحديث عنهما الآن، وسيأتي ذلك عند الحديث عن آثار أبي زيد المفقودة .

أما كتاب **الهمز** الذي بين أيدينا فمطبوع الا أنه أشبه بالمخطوط في ندرته وقد قمت بتصويره عن أصل محفوظ بالجامعة اليسوعية في بيروت ، بعد أن تطلبته في المكتبات فلم أعثر عليه .

وقد وصل الينا الكتاب برواية الشيخ أبي الفضل عمر بن عبيد الله بن البقال عن أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ .

ونشره الأب لويس شيخو في مجلة المشرق سنة ١٩١٠ ، ثم قام بطبعه بالمطبعة الكاثوليكية في السنة نفسها .

نسخ الكتاب

أما نسخ الكتاب فهي :

١ ـ النسخة المخطوطة

وقد وردت ضمن مجموع قديم خُطَّ سنة ٦٤٩هـ ـ ١٢٥١م وقد وقف على مضمون هذا المجموع اللغوي المشهور الحسن بن محمد الصغاني وأجازه .

---

١) النوادر في اللغة /٩٢

٢) مادة شمل

٣) انظر النوادر /٢٩

وهذا المجموع يتألف من ستة آثار لغوية وأدبية تبلغ ثلاثمائة صفحة ملكه رجل دمشقي ، وافرد كل أثر وحده أملا بالربح ، فاقتناها الأب أنستاس الكرملي ٠

وكتاب الهمز لأبي زيد يأتي في مقدمة هذا المجموع ويبلغ ثمانيا وأربعين صفحة ، وفي الصفحة الواحدة خمسة عشر سطرا ٠

وقد وقع في النسخة بعض أغلاط أشار اليها ناشر الكتاب في النسخة المطبوعة ٠

٢ ـ نسخة بدار الكتب المصرية

تحت رقم ٣٧٠ لغة وهي نسخة مطبوعة قام بنشرها عن النسخة المخطوطة السابقة الأب لويس شيخو ، طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩١٠ ، وفي آخر الكتاب فهرس بالألفاظ الواردة فيه وفهرس آخر بأسماء الشعراء التي وردت في الكتاب ٠

وقد جاء الكتاب المطبوع في أربعين صفحة بما في ذلك الفهارس ٠ بدأه الناشر بتوطئة تحدّث فيها عن المخطوطة التي نشر عنها الكتاب ، كما تحدث عن كتب أبي زيد المنشورة الأخرى ، وعن اختلاف رسم الهمزة بين النسختين : الأصل والمطبوعة ٠

وذكر في أول الكتاب بعد البسملة رواته على النحو التالى : « أخبرنا الشيخ أبو الفضل عمر ابن عبيد الله بن عمر البقال الفقيه بقراءتي عليه فاقر به قال : أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس فيما قرىء عليه وأنا أسمع في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، قال : حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد بن يوسف بن جعفر الكاتب يوم الخميس النصف من رمضان سنة خمس وستين وثلثمائة ٠ قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي قراءة علينا من لفظه وأنا أسمع في صفر سنة خمس وثلثمائة وسمعنا قبل ذلك مرة أخرى في سنة أربع وثلثمائة قال : أخبرني أبو جعفر أحمد بن أبي محمد اليزيدي عمي في سنة خمسين ومائتين قال : قرأت على أبي زيد هذا الكتاب ٠

أما الخاتمة فقد جاء فيها : تم كتاب الهمز بحمد الله وذلك في سحر الثلاثاء الثاني من ذي القعدة من سنة تسع وأربعين وستمائة (١٢٥١م) والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلواته على رسوله محمد النبي وآله الأكرمين وسلامه ٠

(وجاء على الهامش بخط آخر) بلغت المقابلة بالأصل المنتسخ عنه وكتب الملتجىء حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ٠

عرض مادة الكتاب

تنحصر أهمية هذا الكتاب في أنه ثروة لفظية هامة ، قدم فيها أبو زيد مجموعة من مفردات اللغة التي اتفقت في كون الهمزة أحد حروفها ، سواء كانت الهمزة فاء للكلمة كما في قول أبي زيد [١] : « أدر الرجل يأدر أدرا اذا امتلأ صفن خصييه وهو جلدتهما ، وتقول : أفر الرجل يأفر أفرا اذا وثب وعدا ، وتقول : قد أكر الرجل يأكر أكرا اذا احتفر أكرة في الغدير فيجتمع الماء له فيها فيغترفه صافيا » ٠

---

١) الهمز /٩

أو كانت الهمزة عينا للكلمة كما في قوله[١] : بَؤُسَ الرجل يَبؤُسُ بأساً اذا كان شديد البأس وفي البُؤس : قد بَئِسَ يَبأَسُ بُؤْساً وبَئِيسا » أو كانت الهمزة لاما كما في قوله :[٢] « قد دَنَأَ يَدْنَأُ دَناءة ودَنُؤَ يَدْنُؤُ اذا كان دَنِيئاً لا خير فيه » ٠

ويهتم أبو زيد في عرضه لهذه المفردات بالتصريف كأن يقول[٣] : دَفِئَ الرجل يَدْفَأُ دِفئاً وهو رجل دَفْئان وامرأة دَفْئَى وبيت دَفِيء وغرفة دَفِيئَة ٠

كما يعرض اللفظة في وجوهها المختلفة ، يقول أبو زيد في باب من الهمز[٤] : « عَبَأْتُ الطيب عَبْئاً اذا صنعتُه وخلطتُه ، وتقول : ما عَبَأْتُ بفلان عَبْئاً اذا لم تصنع به شيئا وعَبَأْتُ المتاع اذا هيَّأته وعَبَّأْتُه تَعبِئَة كل من كلام العرب ، وعَبَّأْتُ الخيلَ تَعبِئَة وتَعبيئاً ، ونقول هو عِبْء وجماعَه الأعباءُ وهو الحِملُ » ٠

ويقدم هذه المفردات دون نظام معين وترد بين آونة وأخرى عبارة : وتقول في باب آخر من الهمز ٠

والكتاب في مجموعه سماع عن العرب ، وينسب أبو زيد فيه اللغات الى قبائلها في أحيان كثيرة ، كأن يقول[٥] : ٠٠٠ ولقد هَنُؤَ هَناءَة وهناءً وهنأً وهِنأً (تميم تقول هَنأً وقيس هِنأً) ، وصَرَعَهُ صَرْعاً تميمية وصِرْعاً قيسية ٠

وينمَ الكتاب عن معرفة أبي زيد الواسعة بكلام العرب ، كأن يقول أبو زيد : ليس في الأرض قيسيَ الا يقول القُثَّاء برفع القاف[٦] ٠

وفي الكتاب استشهاد بالقرآن الكريم وبالشعر العربي في كثرة زائدة ٠ وأكثر الشعراء الذين تردد ذكرهم في الكتاب : ذو الرمة ورؤبة بن العجاج وزهير بن أبي سلمى ٠

توثيق الكتاب

أولا : التوثيق التاريخي

ذكر كتاب **الهمز** من المؤرخين القدماء[٧] : ابن النديم والأزهرى كما ذكره ياقوت وابن خلكان والقفطى وأطلقوا عليه الهَمزة ٠

ومن المحدثين[٨] ذكره خير الدين الزركلي ويوسف سركيس وعبد الصاحب الدجيلي وبروكلمان وقد سماه : كتاب **الهمز** و**تحقيق الهمز** وهما كتابان كما أشرنا سابقا وقد اعتبرهما بروكلمان كتابا واحدا ٠

ثانيا : توثيق النصوص

استحوذ كتاب **الهمز** لأبي زيد على اهتمام كثير من الباحثين فكثرت لأجل ذلك النقول من الكتاب ، وقد تجمعت لدي نصوص كثيرة اجتزىء منها ما يلي :

---

١ ـ ٦) **الهمز** / ٧ ، ١٢ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٤ على الترتيب تاليف ابي زيد الأنصارى ، الناشر : الأب لويس شيخو ، طبعة بيروت ، سنة ١٩١٠م ٠

٧) **الفهرست** /٥٥ ، **تهذيب اللغة** ١٢/١ ، **معجم الأدباء** ٢١٧/١١ ، **وفيات الأعيان** ١٢١/٢ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ٠

٨) **الأعلام** ١٤٤/٣ ، **معجم المطبوعات** /٢١٢ ، **اعلام العرب** ٩٨/١ ، **تاريخ الأدب** ١٤٦/٢ ٠

أولا : أ) ورد في كتاب المنصف لابن جني قوله [١] : « وقرأت على أبي علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس عن الفضل عن أبي زيد في كتاب **الهمز** : « وتقول احبنطأت احبنطاء اذا انفتح جوفك » ٠

ب) وقد وردت هذه العبارة في كتاب **الهمز** المطبوع لأبي زيد بنفس الألفاظ [٢] ٠

ثانيا : أ) وجاء في معجم **لسان العرب** [٣] :وقال أبو زيد في كتاب **الهمز** : أرامت الجرح ارءاما اذا داويته حتى يبرأ فيلتئم » ٠

ب) وقد ورد قول أبي زيد في كتاب الهمز قال [٤] : « وتقول أرأمت الجرح ارءاما اذا داويته حتى يبرأ فيلتئم » ٠

ثالثا : أ) وقال صاحب **اللسان** أيضا [٥] : وأنشد أبو زيد في كتاب **الهمز** :

وقــد ثـأجوا كَثُؤاجِ الغَنَمْ

ب) وقد ورد انشاد أبي زيد في كتاب الهمز بنفس الألفاظ [٦] ٠

رابعا : أ) وجاء في الامتاع والمؤانسة : حكى أبو زيد قال : قد هجأ غرثي اذا ذهب ، وقد أهجأ طعامكم غرثي اذا قطعه قال الشاعر :

فأخزاهُمُ رَبِّيَ وَدَلَّ عليهمُ وأَطعَمَهُم من مطعَم غير مهجىء [٧]

ب) وقد ورد قول أبي زيد هذا في كتابه **الهمز** حيث قال : « وتقول : هجأ غرثي هجأ اذا ذهب وقد أهجأ طعامكم غرثي اذا قطعه اهجاء ٠

قال الشاعر :

فأخزاهُمُ رَبِّيَ ودَلَّ عليهمُ وأَطعَمَهُمْ من مطعم غير مهجىء [٨]

خامسا : أ) كما ورد في كتاب الابدال لأبي الطيب اللغوى نقل من كتاب **الهمز** ، قال أبو الطيب : قال أبو زيد : يقال سأبت الرجل سأبا وسأتّه سأتا وهما واحد اذا خنقته خنقا » [٩] ٠

ب) وقد جاء هذا القول في كتاب **الهمز** ، قال أبو زيد : وتقول في باب آخر : سأبت الرجل سأبا وسأتّه سأتا وهما واحد اذا خنقته خنقا [١٠] ٠

---

١) ٩/٣
٢) **الهمز** لأبي زيد /٢٠
٣) مادة / رأم
٤) **الهمز** /٧
٥) مادة / ثأج
٦) **الهمز** /١٧
٧) **الامتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدى ٣٧/٣
٨) **الهمز** / ١٨
٩) **الابدال** لأبي الطيب اللغوى ٥٧٥/٢ ٠
١٠) **الهمز** / ١٣

تعقيب : أورد ابن جني في كتابه الموسوم **سر صناعة الاعراب** بيتين من الشعر ذكر أنه قرأهما على أبي علي في كتاب **الهمز** لأبي زيد .

أولهما : قال أبو الفتح وقرأت على أبي علي في كتاب **الهمز** لأبي زيد :

ثم استمرّ بها شيخان مبتجح بالبين عَنكَ بما يرءاك شنأ انا [١]

وثانيهما : قال أبو الفتح : وقرأت على أبي علي في كتاب الهمز لأبي زيد :

خَرِق اذا ما القومُ أبدوا وجاهة يفكر آباءُ لعبونُ أم قرد [٢]

وبحثت في كتاب **الهمز** المطبوع فلم أعثر على البيتين أو أحدهما ، في حين عثرت على البيت الأول في كتاب آخر لأبي زيد وهو كتاب **النوادر** ، وقد جاء أحد ثلاثة أبيات هي :

هل ترْجِعَنّ ليال قد مَضَيْنَ لنا والعيشُ مُنقلِب اذْ ذاكَ أفنانا
اذْ نحنُ في غِرّةِ الدّنيا وبَهجَتِها والدّارُ جامِعة أزْمانَ أزْمانا
لما استمرّ بها شيخانُ مبتجح بالبينِ عَنكَ بما يَرْآكَ شنئانا [٣]

وتوقفت عند هذه المسألة ، وفي رأيي أن الأمر لا يعدو أن يكون أحد ثلاثة أشياء :

١ ـ فاما أن يكون ابن جني قد وقع في سهو وأنه لم يقرأهما في كتاب **الهمز** .

٢ ـ واما أن يكون قد قرأهما في كتاب **تخفيف الهمز** أو **تحقيق الهمز** لأبي زيد فسقطت الكلمة الأولى .

٣ ـ أو أن يكون كتاب **الهمز** الذي بين أيدينا فيه نقص ، وأنه لم يصل الينا على الصورة الصحيحة التي اطلع عليها ابن جني وقرأها على شيخه أبي علي الفارسي .

ولكني أرجح الأمر الثالث وهو أن كتاب **الهمز** لأبي زيد لم يصل الينا كاملا واستند في ترجيحي لما يلي :

أ ـ أن الكتاب طبع عن نسخة فريدة امتلكها دمشقي كما يقول ناشره ، فلم يقابل بنسخة أخرى .

ب ـ أن البغدادي قد أورد نصا لأبي زيد قال انه آخر كتاب **الهمز** ، وعندما رجعت الى كتاب **الهمز** المطبوع الذي بين يديّ لم أجد هذا النص في آخر الكتاب ، ومن هنا رسخ اعتقادي باختلاف النسختين ونقص النسخة التي بين يديّ .

أما النص الذي أورده البغدادي فهو [٤] : قال أبو زيد في آخر كتاب **الهمز** ، وسمعت رجلا من بني كلاب يكنى أبا الأصبع يقول : هذه دابّة وهذه شابّة وهي امرأة مادّة . وهذا شابّ وماد

---

١) **سر صناعة الاعراب** لابن جني / ٣٠٩ ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠ لغة .

٢) المرجع السابق / ٢٧٠

٣) **النوادر في اللغة** لأبي زيد /١٨٤ ونلاحظ اختلافا في الرواية فقد أورد ابن جني « ثم استمر » بدل « لما استمر » وكذلك قوله « كما يرءاك » بدل « بما يراك » . والشيخان : الغيور ، والمبتجح : المفتخر .

٤) **خزانة الأدب** ١٦٨/٤ عبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين وزملائه ، **الطبعة الأولى** . مصر سنة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م .

فيهمز الألف في كل هذه الحروف · وذلك أنه ثقل عليه اسكان حرفين معا ، وان كان الأصل الآخر فيهما التحريك ، كما استثقل بعض العرب في الوقف اسكان الحرفين في قولهم اضربه ، أكرمه ، أحبسه ، قال : من الرجز ·

قد قلت للسائل قَدْهُ اعجِلْه

وهذا آخر كتاب الهمز ·

في حين أن آخر كتاب الهمز كما وصل الينا قول أبي زيد : وتقول أنهأت الأمر انهاء اذا لم تبرمه ولم تنضجه [1] ·

الآثار المفقودة

أما كتب أبي زيد المفقودة فسوف أعرضها مرتبة ترتيبا أبجديا على النحو التالى :

١ ـ الابل

هذا الكتاب من الرسائل اللغوية التي سبقت تأليف المعاجم وقد ذكر تارة باسم **الابل والشاء** ، وتارة أخرى مختصرا باسم **الابل** ·

ولقي الكتاب عناية من المؤرخين القدماء والمحدثين وقد ذكره من القدماء [2] : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والقفطي والسيوطى وابن كثير وصاحب **طبقات المفسرين** ، وصاحب **مرآة الجنان** وصاحب **عيون التواريخ** ·

ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة وبروكلمان وعمر كحالة [3] ·

وقد وقعت على نقل من الكتاب في **صحاح الجوهري** حيث جاء فيه [4] : « وقال أبو زيد في كتاب **الابل** : العميثلة الناقة الجسيمة · والعميثل : الأسد ·

٢ ـ الأبيات

لا نعرف عن مضمون هذا الكتاب شيئا فهو مفقود ، وقد ذكره من المؤرخين القدماء [5] ابن النديم والقفطي وصاحب **عيون التواريخ** ·

ومن المؤرخين المحدثين انفرد بذكره صاحب **ايضاح المكنون** [6] ·

٣ ـ أسماء الأيام

انفرد بذكر هذا الكتاب من المؤرخين ابن خير الأشبيلي [7] ، ولا نعرف عن مضمونه شيئا فلم نقع على نقل أو ذكر للكتاب في مرجع آخر ·

---

١) **الهمز** /٣٢

٢) **الفهرست** /٥٥ ، **وفيات الأعيان** ١٢١/٢ ، **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **البداية والنهاية** ٢٧٠/١٠ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **مرآة الجنان** ٧٦/٣ ، **عيون التواريخ** ٩١/٦ ·

٣) **كشف الظنون** ١٣٨٣/٢ ، **تاريخ الأدب** ١٤٧/٢ ، **معجم المؤلفين** ٢٢٠/٤

٤) مادة / عمثل

٥) **الفهرست** /٥٥ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦ ·

٦) **ايضاح المكنون** / ٢٦٢

٧) **فهرسة ما رواه عن شيوخه** /٣٧١ تاليف أبي بكر محمد بن خير الأشبيلي ، **الطبعة الثانية** ، مصر سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ·

٤ ـ الأمثال

اهتم علماء اللغة في عصر أبي زيد بجمع الأمثال والاستشهاد بها في مجال اللغة ، حتى انهم ألّفوا فيها كثيرا من الكتب ٠

ومن بين هذه الكتب التي اشتهرت كتاب أبي زيد في **الأمثال**، حيث بلغت شهرته الأندلس، وكان من بين كتب الأمثال التي دخلتها[1] ٠

كما كان أحد الكتب التي اعتمد عليها الميداني في تأليف كتابه **مجمع الأمثال** حيث يقول في المقدمة : « فطالعت من كتب الأئمة الأعلام ما امتد في تقصيه نفس الأيام مثل كتاب أبي عبيدة وأبي عبيد والأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي فيد[2] ٠

لكن عوادى الدهر أتت على الكتاب فلم يصل الينا ، ولقد تجمع لديّ كثير من الأمثال المروية عن أبي زيد ، حيث أكثر أبو عبيد البكري والميداني من الرواية عنه في كتابيهما في الأمثال ٠

أما المؤرخون وأصحاب الطبقات فقد ذكر الكتاب منهم[3] : ياقوت والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** ٠

٥ ـ ايمان عثمان

يظهر لنا من عنوان الكتاب أنه ليس كتابا في اللغة ٠ وقد أشرت في حديثي عن بيئة أبي زيد أن البصرة في عصره كانت تعج بالمذاهب الدينية والفكرية وقد أحدث مقتل الخليفة عثمان رضى الله عنه جدلا في العالم الاسلامي ، وكان للبصرة في ذلك نصيب ، وظهرت مشاركة أبي زيد في هذا الجدل وتأثره به في تاليف هذا الكتاب الذي لم يقدر له أن يصل الينا ، ولو وقع الكتاب تحت أيدينا لكشف لنا الكثير عن اتجاه أبي زيد العلمي ٠

ويُظهر لنا هذا الكتاب أن أبا زيد لم يقتصر في تاليفه على اللغة فحسب وانما قد جاوزها الى موضوعات أخرى ٠

ذكر الكتاب ابن النديم والقفطى وياقوت والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **ايضاح المكنون**[4] ٠

٦ ـ البرى والخزائم

انفرد بذكره من المؤرخين ابن خير الأشبيلى[5] ، وهذا مبلغ علمنا بالكتاب ٠

٧ ـ بيوت الشعر

لا نعرف عن مضمون هذا الكتاب شيئا ، وقد انفرد بذكره من المؤرخين ابن خير الأشبيلى[6] ٠

---

١) انظر فصل المقال ، المقدمة / ط تاليف ابي عبيد البكري تحقيق احسان عباس وزميله ، ط ٠ الخرطوم / سنة ١٩٥٨ ٠

٢) **مجمع الأمثال** ٤/١ تاليف الميداني تحقيق محمد محيي الدين ، طبعة مصر سنة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ٠

٣) **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦ ٠

٤) **الفهرست** /٥٥ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **ايضاح المكنون** /٢٧٧ ٠

٥) **فهرسة ما رواه عن شيوخه** /٣٧١ ٠

٦) المرجع السابق /٣٧١ ٠

٨ ـ بيوتات العرب

اقترن اسم أبي زيد بهذا الكتاب ، وقد لقي عناية من المؤرخين القدماء والمحدثين ، فذكره من القدامى[1] : ابن النديم وياقوت والقفطي والسيوطي وابن خلكان ، وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **عيون التواريخ** .

كما ذكره من المؤرخين المحدثين[2] : حاجي خليفة وخير الدين الزركلي وصاحب **معجم المؤلفين** .

٩ ـ البيان

عنوان الكتاب يشير الى أنه في الأدب ، فقد كان صاحبنا من أئمة الأدب ، قرأ دواوين الشعراء على المفضل الضبي ، وكانت له تصانيف أدبية ولغوية .

لكن الكتاب مفقود ، وقد انفرد بذكره صاحب كتاب **مرآة الجنان**[3] .

١٠ ـ التثليث

ذكره ياقوت والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين**[4] ، وهذا مبلغ علمنا بالكتاب .

١١ ـ تحقيق الهمز

عثر لويس شيخو ناشر كتاب **الهمز** لأبي زيد على هذا الكتاب ملحقا بكتاب **الهمز** . لكنه تضعضع ولم يبق منه الا أسطر قليلة فضرب عنه الناشر صفحا .

وقد انفرد بذكر الكتاب ابن النديم[5] . وذكره بروكلمان ملحقا بكتاب **الهمز** عندما أطلق على الأخير الهمز وتحقيق الهمز فجعلهما كتابا واحدا[6] .

١٢ ـ تخفيف الهمزة

سماه السيوطي تخفيف الهمز الواحد ، وأشار اليه السيرافي بقوله : « ولأبي زيد كتاب في تخفيف الهمز على مذهب أهل النحو »[7] .

لكن عوادى الدهر أتت على الكتاب فلم يقع تحت أيدينا ، وقد اهتم المؤرخون بالكتاب فذكره منهم : ابن خلكان وياقوت والقفطي والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين** ، ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة[8] .

---

١) **الفهرست /٥٥ ، معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، روضات الجنات /٣١٢ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ .**

٢) **كشف الظنون ٢٦٥/١ ، الاعلام ١٤٤/٣ ، معجم المؤلفين ٢٢٠/٤ .**

٣) **مرآة الجنان ٥٩/٢ .**

٤) **معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧**

٥) **الفهرست /٥٥**

٦) **تاريخ الأدب ١٤٦/٢**

٧) **أخبار النحويين /٤١**

٨) **وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، انباء الرواة ٣٥/٢ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ . كشف الظنون ١٤٧٢/٢**

١٣ ـ التضارب

لا نعرف شيئا عن موضوع الكتاب فهو مفقود. وقد ذكره من المؤرخين: ياقوت والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** [١] .

١٤ ـ التمر

استحوذ « **التمر** » على اهتمام أهل البصرة لما له من أثر اقتصادي في حياتهم حيث يشكل ثروة المنطقة الأساسية ، فأشار الجاحظ البصري الى أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة فاذا هي ثلاثمائة وستون ضربا .

وذكر المقدسي أن في البصرة من أجناس التمور تسعة وأربعين . وكتاب أبي زيد ـ كما أعتقد ـ رسالة لغوية في التمر شبيهة برسالتيه في **المطر واللبا واللبن** اللتين وصلتا الينا .

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين ابن النديم وصاحب **عيون التواريخ** وصاحب **ايضاح المكنون** [٢] .

١٥ ـ الجمع والتثنية

عنوان الكتاب يشير الى أنه كتاب في اللغة . وقد جاء مكملا لمؤلف آخر لأبي زيد هو كتاب **الواحد والجمع** .

وقد أتى الدهر على الكتابين ، فلم يبق منهماغير الاسم الذي حفظه لنا المؤرخون .

وقد لقي كتاب الجمع والتثنية اهتمام المؤرخين فذكره من القدماء : ابن النديم وابن خلكان وابن مكتوم وياقوت والقفطي والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **عيون التواريخ** [٣] .

كما ذكره من المحدثين حاجي خليفة وعمر كحالة [٤] .

١٦ ـ الجود والبخل

تعددت أجناس سكان البصرة وتغايرت أخلاقهم وعاداتهم ، وظهر الجود الى جانب البخل ، وكان ذلك حافزا لأبي زيد وغيره من المؤلفين الى أن يصنفوا في ذلك الكتب ، وقد اشتهر من بينها كتاب البخلاء للجاحظ .

وجاء كتاب صاحبنا بعنوان **الجود والبخل** ، وهو مصنف أدبي على ما يبدو لنا .

وقد ذكره من المؤرخين : ياقوت والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** [٥] .

---

١) معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ .

٢) الفهرست /٥٥ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ ، ايضاح المكنون /٢٨٤

٣) الفهرست /٥٥ ، وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، تلخيص اخبار النحويين /٤١ ، معجم الادباء ١٦/١١ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، روضات الجنات /٣١٢ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ .

٤) كشف الظنون ١٤٠٩/٢ ، معجم المؤلفين ٢٢٠/٤

٥) معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ .

١٧ ـ حياة

لا تتجاوز معرفتنا بهذا الكتاب حد العنوان ، فالكتاب مفقود ، ولم تقع تحت أيدينا نقول" عنه ، وقد انفرد بذكره القفطي[١] .

١٨ ـ حيلة ومحالة

اقترن اسم أبي زيد بهذا الكتاب أيضا ، فقيل أبو زيد صاحب **حيلة ومحالة** والكتاب مفقود ، وقد وقفت على نصوص منه لكنها ليست كافية بحيث تلقى الضوء على موضوعه ، وقد اطلع على الكتاب أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني ، جاء في هامش كتاب **المنتخب والمجرد** نقل لأبي علي حيث قال : « وقع في كتاب **حيلة ومحالة** لأبي زيد الضيطان »[٢] .

وورد في مكان آخر من الكتاب نفسه ما يلي[٣] : « في كتاب **حيلة** لأبي زيد بينونه ، وقد جاء ذلك تعليقا على قول الشاعر :

يا ريحَ بَينونَةَ لا تَذْمينا جئتِ بأرواح المُصَغِّرينا

وجاء في كتاب الخصائص لابن جني قوله : « وقد حكى أيضا أبو زيد في كتاب **حيلة ومحالة** : مكان مُبقِل[٤] .

وورد في **لسان العرب**[٥] : الدَّهدَهان الكبير من الابل ، وأنشد أبو زيد في كتاب **حيلة ومحالة** للأغر :

لَنِعمَ ساقي الدَهدَهانِ ذي العَدَدْ الجِلّةِ الكُومِ الشرابِ في العَضُدْ

وقد ذكر الكتاب من **أصحاب الطبقات**[٦] : ابن النديم وياقوت والقفطى وابن حزم والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** وبروكلمان .

١٩ ـ الخبأة

ورد هذا الكتاب في ايضاح المكنون مصحفا باسم الجلسة ، وذكره أصحاب الطبقات باسم **الحلبة** ، ومنهم ياقوت والقفطى والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** .

لكن الشيخ حمد الجاسر ذكر أن اسم **الحلبة** مصحف ، والصواب « **الخبأة** » قال في **تاج العروس** : « الخبأة : النبت ، وفي المثل « خبأة خير من يفعة سوء » ، وسمى أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى كتابا من كتبه : كتاب **الخبأة** لافتتاحه اياه بذكر الخبأة بمعنى النبت ، واستشهاده عليها بهذا المثل »[٧] .

---

١) **انباه الرواة** ٣٥/٢ .

٢) **المنتخب والمجرد** لكراع النمل /٤٤ ب ، **مخطوطة** بدار الكتب المصرية ٨٥٨ لغة .

٣) المرجع السابق / ٣١ب وقد ورد البيت في **اللسان** مادة/بين .

٤) **الخصائص** لابن جني ٩٧/١

٥) مادة/دهده ، والجلة : المسان من الابل ، والكوم : جمع اكوم وكوماء : العظام الأسنمة ، والشراب : جمع شارب، وعضد العوض : من ازائه الى مؤخره .

٦) **الفهرست** /٥٥ ، **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **جمهرة أنساب العرب** /٢٧٣ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦ ، **تاريخ الادب** ١٤٦/٢ .

٧) **تاج العروس** / خبأ ، تاليف الزبيدى ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٠٦هـ .

٢٠ ـ خلق الانسان

هذا الكتاب رسالة لغوية تبحث في صفات الانسان وأسماء أعضائه ٠ وقد ذكره من المؤرخين القدماء : ابن النديم وابن خلكان والقفطى وياقوت وابن كثير والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **عيون التواريخ**[١] ٠

ومن المؤرخين المحدثين ذكره حاجي خليفة وخير الدين الزركلى[٢] ٠

٢١ ـ الرحل والقتب

الكتاب مفقود وحتى أتعرف على مضمونه اطلعت على كتـاب **الرحل والمنزل** المنسوب لابـن قتيبة فوجدته يتضمن مفردات لغوية يستعملها العرب في أسفارهم ومنازلهم ٠

وقد انفرد بذكر الكتاب ابن خير الأشبيلى[٣] ٠

٢٢ ـ الصفات

ذكر الكتاب من المؤرخين الأزهرى والقفطى[٤] ٠ وذلك مبلغ علمنا بالكتاب ٠

٢٣ ـ الغرائز

ليس لدينا علم بموضوع الكتاب وقد ذكره من المؤرخين[٥] : ياقوت والقفطى والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **ايضاح المكنون** وخير الدين الزركلى ٠

٢٤ ـ غريب الأسماء

اشتهر أبو زيد برحلاته الى البادية ، ولم يكن في خروجه يعنى بما يروج في قصور الخلفاء عند سمرهم ، وانما كان خروجه جادا ينصب على جمع اللغة واستيعاب أحوالها ٠ ومن هنا جاءت عنايته بالغريب حتى عرف به ٠

ومن مظاهر احتفائه بالغريب تأليف هذا الكتاب ، لكن يد المنون طالته فلم يصل الينا ٠

وقد نال الكتاب اهتمام المؤرخين فذكره من القدماء : ابن النديم وابن خلكان والقفطى وياقوت والسيوطى وصاحب **طبقات المفسريـن** وصاحب **عيون التواريخ** وصاحب **روضات الجنات**[٦] ٠

ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة وخير الدين الزركلى[٧] ٠

---

١) **الفهرست /٥٥ ، وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ، معجم الادباء ٢١٦/١١ ، البداية والنهاية ٢٧٠/١ . بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، روضات الجنات / ٣١٢ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ ٠**

٢) **كشف الظنون ٧٢٣/١ ، الاعلام ١٤٤/٣**

٣) **فهرسة ما رواه عن شيوخه / ٣٧١**

٤) **تهذيب اللغة ١٢/١ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ٠**

٥) **معجم الادباء ٢١٦/١١ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، ايضاح المكنون /٣١٦ . الاعلام ١٤٤/٣ ٠**

٦) **الفهرست /٥٥ ، وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ، معجم الادباء ٢١٦/١١ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ ، روضات الجنات / ٣١٢ ٠**

٧) **كشف الظنون ١٢٠٣/٢ . الاعلام ١٤٤/٣ ٠**

٢٥ ـ غريب الحديث

اعتنى أبو زيد بالحديث الشريف ، ولا عجب في ذلك فقد كان والده محدثا وكان من شيوخه عدد من علماء الحديث ، وقد جلس في مسجد البصرة يدرس الحديث الشريف ، وكان من اللغويين الرواد الذين استشهدوا بالحديث الشريف .

وجاء تأليفه هذا الكتاب مظهرا آخر من مظاهر اهتمامه بالحديث الشريف ، لكن الكتاب لم يصل الينا ، وقد وقعت على كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي يستشهد بها أبو زيد ويشرح غريبها .

جاء في كتاب **الأضداد** لابن الأنباري [١] : ... وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا عدوى ولا هامة ولا صفر . وقال أبو زيد ولا هامّة بتشديد الميم يعني واحدة الهوام .

وجاء في **لسان العرب** [٢] : « ... وقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين خطبها أبو جهم ومعاوية : اما أبو جهم فاخاف عليك قسقاسته ، أبو زيد : يقال للعصا هي القسقاسة .

وقد ذكر الكتاب ابن النديم وابن الأثير [٣] .

٢٦ ـ الفرق

هذا الكتاب مفقود ، وحتى أتعرف على موضوعه كان عليّ الرجوع الى أشباهه ونظائره من المؤلفات التي تحمل هذا الاسم ، فاطلعت على كتاب **الفرق** للأصمعي المعاصر لأبي زيد ، فوجدته يتعرض لما يخالف فيه الانسان البهائم والسباع ، كأن يقول على سبيل المثال في باب الشفة : « وهي شفة الانسان مفتوحة وهما الشفتان والجميع الشّفاه ، والمشفر من البعير وهما المشفران والجميع المشافر والجحفلة من ذوات الحاضر وهما الجحفلتان والجميع الجحافل [٤] » .

وقد وقعت على روايات لأبي زيد من هذا النوع في كتاب **أدب الكاتب** لابن قتيبة تحت باب فروق في الأسنان [٥] : « قال أبو زيد : للانسان أربع ثنايا وأربع رباعيّات الواحدة رباعية مخففة ، وأربعة أنياب وأربع ضواحك واثنتا عشرة رحى ثلاث في كل شق ، وأربعة نواجذ وهي أقصاها .

وقال أبو زيد : لكل ذي ظلف وخفّ ثنيتان من أسفل فقط وللحافر والسباع كلها أربع ثنايا وللحافر بعد الثنايا أربع رباعيات وأربعة قوارح وأربعة أنياب وثمانية أضراس » .

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والقفطي وصاحب **مرآة الجنان** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **ايضاح المكنون** ، وخير الدين الزركلي [٦] .

---

١) **الأضداد** / ٣٢٦ تأليف محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط. الكويت ١٩٦٠

٢) مادة / قسس

٣) **الفهرست** / ٥٥ . وانظر **مقدمة النهاية في غريب الحديث** ٤/١ تأليف ابن الأثير ، تحقيق الزواوي وزميله ، الطبعة الأولى مصر سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .

٤) **الفرق** /٦ تأليف الأصمعي . نشر دكتور : دافيد مولر . سنة ١٨٧٦م .

٥) **ادب الكاتب** / ١٦٢ ، تأليف ابن قتيبة ، طبعة بيروت ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ .

٦) **الفهرست** /٥٥ ، **وفيات الأعيان** ١٢١/٢ ، **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **مرآة الجنان** ٥٩/٢ ، **روضات الجنات** /٣١٢ ، **ايضاح المكنون** /٣١٨ ، **الاعلام** ١٤٤/٣ .

٢٧ ـ فعلت وأفعلت

لم يصل الينا هذا الكتاب وحتى أتبين موضوعه رجعت الى كتاب أبي اسحق الزجاج **فعلت وافعلت** فوجدته يذكر ما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى واحد ، وعلى لفظهما والمعنى مختلف ، وعلى لفظ فعلت وحده وعلى لفظ أفعلت وحده ... الخ .

ووقعت في **الجمهرة** على باب يجعله صاحبه لما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة وكان الأصمعي يشدد فيه ولا يجيز أكثره مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت .

كما وقعت في كتاب ابن قتيبة على روايات لأبي زيد في باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى ، وباب أفعلت الشيء جعلت له ذلك [١] .

وكذلك أورد ابن السكيت في كتابه **روايات** لأبي زيد في باب فعلت وأفعلت [٢] .

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والقفطى والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **عيون التواريخ** وحاجي خليفة [٣] .

٢٨ ـ قراءة أبي عمرو

كان أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة وعلما في القرآن ، وأول من ألف في القراءات .

وكان أبو زيد الأنصاري من جلة أصحاب أبي عمرو وكبرائهم ، وبلغ من شدة تأثره به أن ألف هذا الكتاب في قراءته .

لكن عوادي الدهر أتت على الكتاب ، وقد حفظه لنا المؤرخون فذكره منهم : ابن النديم وياقوت والسيوطى والقفطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب **عيون التواريخ** وصاحب **ايضاح المكنون** [٤] .

٢٩ ـ القرائن

ذكره من المؤرخين ابن النديم وصاحب **ايضاح المكنون** [٥] وذلك مبلغ علمنا بالكتاب .

٣٠ ـ القضيب

لا علم لنا بموضوع الكتاب فلم نقع له على ذكر سوى ما جاء في **كتب الطبقات** فقد ذكره : ابن خلكان وحاجي خليفة ، وصاحب **روضات الجنات** [٦] .

---

١) انظر **ادب الكاتب** لابن قتيبة /٤٦٥ . ٤٧٢ . ٤٧٩ .

٢) انظر **اصلاح المنطق** لابن السكيت /٢٤٣ ، ٢٤٤

٣) **الفهرست /٥٥ ، وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، روضات الجنات /٣١٢ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ . كشف الظنون ١٤٤٧/٢ .**

٤) **الفهرست /٥٥ ، معجم الأدباء ٢١٦/١١ . بغية الوعاة ٥٨٣/١ . انباه الرواة ٣٥/٢ ، طبقات المفسرين /٧٧ . عيون التواريخ ١٩١/٦ ، ايضاح المكنون /٢٢١ .**

٥) **الفهرست /٥٥ ، ايضاح المكنون /٣٢٢ .**

٦) **وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، كشف الظنون ١٤٥٠/٢ . روضات الجنات /٣١٢**

٣١ ـ القوس والترس

هذا الكتاب من الرسائل اللغوية التي ألفت حول موضوع معين وسبقت تأليف المعاجم ٠

وقد لقي الكتاب اهتمام المؤرخين فذكره منهم : ابن خلكان وياقوت والقفطى وابن كثير والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** وصاحب **روضات الجنات** وعمر رضا كحالة [١] ٠

٣٢ ـ اللامات

موضوع الكتاب يظهر لنا من عنوانه ، فهو يتحدث عن اللامات في اللغة العربية ومواقعها في الكلام ٠ لكن الكتاب لم يصل الينا وقد ذكره من المؤرخين ياقوت والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** [٢] ٠

٣٣ ـ اللغات

عرف عن أبي زيد كثرة تنقلاته في البادية ، واتساعه في الرواية ، فكان حصيلة ذلك مادة لغوية ضخمة ومعرفة واسعة بلغات العرب ٠

وقد أثمرت تلك الجهود المضنية ـ فيما أثمرته ـ تأليف هذا الكتاب اللغوى الذي يعد بحق أحد كتب أبي زيد القيمة ٠

لكن يد المنون طالت الكتاب فلم يصل الينا ، وقد وقعت على بابين في **جمهرة ابن دريد** اقتبسها من الكتاب تحت عنوان باب من اللغات عن أبي زيد[٣] ٠

ومنهج أبي زيد في الكتاب أن يأتي باللفظة في وجوهها المختلفة ولغاتها المتعددة بادئا في غالب الأحيان بعبارة : تقول العرب أو يقولون أو وقالوا ، ومثال ذلك ما جاء من قول أبي زيد : وتقول العرب : نسيت نسيانا ونسيا ونساوة بكسر النون في الجميع ٠ ويقول متّ ومتّ ودمت ودمت[٤] ٠

ويقال بلغت منهى الشيء ومَنهاته ومنهاه ومُنهاته ومنتهاه ومنتهاته [٥] ٠ وأبو زيد هنا ليس ناقلا فحسب بل انه بما أوتي من ذكاء خارق وحس لغوى سليم يشرح ويعرض لما وقع في اللفظة من تصريف كأن يقول : وقالوا في الابن ابنم فزادوا فيه الميم كما زادوا في الفم وانما هو فاه وفوه وفيه مثل فاه فلما صغّروا فاها قالوا فويه فثبتت الهاء وهي في التنزيل (بأفواههم) ولم يقل بأفمامهم » [٦] ٠

ويستشهد أبو زيد في أثناء ذلك كله بأشعار العرب وبالقرآن الكريم ، وينسب اللغات الى أصحابها في أحيان كثيرة ٠

---

١) **وفيات الأعيان** ١٢١/٢ ، **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **البداية والنهاية** ٢٧٠/١٠ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦ ، **روضات الجنات** /٣١٢ ، **معجم المؤلفين** ٢٢٠/٤ ٠

٢) **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧

٣) انظر **كتاب جمهرة اللغة** ٤٧٢/٣ ، ٤٨٤ تأليف أبي بكر بن دريد ، الطبعة الأولى حيدر آباد سنة ١٣٤٥هـ ٠

٤ ـ ٦) **الجمهرة** لابن دريد ٤٨٤/٣ ، ٤٧٢ ، ٤٨٥ ٠

ومن هنا جاء اهتمام المؤرخين بالكتاب فقد ذكره منهم [١] : ابن النديم وابن خلكان والقفطي وياقوت والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **عيون التواريخ** وصاحب **مرآة الجنان** وصاحب **ايضاح المكنون** ٠

٣٤ ـ لغات القرآن

ذكر هذا الكتاب من المؤرخين : ابن النديم والسيوطي وخير الدين الزركلي وصاحب **طبقات المفسرين** وقد سماه لغة القرآن [٢] ٠

ووردت نقول من الكتاب في حواشي كتاب **الابدال** لأبي الطيب اللغوي كما يذكر محققه ٠

والكتاب مفقود وهو كما يظهر من عنوانه يبحث في الدراسات القرآنية ويشكل أحد كتب ثلاثة ألفها أبو زيد في علم القرآن تظهر بوضوح مدى اهتمامه بدراسة القرآن شرحا وتفسيرا ولغة٠

٣٥ ـ المصادر

الكتاب لم يصل الينا ولكنــي وقعت على نصوص منه تبينت موضوعه منخلالها، حيث يأتي بالأفعال ويذكر مصادرها ، ومن هنا جاءت تسمية الكتاب ٠

ومثال ذلك ما جاء في **سر الصناعة** ، قال ابن جني : « فأما ما قرأته على أبي علي عن أبـي بكر عن بعض أصحاب يعقوب عن يعقوب من أن أبا زيد قال : خمص الجرح يخمص خموصا وحمص يحمص حموصا وانخمص انخماصا ، قال أبو علي : وانحمص انحماصا ذكره أبو زيد في مصادره اذا ذهب ورمه [٣] ٠

وأورد ابن جني في مصنف آخر له قوله : ٠٠٠ على أن أبا زيد قـد حكـى فـي مصادره تعيّة وتعييه بالاظهار ، فهذا يؤنس بترك ادغام تحيّة [٤] ٠

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وابـن خلكـان وابـن مكتوم والقفطـي ويـاقوت والسيوطي وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **عيون التواريخ** وصاحـب **مرآة الجنان** وحاجي خليفة [٥] ٠

٣٦ ـ معاني القرآن

قامت الدراسات اللغوية لخدمة القرآن الكريم وتوضيح معانيه المغلقة وتقريبها الى الأذهان حتى يتم فهمه وما اشتمل عليه من أحكام ٠

---

١) الفهرست /٥٥ ، وفيـات الأعيـان ١٢١/٢ انباه الرواة ٣٥/٢ ، معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، روضات الجنات /٣١٢ ، عيون التواريخ ١٩١/٦ ، مرآة الجنان ٥٩/٢ ، ايضاح المكنون /٣٢٥ ٠

٢) الفهرست /٣٥ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، الاعلام ١٤٤/٣ ، طبقات المفسرين /٧٧

٣) سر الصناعة لابن جني ١٩٩/١ ٠

٤) المنصف لابن جني ١٩٧/٢ ٠

٥) الفهرست /٥٥ ، وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، تلخيص اخبار النحويين /٤١ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ، معجم الأدبـاء ٢١٦/١١ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، طبقـات المفسرين /٧٧ ، روضات الجنات /٣١٢ عيون التواريخ ١٩١/٦ ، مرآة الجنان ٥٩/٢ ، كشف الظنون ١٤٥٩/٢ ٠

وقد تتلمذ أبو زيد على يد أبي عمرو بن العلاء الذي كان سيد أهل زمانه في علم القرآن فأفاد منه كثيرا حتى وصف بأن له فضل معرفة بعلم القرآن وكانت حصيلة ذلك أنه ألف ثلاثة كتب في هذا العلم ٠

أما كتابه معاني القرآن فقد عدت عليه عوادي الدهر ولم يصل الينا، ومعذلك فقد تجمع لدي كثير من الآيات القرآنية التي يشرحها أبو زيد ويوضح معانيها يعتقد أنها مقتبسة من كتابه في المعاني ٠

وقد ساعد أبا زيد معرفته الواسعة باللغة وبكلام العرب على تفسير الآيات الكريمة وتوضيح ما اشتملت عليه من معان سامية ، فلا عجب أن نراه يستعين بالشعر وبأقوال العرب في كثرة لتفسير الآيات ٠

فعندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين »[١] ٠ يقول أم زائدة ومعنى الآية أفلا تبصرون أنا خير لأن العرب تزيد أم واستدل بقول الشاعر :

يا دهر أم ما كان مشيي رقصا بل قد تكون مشيتي توقصا

يريد يا دهر ما كان مشيي رقصا[٢] ٠

لكن ذلك لا يعني اطلاقا أن يكون أبو زيد في منهجه لا يعتمد على النقل والرواية في تفسير الآيات مكتفيا برأيه في توضيح معانيها ، فقد رأيته ـ كذلك ـ يروى عن شيوخه ، ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قوله تعالى ، واذا الوحوش حشرت[٣] « حيث قال : أخبرنا قيس بن الربيع عن سعيد بن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل ، واذا الوحوش حشرت » قال : حشرها موتها[٤] ٠

وبعد ، فالكتاب يعد بحق أحد كتب أبي زيد القيمة وقد ذكره من المؤرخين الأزهرى والقفطى وابن مكتوم[٥] ٠

٣٧ ـ المعزى

هذا الكتاب رسالة لغوية تتحدث عن المعزى شبيهة برسالتيه عن **المطر** وعن **النبات والشجر** ٠

لكن الكتاب لم يصل الينا ، وقد وقعت على بعض الروايات عن أبي زيد تتحدث عن المعزى لكن ناقليها لم يشيروا الى الكتاب ، فقد ورد في **لسان العرب** قوله عن أبي زيد[٦] : الصَّبَّة من المعز ما بين العشرة الى الأربعين ، وفي مكان آخر من **لسان العرب** جاء قول أبي زيد: طرطب الحالب بالمعزى اذا دعاها[٧] ٠

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم والقفطى وابن حزم[٨] ٠

---

١) الزخرف / ٥١ ، ٥٢ ٠

٢) انظر **المقتضب** للمبرد ٢٩٧/٣ ، **والصاحبي** لابن فارس /١٢٥

٣) **سورة التكوير** /٥

٤) انظر **الأضداد** لأبي الطيب اللغوي ١٩٤/١

٥) **تهذيب اللغة** ١٢/١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ . **تلخيص اخبار النحويين** /٤١ ٠

٦) لسان العرب / صبب

٧) المرجع السابق / طرطب

٨) **الفهرست** /٥٥ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ . **جمهرة انساب العرب** / ٣٧٣

٣٨ ـ المقتضب

ذكره من المؤرخين ابن النديم وياقوت والقفطى والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** [١] ، وذلك مبلغ علمنا بالكتاب .

٣٩ ـ المكتوم

الكتاب مفقود ولم نقع على ذكر له سوى ما حفظه لنا المؤرخون فقد ذكره منهم : ياقوت والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** [٢] .

٤٠ ـ المنطق

ذكر الكتاب من المؤرخين ابن النديم وياقوت وصاحب **عيون التواريخ** والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** [٣] وقد أشار الأخيران الى أنه كتاب في اللغة ، كما ذكره من المحدثين صاحب **ايضاح المكنون** [٤] .

والكتاب في اللغة [٥] على غرار كتاب المنطق لابن شميل واصلاح المنطق لابن السكيت. وقد عرف عن اللغويين القدماء التشابه في أسماء الكتب .

ومع ذلك فقد شك أحد الباحثين المحدثين انكان الكتاب في منطق أرسطو أو في اللغة [٦] .

٤١ ـ المياه

الكتاب فيما نعتقد رسالة لغوية عن المياه ، وقد جعل أبو زيد فصلا في كتابه **المطر** تحدث فيه عن أسماء المياه ، ولكنه فيما يبدو لم يكتف بما ذكره هنا فألف كتابا خاصا بالمياه .

والكتاب تناولته يد المنون ، بعد أن لقي عناية كبيرة من المؤرخين فقد ذكره منهم : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والقفطى وابن كثير والسيوطى وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **عيون التواريخ** وصاحب **مرآة الجنان** [٧] .

ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة وخير الدين الزركلي [٨] .

٤٢ ـ نابه ونبيه

ذكره من المؤرخين ابن النديم والقفطى وصاحب **ايضاح المكنون** [٩] ، وذلك مبلغ علمنا بالكتاب .

---

١) **الفهرست** /٥٥ ، **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ .

٢) **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦ .

٣) **الفهرست** /٥٥ ، **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ .

٤) **ايضاح المكنون** /٣٣٩

٥) انظر **بغية الوعاة** / السيوطي ٥٨٣/١

٦) انظر **النوادر في اللغة** ٦٢/١ تحقيق الدكتور محمد عبد القادر ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة ٩٨١ رسائل .

٧) **الفهرست** /٥٥ ، **وفيات الأعيان** ١٢١/٢ ، **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **البداية والنهاية** ٢٧٠/١٠ ، **بغية الوعاة** ٥٨٣/١ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **روضات الجنات** /٣١٢ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦ ، **مرآة الجنان** ٥٩/٢

٨) **كشف الظنون** ١٤٦٥/٢ ، **الأعلام** ١٤٤/٣ .

٩) **الفهرست** /٥٥ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢ ، **ايضاح المكنون** /٣٤١ .

٤٣ ـ النحو الكبير

أحد كتب أبي زيد الهامة ، لكن يد المنون طالته ، ولو وصل الينا لوفَّر علينا جهدا كبيرا بذلناه في التعرف على اتجاه أبي زيد النحوى .

وقد وقعت على روايات وآراء نحوية لأبي زيد في كثير من كتب النحو لكنها لم تشر الى كتابه لا من قريب ولا من بعيد .

وذكر الكتاب من المؤرخين : الأزهري والقفطى[١] .

٤٤ ـ نعت الغنم

الكتاب مفقود ، وقد وقعت على روايات من الكتاب ، جاء في **لسان العرب** قوله : « ومن كلامهم الذي يضعونه على السنة البهائم قالوا : يا عنز جاء القرّ ، قالت : يا ويلي ذنب ألوى واست جهوا ، حكاه أبو زيد في كتاب الغنم »[٢] .

وفي مكان آخر ورد قوله : « روى أبو عبيد عن أبي زيد في كتاب **الغنم** : حذيت الشاة بالذال اذا انقطع سلاها في بطنها ، قال الأزهري هذا تصحيف والصواب بالدال والهمز وهو قول الفراء »[٣] .

كذلك فقد أورد ابن قتيبة روايات لأبي زيد في شيات الغنم[٤] .

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وبروكلمان وصاحب **ايضاح المكنون**[٥] .

٤٥ ـ نعت المشافهات

ذكره من المؤرخين : ابن النديم وصاحب **ايضاح المكنون**[٦] وذلك مبلغ علمنا بالكتاب .

٤٦ ـ الهشاشة والبشاشة

ذكره من المؤرخين ابن حزم وخير الدين الزركلي[٧] .

٤٧ ـ الهوش والنوش

ذكره ابن النديم وصاحب **ايضاح المكنون**[٨] .

٤٨ ـ الواحد والجمع

يختصر أحيانا فيسمى « **الواحد** » وهو على غرار كتاب **الجمع والتثنية** لأبي زيد .

لكن الكتاب مفقود وقد ذكره من المؤرخين ابن النديم وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **عيون التواريخ** وصاحب **ايضاح المكنون**[٩] .

---

١) **تهذيب اللغة** ١٢/١ ، **انباه الرواة** ٣٥/٢

٢) **لسان العرب** / جها

٣) المرجع السابق / حذا

٤) انظر **ادب الكاتب** /١٩٦ ، ١٩٧

٥) **الفهرست** /٥٥ ، **تاريخ الادب** ١٤٦/٢ ، **ايضاح المكنون** /٣٤٤ .

٦) **الفهرست** /٥٥ ، **ايضاح المكنون** /٣٤٤

٧) **جمهرة انساب العرب** ، ٣٧٣ ، **الاعلام** ١٤٤/٣

٨) **الفهرست** /٥٥ ، **ايضاح المكنون** /٣٥١

٩) **الفهرست** /٥٥ ، **طبقات المفسرين** /٧٧ ، **عيون التواريخ** ١٩١/٦ ، **ايضاح المكنون** /٣٤٨ .

٤٩ ـ الوحوش

هذا الكتاب لم يصل الينا وحتى أتبين موضوعه اطلعت على كتاب **الوحوش** للاصمعي فوجدته يبدأ الكتاب بقوله : هذا كتاب أسماء الوحوش وصفاتها ، ثم يقسمه الى أبواب فيخصص بابا يذكر فيه صفة الحمار وبابا يذكر فيه أسماء البقر وصفاتها ، وآخر يذكر فيه أسماء الظباء وصفاتها ، ثم أسماء الوعول وأسماء النعام وأسماء الأسود وأسماء الضباع وأسماء الثعالب وأسماء الأرانب الى أن يختم الكتاب بقوله : تم كتاب **الوحوش** عن الأصمعي .

وقد وقعت على روايات في الوحوش لأبي زيد في كتاب **أدب الكاتب** لابن قتيبة [1] ، وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وابن خلكان وياقوت السيوطي والقفطي وصاحب **طبقات المفسرين** وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **مرآة الجنان** وخير الدين الزركلي [2] .

---

١) /١٧١ ، ١٨٧ ، ١٨٨

٢) **الفهرست /٥٥ ، وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، معجم الادباء ٢١٧/١١ ، بغية الوعاة ٥٨٣/١ ، انباه الرواة ٣٥/٢ ، طبقات المفسرين /٧٧ ، روضات الجنات /٣١٢ ، مرآة الجنان ٥٩/٢ ، الاعلام ١٤٤/٣**

أبو زيد والدراسات الصرفية والنحوية

- اتجاهه في الصرف والنحو ـ أبو زيد يخرج على تقاليد أهل البصرة
- النزعة البصريةفي اتجاه أبيزيد : تخطئه القراءات ـ تخطئه العرب ـ الضبط والتقعيد ـ الدقـة فـي التحرى عن الشواهد ٠
- النزعة الكوفيةفي اتجاه أبي زيد : القياسعلى الشاذ ـ البعد عن التعليل ـ البعد عن التقدير والتأويل ٠
- مظاهر التجديد في اتجاه أبي زيد : استلهام روح العربية ـ آراء انفرد بها أبو زيد ٠
- أبو زيد وتيسيرالنحو العربي : ظهور الحاجة الىتيسيرالنحو ـ جهود أبي زيد في تيسير النحو العربي ٠

اتجاهه في الصرف والنحو

عرف صاحبنا في كتب الطبقات وبين علماء النحو واللغة بأبي زيد النحوي[1] اعترافا برسوخ قدمه في علم النحو ، فقد كان ـ رحمه الله ـ اماما نحويا تتلمذ على يديه كبار علماء النحو منهم سيبويه وأبو عثمان المازني ، وتأثر به على مر الزمن كثير من العلماء يأتي في مقدمتهم أبو علي الفارسي امام النحو في عصره حتى قيل عنه انه لم يتجاوز كتب أبي زيد وأطرافا مما لغيره .

وامتدح أبو سعيد السيرافي منزلة أبي زيد في النحو وعدّه من الأعلام جاء في شرحه[2] : « وكنت أقرأ كتاب **الشجر والكلأ** لأبي زيد على أبي بكر بن دريد رحمه الله فقرأت عليه شُقَّارَى للجميع وشقَّارَيْ واحدة ولُصَيْقَيْ للجميع ولُصَيْقَيْ واحدة فذكر ابن دريد أن الواحدة شقَّاراه ولصَّيقاه ، وهذا لا يعمل عليه لأن كثيرا من أهل اللغة لا يضبطون النحو في مثل هذا ويغلطون فيه ، وانما يقوم بهذا مثل سيبويه وأبي زيد وهؤلاء الأعلام » .

ووازن العلماء بين أبي زيد ويونس بن حبيب امام النحو في عصره ، فقد أشار المبرد الى أن يونس من باب أبي زيد في العلم واللغات وأنه أعلم منه بالنحو[3] .

هذه الأقوال المتقدمة تجمع على مكانة أبي زيد المرموقة في علم النحو ، وهي ـ على أهميتها ـ تمثل الجانب التاريخي الشكلي ، **ولست ممن يركنون اليه كثيرا فيقفون عنده** ، لذلك ركزت اهتمامي على الجانب الموضوعي الذي يتمثل في ابراز آراء أبي زيد وأثره في الدراسات الصرفية والنحوية على نحو ما سنبينه في ثنايا هذا الفصل .

لكني أبادر فأقول : ان شهرة أبي زيد في مجال اللغة[4] طغت على شهرته في علم النحو ، نظرا لما عرف عنه بين علماء النحو البصريين من نهج مستقل وعقلية متحررة وخروج على تقاليدهم المعروفة في أغلب الأحيان .

---

١) انظر اخبار النحويين البصريين للسيرافي ٤١/١ .

٢) **شرح الكتاب** للسيرافي ٢١/٥

٣) انظر **اخبار النحويين البصريين** ـ أبو سعيد السيرافي /٤١

٤) اللغة هنا مصطلح يقصد به البحث في الثروة اللفظية وما اليها .

أبو زيد يخرج على تقاليد أهل البصرة

من الحقائق الثابتة لدى الدارسين سبق مدرسة البصرة في نشأتها لمدرسة الكوفة وغيرها من المدارس النحوية ·

ومن أجل ذلك فقد جرت العادة بأن يتوجه علماء النحو واللغة الكوفيون الى البصرة يتلقون العلم على شيوخها ويجلسون الى حلقاتهم في مسجد البصرة ·

فأشارت كتب **الطبقات** الى أنّ الكسائي وهو امام أهل الكوفة في عصره قد توجه الى البصرة وجلس الى الخليل بن أحمد وأخذ عنه اللغة وحضر حلقات يونس بن حبيب ·

وكذلك فعل أبو زكريا الفراء الكوفي فقد قدم الى البصرة وتتلمذ على شيخها يونس بن حبيب ·

أما البصريون فكانوا يحجمون عن الأخذ عن الكوفيين لأنهم لا يرون الأعراب الذين يحكون عنهم حجة الى حد جعل أحد المتعصبين البصريين ـ وهو أبو حاتم السجستاني ـ يقول فيهم « لا ألتفت الى رواية الكسائي والأحمري والأموي والفراء ونحوهم وأعوذ بالله من شرهم »[١] ·

لقد أشعلت المنافسة الشديدة نار التعصب عند هؤلاء ، واعتبروا أنفسهم مهيمنين على العربية ، ووضعوا قواعد جعلوا لها قدسية ، لا يجوز مخالفتها ، فقد عرف الكسائي بكثرة رحلاته الى البادية ووجهه الخليل بن أحمد البصرى الى ذلك ، وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ[٢] ، كما عرف المفضل الضبي بكثرة مجالسته للأعراب وروايته لدواوين الشعراء ، فبأي حق اذن تهدر جهود هؤلاء في اللغة فلا يؤخذ عنهم ؟!

أما أبو زيد الأنصارى فقد تميز من أهل البصرة بشخصيته المستقلة وتفكيره الحر . وضعف العصبية البلدية عنده ، ومن أجل ذلك فقد ثار على تقليد أهل البصرة بعدم الأخذ عن الكوفيين ، وشدّ رحاله الى الكوفة وتردد على حلقات مسجدها وتتلمذ على شيخها المفضل الضبّي وصرح بالرواية عنه في مقدمة كتابه **النوادر** ·

ولم يتوقف الأمر بالنسبة لأبي زيد عند حد الأخذ عن الكوفيين **ولكنه تعدّى ذلك الى التأثر المنهجي بالمذهب الكوفي فبرزت في مذهبه النزعة الكوفية ·**

وهذا الموقف من أبي زيد كان جديرا بأن يلفت الانتباه الى حد جعل أحد الذين ينسجون على منوال أهل البصرة ويهتمون بأخبار نحاتها يقول : « ولا نعلم أحدا من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئا من علم العرب الا أبا زيد فانه روى عن المفضل الضبّي[٣] ·

ومن هنا كان أبو زيد أول عالم بصري يخرج على المدرسة البصرية ويجمع الى علم البصريين علمَ الكوفيين ويمزج بين المذهبين فيتكون لديه مذهب منتخب ·

واذا كان لنا أن نعد العلماء الذين يمزجون بين المذهبين بغداديين فانه يسوغ لنا أن نحكم على أبي زيد بأنه من واضعي بذور المدرسة البغدادية ·

---

١) **مراتب النحويين** ـ أبو الطيب اللغوى /٩٠

٢) انظر **معجم الادباء** لياقوت ١٣/١٦٩

٣) **أخبار النحويين البصريين** ـ أبو سعيد السيرافي /٤٤ . ٤٥ ·

ولسنا على كل حال أول من تنبه الى أن أبا زيد مزج بين الاتجاهين البصري والكوفي فقد سبقنا الى ذلك **كثير من أصحاب الطبقات** الذين أشاروا الى أن أبا زيد انفرد بين البصريين بالأخذ عن الكوفيين في حين امتنع البصريون عن ذلك فاستحق أبو زيد أن يلفت الأنظار اليه بمزجه في مذهبه بين المدرستين ·

كما سبقنا أحد الباحثين المحدثين في تتبعه لتدرج المدرسة البغدادية حين أشار الى أنه وجد هذه النزعة ــ المزج بين المذهبين ــ بصورة واضحة عند أبي زيد الأنصاري حيث قال في ذلك : « كما أنني رأيت هذه النزعة نفسها بصورة أوضح عند أبي زيد الأنصاري ولعل مرد ذلك الى أنه ما كان يعرف العصبية المذهبية ، بل كان يأخذ عن الكوفيين كما كان يأخذ عن البصريين »[1] ·

لكن السابقين اكتفوا بعرض القضية دون تفصيل فلم يقدموا لنا الأدلة على صحتها ·
وسنحاول هنا ايراد شيء من الأدلة التي تثبت هذا الادعاء الذي ندّعيه ·

على أن اثبات هذا الأمر تواجهه مشكلات وعقبات معينة نلخصها فيما يلي :

١ ــ ما ألمحت اليه قبل من أن السابقين الذين أشاروا الى أن أبا زيد قد مزج بين المدرستين لم يقدموا الأدلة وتوقفوا عند حد الجانب التاريخي الشكلي ، فلم يتعرضوا لتوضيح مذهب أبي زيد ·

٢ ــ ضياع غالبية كتب أبي زيد وخاصة كتابه الكبير في النحو[2] ، يضاف الى ذلك أن جميع كتبه التي وصلت الينا باستثناء كتاب **النوادر** رسائل لغوية تخدم الثروة اللفظية بوجه خاص ·

وهكذا فقد كان عليّ أن أرجع الى أمهات كتب النحو أتعرف منها على مذاهب أبي زيد في النحو ·

٣ ــ احجام النحويين البصريين في أغلب الأحيان عن الاتيان بآراء أبي زيد في النحو الا في القليل النادر ·

ومعروف أن آراء البصريين وكتبهم هي التي عاشت على مر الزمن وقد أكد ذلك أحد الباحثين المحدثين عندما قال : « لم تكن الغلبة لمدرسة الكوفة التي لمحت طبيعة اللغة بل كانت لمدرسة البصرة العقلية المنطقية ، فساد أسلوبها وانتشرت كتبها ووجهت التفكير اللغوى العربي كما وجهت خطة تعليم العربية الى اليوم »[3] ·

ومن هنا ظهرت أمامي صعوبة الكشف عن آراء أبي زيد في أمهات كتب النحو واللغة ·

ويجدر بنا الان أن ندخل في توضيح مذهب أبي زيد في الصرف والنحو فنبدأ ببيان مظاهر النزعة البصرية في مذهبه ثم نعقبها بتوضيح النزعة الكوفية عنده ، موجهين عناية خاصة لمظاهر استقلاله ·

---

١) **أبو زكريا الفراء** /٣٦٤ ، تاليف الدكتور احمد مكي الأنصاري ، القاهرة ١٩٦٤م

٢) اشار اليه الأزهري ، دون ان يذكر له اسما ، واكتفى بقوله : ولأبي زيد كتاب كبير في النحو · انظر **تهذيب اللغة** ١٢/١ ·

٣) **الاجتهاد في النحو العربي** /١٢ تاليف امين الخولي ، محاضرة له مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٣٨٦٨٨ ·

النزعة البصرية في اتجاه أبي زيد

أولا : تخطئة القراءات

اعتند الكوفيون بالقراءات وجعلوها في مقدمة مصادرهم اللغوية ، **واعتمدوا عليها في استخراج كثير من الأحكام** ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

تجويزهم العطف على الضمير المخفوض دون اعادة الخافض نحو : نظرت اليك وخالد . استنادا الى قراءة حمزة قوله تعالى : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام »[١] .

كما جوّزوا الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف ، استنادا الى قراءة ابن عامر قوله تعالى : « وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم »[٢] .

وجوّز الكوفيّون قيام الجار والمجرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به المنصوب استدلالا بالقراءة الشاذة : « لولا نزّل عليه القرآن »[٣] بنصب (القرآن) .

أما البصريون فقد قدّموا أصولهم التي وضعوها وجعلوا لها قدسية خاصة حتى انهم ردوا ما جاء مخالفا لها ولم يعملوا به .

ومن هذا المنطلق رفض البصريون بعض القراءات القرآنية واعتبروها شاذة لأنها لم تطابق قواعدهم التي ارتضوها والأمثلة على ذلك كثيرة : منها أن أبا عمرو بن العلاء قد خطّأ أهل المدينة في جعلهم (هن) فصلا ، ونصبهم (أطهر) في قوله تعالى : « هؤلاء بناتي هن أطهرَ لكم »[٤] ، وكان يقول : احتبى مروان في لحنه[٥] .

وكره قراءة قوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة »[٦] بالياء وقال : يقرأها برابر مكة وسودانها[٧] .

وكان ينبغي ألا يكرهها أبو عمرو لأنها لغة منقولة فيما روى أبو زيد حيث قال : كنا عند المفضل وعنده أعراب فقلت انهم يقولون شيرة فقالوا نعم فقلت له قل لهم يصغرونها فقالوا شييرة »[٨] .

ومنع المبرد قراءة أبي عمرو لقوله تعالى : « فتوبوا الى بارئكم »[٩] بالتسكين وزعم أنها لحن في حين أنها وردت في لغة العرب . وقد ردّ عليه أبو حيان زعمه[١٠] .

---

١) سورة النساء / الآية الأولى .
٢) سورة الأنعام /١٣٧
٣) سورة الفرقان / ٣٢
٤) سورة هود /٧٨
٥) انظر كتاب سيبويه ٣٩٧/١
٦) سورة البقرة /٣٥
٧ . ٨) انظر البحر المحيط ١٥٨/١ تاليف أبي حيان الطبعة الأولى مصر سنة ١٣٢٧هـ .
٩) سورة البقرة /٥٤
١٠) البحر المحيط ـ أبو حيان ٢٠٦/١

وانساق أبو زيد الأنصاري في هذا التيار وغلبت عليه نزعته البصرية عندما سمع قراءة شيخه عمرو بن عبيد لقوله تعالى : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جأن »[١] بالهمز فظن أنها لحن حتى سمع بعض العرب ينطقون بها فرجع عن ظنه ٠

ثم نرى أبا زيد يناقش في القراءة على مذهب النحويين البصريين عندما يسمع شيخه أبا السمَّال يقرأ (فحاسوا) بالحاء فيقول له انما هو (فجاسوا)[٢] ٠

وقد ذهب مع شيخه الى أبعد من ذلك فلحنه في القراءة ، قال أبو عثمان المازني قال أبو زيد[٣] : « كان أبو السمَّال يقرأ حرفا يلحن فيه بعد ان كان فصيحا وهو قوله تعالى : « انكم لذائقو العذابَ الأليم »[٤] ٠

وبعد ، فان مذهب أبي زيد ـ ومن لف لفه من البصريين ـ القائم على تخطئة القراءات مجانب للصواب وليس له ما يسوّغه ـ في رأينا ـ لأن القرآن مثل أعلى في الفصاحة وأصفى معين يقوّم السنة العرب على مرّ الزمن ، وينهض بهم في مرامي البلاغة ما لا تمدّهم القواعد والضوابط ، وهكذا فان في تخطئة قراءاته تضييقا على المتعلمين والكتّاب والشعراء وسائر الناطقين بالعربية في محاكاته ٠

اذا سمع عن العربي أخذ بما قال واذا قرأ القارىء بقراءة صحيحة متصلة السند بالرسول عليه السلام ردت لأنها لم تسمع عن العرب ، أليس هذا مما يثير العجب ؟! وهل أحصى علماء النحو واللغة كلام العرب ؟! فكيف اذاً يُجرون مقاييس اللغة على ما روى من القراءات وأبو عمرو ابن العلاء يقول : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير »[٥] ٠

ثم ان القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، والروايَة اذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها[٦] ٠

وقد رأينا كيف خرج أبو زيد عن الجادة عندما خطأ عمرو بن عبيد وكيف عاد الى الصواب عندما سمع العرب ينطقون بتلك اللغة مما يشهد بصحة ما رواه القراء ، ولكن أبا زيد ما كان له أصلا أن يظن أو يناقش في قراءة صحت بالسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنها النزعة البصرية التي تملكته فحادت به عن الحق٠

وكان المفروض أن ينظر النحاة البصريون في قواعدهم على ضوء القراءة اذا صح سندها ، وفي ذلك يقول أحد الباحثين المحدثين : « ان للقرآن أسلوبا من النحو ينبغي أن يقاس عليه ولا يقاس هو على غيره ، وذلك اذا صح سند القراءة ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ، فليصحح

---

١) **سورة الرحمن** /٣٩

٢) **انظر المحتسب** ـ ابن جني ١٥/٢

٣) **الايضاح** ١٥٠/١ تاليف ابي علي الفارسي ، الطبعة الأولى مصر سنة ١٩٦٩م ٠

٤) **سورة الصافات** /٣٨ ٠

٥) **الخصائص** ـ ابن جني ٣٨٦/١

٦) انظر **النشر في القراءات العشر** ـ ابن الجزري ١٠/١ ، ١١ ٠

النحاة قواعدهم وليصوغوها كما صاغها القرآن الكريم فانه النص الوحيد المقطوع بصحته المتواتر في روايته »[1] .

وكما لم تسلم القراءات القرآنية من تخطئة النحاة البصريين لها **لم يسلم العربي الذي أخذوا اللغة عنه من نقدهم وتخطئتهم له** ، وذلك يقودنا بطبيعة الحال للحديث عن بروز هذه النزعة في مذهب أبي زيد في الصرف والنحو .

ثانيا : تخطئة العرب

قدّم البصريون قواعدهم التي وضعوها بعد استقراء أمثلة عن العرب ، فكانوا اذا سمعوا كلاما مخالفا أوّلوه والا اعتبروه شاذا وخطّأوا قائله .

ومرجع هذه النزعة عند البصريين الى عيسى بن عمر وشيخه عبد الله بن أبي اسحاق من متقدمي البصريين ، أما يونس بن حبيب وشيخه أبو عمرو بن العلاء فكانا يتحرزان من تخطئة العربي ويعتمدان قوله وان خالف القياس .

وقد غلبت النزعة الأولى على البصريين وصارت لهم منهاجا في حين انتقلت الثانية الى الكوفيين الذين اتخذوها احدى دعائم قواعدهم .

ومواقف ابن أبي اسحاق مع الفرزدق مشهورة فقد ردّ عليه كثيرا من شعره وخطأه فيه .

أما عيسى بن عمر فانه لم يكتف بمحاسبة المعاصرين له وتجاوزهم فردّ على النابغة بعض شعره وأعلن استنكاره له وخطأه فيه .

سار أبو زيد الأنصاري في هذا التيار وغلبت عليه نزعته البصرية فرأيناه يخطّىء العرب في حالات كثيرة **وسوف نكتفي بسرد بعض الأمثلة :**

انشد أبو زيد قول ضابيء بن الحارث :

وَمَنْ يَكُ أَمسى بالمدينة رَحلُهُ فانّي وَقَيَّاراً بها لغريبُ

ثم عقب عليه بقوله : أراد فاني غريب وان قيارا أيضا لغريب ، ولو قال لغريبان لكان أجود »[2] .

فكأن أبا زيد أحس بأن قول الشاعر ليس جيّدا أو أنه أخطأ في تعبيره لأنه خالف الأصول النحوية فلم يعمد الى تثنية (غريب) ولأجل ذلك حاول أبو زيد تصويبه وتطبيق القواعد النحوية على كلامه وتلك نزعة بصرية .

وأنشد أبو زيد قول عبدة بن الطبيب :

فَبَكى بناتي شَجوَهُن وَزَوْجَتي والطّامعونَ اليَّ ثُمَّ تَصَدَّعوا

---

(١) **القراءات واللهجات** /١٤٨ ، ١٤٩ تأليف عبد الوهاب حمودة . الطبعة الاولى ـ مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م .

(٢) **النوادر في اللغة** /٢٠

وعقب عليه بقوله : « ولو قال فبكت لكان جيدا »[١] ٠

فأبو زيد يحكم على قول الشاعر من وجهة نظره النحوية أما الشاعر فقد نطق على سليقته فعلينا أن نحترم كلامه في اطار لهجته ، هذا وقد نجد لكلام أبي زيد ما يسوّغه في اللغة العامة أو المشتركة ، لكن الأمر يتعلق هنا ببيئة الشاعر ، ونحن نعلم أن كل كلام في بيئته صحيح ٠

كما أنشد أبو زيد قول الراجز :

ويهاً فداء لك يا فضالَهْ أَجِرْهِ الرّمحَ ولا تُهالَهْ

ثم عقب قائلا : « أَجِرْهِ كسر الراء لالتقاء الساكنين ولو فتح كان أجود »[٢] ٠

فكأن أبا زيد أحس بأن قول الشاعر ليس جيّدا ، وأراد أن يحكم الأصول النحوية في قول العربي على مذهب البصريين ٠

هذه أمثلة قليلة تشير الى اتجاه أبي زيد فيهذا المجال وهذه الأمثلة مع سابقاتها تدل دلالة قاطعة على غلبة هذه النزعة البصرية عند أبي زيد٠

وقد يكون من المناسب هنا أن نسجل أن البصريين قد جانبهم الصواب في نزعتهم هذه ، لأن القول بتخطئة العربي ليس له ما يسوّغه فاللغة كما هو معلوم لدينا وكما يؤكده العالم اللغوى مولتن Moultin **هي مجموعة عادات**[٣] ، ومن الصعب التصديق بأن صاحبها ينسى ما تعوّده أو يغلط فيه ، وقصة أبي عمرو بن العلاء في خلافه مع عيسى بن عمر في مسألة (ليس الطيب الا المسك) مشهورة ، حيث ذهب عيسى بن عمر الى نصب (المسك) ، وذهب أبو عمرو الى جواز الرفع والنصب وقال : ليس في الأرض حجازي الا وهو ينصب ولا في الأرض تميميّ الا وهو يرفع، وأرسل اثنين من علماء العربية الى رجلين من الحيين ليحاولا تلقينهما بخلاف ما ينطقان ، فلم يستطيعا الى ذلك سبيلا[٤] ٠

ثم اذا كنا نخطىء العربي فعمّن نأخذ اللغة ٠

ان العربي هو صاحب اللغة ومالكها فله أن يتصرف في مفرداتها وتراكيبها وفق ما يتفق مع طبيعته وعاداته اللغوية ، غاية الأمر أنه ينبغي مراعاة بيئة المتكلم ، والا نخلط لهجة بأخرى ، وعندنا أن كل كلام في بيئته صحيح ، وان كان مخالفا لكلام أقوام آخرين ٠

ثالثا : الضبط والتقعيد

بالغ البصريون في التحرى والحيطة في جمع الشواهد التي عدّوها خالصة سليمة ، وامتنعوا عن الأخذ من أهل الحاضرة نظرا لفشو اللحن فيهم واختلاطهمْ بالأعاجم ، وضربوا الى البادية لأن أهلها أبعد ما يكونون عن اللحن ، كل ذلك لأجل أن يضمنوا لقواعدهم السلامة والدقة ٠

---

١) **النوادر في اللغة** /٢٣ ، ٢٤٠

٢) المرجع السابق /١٣ ، ١٤

٣) انظر ، Rivers, Wilga M., *Teaching Foreign Language Skills*, P. 37, U.S.A., Third Impression, 1970.

٤) انظر **المجالس المذكورة للعلماء** /٣٢٢ لأحد علماء القرن الرابع ، مخطوط بدار الكتب برقم ٧٧ ش وقد صورتها دار الكتب باسم مجالس أبي مسلم برقم ٩٠٥٨ أدب ٠

وقد عرفت البصرة بأنها كانت موطنا للمذاهب العقلية والفرق الكلامية ، وطبيعي أن تتأثر مدرسة النحو واللغة فيها بتلك المذاهب فتجنح نحو التنظيم والتقعيد .

وقد أدى الى هذا الاتجاه ضرورة دينيـة بسبـب فساد الملكـات اللسانيـة نتيجـة الفتح الاسلامي ومخالطة الأعاجم مما أوجد خطرا على صفاء اللغة وسلامتها .

غلبت نزعة الضبط والتقعيد هذه على المذهب البصرى ، فقد كان البصريون أكثر هيمنة وأقوى سلطانا على اللغة لأنهم يريدون أن يصنعوا لغة يسودها النظام والمنطق .

أما الكوفيون فكانوا أقرب الى روح الدراسة اللغوية وأبعد ما يكون عن الأخذ بأسباب المنطق أو التعلق بأساليب الفلاسفة .

وقد وصف الاستاذ أحمد أمين المذهبين بقوله : « البصريون أكثر حرية وأقوى عقلا وطريقتهم أكثر تنظيما وأقوى سلطانا على اللغة ، والكوفيون أقل حرية وأشد احتراما لما ورد عن العرب ولو موضوعا »[١] .

أما أبو زيد الأنصارى فقد غلبت عليه نزعته البصرية بحكم نشأته في البصرة وتأثرة بمـا يدور فيها من مذاهب عقلية فمال الى الضبط والتقعيد وظهر ذلك في مذهبه بوضوح :

فقد انشد في كتابه النوادر في اللغة قول عدى بن زيد :

فَلَيتَ دَفَعتَ الأَمرَ عنِّيَ ساعـة فَبِتنا على ما خَيَّلَتْ ناعِمَيْ بـالِ

ثم علق على البيت فقال : « قوله فليت دفعت أراد فليتك دفعت أي فليت الأمر لأن ليت حرف مشبه بالفعل ولا يجوز أن يليه الفعل »[٢] .

فأبو زيد هنا يضع قاعدة بعدم جواز اتباع ليت بالفعل ، وتلك نزعـة بصريـة قياسية ، بالرغم من ورودها في كلام عربي .

وجاء في كتاب **النوادر** أيضا قول أبي زيد : « وهِجتُ الابلَ أَهيجُها هَيجاً وهو هَيجُكَها بالليل الى المورد والى الكلأ ، وكل شيء هاج فمصدره الهَيج غير الفحل فانه يهيج هِياجاً »[٣] .

فهو يضع قاعدة لاشتقاق مصدر هاج .

وفي تعرض أبي زيد لقوله تعالى : « أو جاؤوكم حصرت صدورهم »[٤] . منع أن يقع الماضى حالا الا أن نصله بقد أو الواو مما يبرز غلبة التقعيد عليه استجابة لنزعته البصرية ، قال أبو زيد : « ولا يكون جاءني القوم ضاقت صدورهم الا أن تصله بواو أو بقد كأنك قلت : جاءني القوم وضاقت صدورهم أو وقد ضاقت صدورهم »[٥] .

---

١) ضحى الاسلام ـ احمد امين ٢/٢٩٦
٢) النوادر في اللغة /٢٥
٣) النوادر في اللغة / ١٩٤ ، ١٩٥ .
٤) سورة النساء / ٩٠
٥) لسان العرب /حصر

وقد سلك سيبويه المنهج نفسه فلم يجز وقوع الماضي حالا الا مع قد ، وجعل حصرت صدورهم على جهة الدعاء عليهم[١] ، في حين أجاز ذلك الكوفيون واستشهدوا بقول أبي صخر الهذلي :

وانّي لَتَعروني لِذِكراكِ نَفضَةٌ كما انتفَضَ العصفورُ بلّله القطرُ [٢]

وقال الفراء : العرب تقول أتاني فلان ذهب عقله يريدون قد ذهب عقله[٣] .

ونقول : ان رأى الكوفيين في هذه المسألة أقرب الى الصواب لأنه يعتمد على المسموع من كلام العرب .

أما منهجهم القائم على فهم الطبيعة اللغوية والبعد عن اقحام المنطق فهو أقرب الى المنهج اللغوى الحديث ، حيث يصر هذا المنهج على اتباع المسموع والمنطوق بالفعل ، ويهمل اعمال المنطق أو الفكر الفلسفي في التقعيد اللغوى .

رابعا : الدقة في التحرى عن الشواهد

عرف عن الكوفيون بأنهم لم يدققوا تدقيق البصريين في البحث عن الشواهد ، فكانوا أكثر تجويزا ، وقبلوا كل ما جاء عن العرب واعتدوا به ، وقد يتساهلون مع هذا في التثبت من معرفة القائل ، وربما استشهدوا بشطر بيت لا يعرف شطره الآخر ولا يعلم قائله .

أما البصريون فكانوا في منهجهم أكثر تحريا وتنقيبا عن الشواهد السليمة وقد بالغوا في ذلك فابتعدوا عن كل شاهد منحول ومفتعل ، وقامت خطتهم على اعتماد الشواهد التي يكثر دورانها على ألسنة العرب ، وامتنعوا عن الأخذ عمن سكن الأرياف وجاور الحضر ، ولم يقصدوا الا القبائل التي عرفت ببعدها عن مظنة الفساد ، واشتهرت بجودة الأسلوب .

وهكذا كان البصريون في منهجهم في البحث عن اللغة أكثر تصلبا فلم يعتمدوا الا الروايات التي وثقوا بها واطمأنوا اليها ، ولم يأخذوا الا عن الفصحاء ، تحقيقا للدقة في التحرى عن الشواهد ، وآية ذلك أول كتاب لهم وهو كتاب سيبويه حيث تردد فيه عبارات مثل : « العرب الموثوق بعربيتهم » أو « عربي أثق بعربيته » أو « حدثنا من يوثق به من العرب ... » .

ومن أجل ذلك فقد افتخر أحد علماء البصرة متباهيا على الكوفيين بقوله : « انما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز »[٤] .

وقد غلبت هذه النزعة البصرية على أبي زيد الأنصاري حتى رأيناه يقول : « ما أقول قالت العرب الا اذا سمعته من عجز هوازن وبني كلاب وبني هلال أو من عالية السافلة أو من سافلة العالية والا لم أقل قالت العرب »[٥] .

---

١) لسان العرب /حصر

٢) انظر **الانصاف في مسائل الخلاف** ١٤٤/١ ، تاليف كمال الدين بن الأنباري تحقيق محمد محيي الدين الطبعة الثالثة مصر سنة ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م .

٣) **لسان العرب** / حصر .

٤) **اخبار النحويين البصريين** للسيرافي / ٦٨

٥) **مراتب النحويين** ــ أبو الطيب اللغوى / ٩٠

وهؤلاء الذين ذكرهم أبو زيد هم أفصح الناس كما يقول السيوطي[١] • وانطلاقا من هذا المبدأ رأينا أبا زيد يردد عبارات مثل : « عربي يوثق بعربيته » ••• أعرابي من الفصحاء ••• أعرابية وهي فصيحة ••• وغير ذلك ، فأشبه سيبويه في منهجه عندما كثر في كتابه تردد مثل هذه العبارات •

وقد عاب أبو زيد معاصره الكسائي الكوفي لأخذه عن أعراب الحطمة لأنهم غير فصحاء ، قال أبو زيد : « قدم الكسائي البصرة • فأخذ عن أبي عمرو ويونس وعيسى بن عمر علما كثيرا صحيحا ثم خرج الى بغداد ، فقدم أعراب الحطمة فأخذ عنهم شيئا فاسدا فخلط هذا بذاك فأفسده»[٢] •

ولا شك في أن أبا زيد يعبر في قوله هذا عن وجهة نظره ومن لف لفه من البصريين ، وهذا بالتالي يدل على غلبة النزعة البصرية عليه في هذا المجال •

هذه اشارات تنبىء عن مظاهر النزعة البصرية في اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو وقد ظهرت عنده بحكم نشأته في البصرة وتأثره بما يدور فيها •

لكن أبا زيد عرف بارتحاله الى الكوفة وتتلمذه على شيخها المفضل وأخذه عن الكوفيين • فانعكس كل ذلك على آرائه في الصرف والنحو وبرزت فيه النزعة الكوفية التي نتناولها بالحديث لابراز جوانبها في الصفحات التالية •

النزعة الكوفية في اتجاه أبي زيد

اولا : القياس على الشاذ

قدّم البصريون أصولهم التي وضعوها فكانوا اذا سمعوا شاهدا مخالفا لتلك الأصول وصفوه بالشذوذ وتوقفوا عن القياس عليه •

أما الكوفيون فكانوا أكثر تحررا ، وكثيرا ما عمدوا الى تغيير أو تعديل أصولهم لتكون وفق الأمثلة المسموعة ، وهكذا يهون على الكوفي نسف أصل من أصوله ولا يهون عليه اطراح ما سمع من العرب ، وكان من نتيجة ذلك أن الكوفيين يعتدون بالمثال الواحد ويقيسون على ما سمّي بالشاذ •

وقد ظهر تأثر أبي زيد بالمنهج الكوفي في أبرز صورة في تطبيقه القياس على ما سمّي بالشاذ في اتجاهه النحوي مخالفا بذلك البصريين وخارجا على أصولهم •

وسوف نسوق بعض الأمثلة لتوضيح ما ذهبنا اليه :

فالنحويون البصريون يجعلون من أصولهم عدم جواز تصحيح الفعل الأجوف اليـاء والواو ويوجبون بقاءه مُعلّاً ، وعندما يواجهون بأمثلة رُوِيَ التصحيح فيها عن العرب مثل : استَنوَق الجمل ، واستتيست الشاة ، واستَرْوَح الريح وأَغيَلت المرأة وأَغيَمت السماء واستَفيل الصبي ، فانهم يعدّون هذه الأمثلة شاذة ويتوقفون عن القياس عليها •

---

١) المزهر ـ السيوطي ٤٨٣/٢
٢) اخبار النحويين البصريين ـ ابو سعيد السيرافي /٤٤

وقد خالف أبو زيد الأنصاري البصريين فيما ذهبوا اليه استجابة لنزعته الكوفية في جواز القياس على الشاذ ، **فكان يرى التصحيح في ذلك مقيسا اعتبارا بهذه الألفاظ وأمثالها** ، وقد روى الجوهري عنه أنه حكى عنهم تصحيح استفعل تصحيحا مطردا ، وأشار الجوهري الى أن تصحيح هذه الأشياء لغة صحيحة فصيحة[1] ·

والمثال الآخر الذي طبق فيه أبو زيد منهجه في جواز القياس على الشاذ هو حذف حرف العطف ·

فقد سمع أبو زيد قول الشاعر :

مالِيَ لا أَسقي على علاّتي صَبائِحي غَبائِقي قَيلاتي

أراد وغبايقي وقيلاتي فحذف حرف العطف ·

وقول الآخر :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما يثبتُ الود في فؤادِ الكَريمِ

أراد : « وكيف أمسيت » ·

فاعتبر ذلك مقيسا حيث روى أبو عثمان المازني عنه قوله : « أكلت لحما سمكا تمرا » أراد وسمكا وتمرا ·

لكن ابن جني ـ وهو ممن ينسجون على منوال البصريين ـ يرفض ذلك ويعتبره شاذا ضعيفا في القياس ويطيل الشرح في رده وبطلانه[2] ·

وأنشد أبو زيد في نوادره قول ذى الخرق الطهوى :

يقولُ الخنا وأبغضُ العجمِ ناطِقاً الى رَبِّنا صوتُ الحمارِ اليُجَدَّعُ

فأدخل الشاعر الألف واللام على الفعل وهذا لا يقبله النحويون البصريون وقد أنكره أبو العباس المبرد وهو الذي انتهى اليه علم البصريين في زمنه ، فقد نقل تلميذه أبو الحسن الأخفش تعليقه على الرواية قال : « وقال لا يجوز ادخال الألف واللام على الأفعال ، فان أريد بها الذي كان أفسد في العربية » ·

وقد امتدح أبو الحسن موقف المبرد بقوله : « وكان لا يلتفت الى شيء من هذه الروايات التي تشذ عن الاجماع والمقاييس »[3] ·

---

١) انظر **ارتشاف الضرب** /١١٧ ، ١١٨ تاليف ابي حيان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٨٢٨ نحو وانظر ايضا **البحر المحيط** ٣٥/٢ تاليف ابي حيان ، الطبعة الأولى مصر ١٣٢٨هـ ، وكذلك **همع الهوامع** ٢٢٤/٢ ، تاليف السيوطي ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٢٧هـ ·

٢) انظر مخطوطة **سر صناعة الاعراب** ـ ابن جني /٢٣٣ ، **والخصائص** ـ ابن جني ٢٩٠/١ ، ٢٩١ ·

٣) **النوادر في اللغة** /٦٦ـ٦٨ ·

هذا موقف البصريين ومَن لفّ لفّهم ، أما أبو زيد فقد قاس ذلك وقال : يقال اليضربك ورأيت اليضربك يريد الذي يضربك وهذا الوَضَعَ الشعر يريد الذي وضع الشعر »[١] .

وفي رأينا ان البصريين جانبوا الصواب فيما ذهبوا اليه في رفضهم للشواهد والأمثلة التي تخالف أصولهم لأن هذه الأمثلة والشواهد قد تمثل لهجة يتكلم بها العرب ، فلا يجوز والحالة هذه رفضها وتجاهلها بحال من الأحوال، وفي ذلك يقول ابن جني في باب اختلاف اللغات وكلها حجة : « فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء »[٢] .

كما يقول أبو حيان في شرح التسهيل : « كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه »[٣] .
غاية الأمر انه كان على الكوفيين أن ينظروا الى هذه الأمثلة المفردة في اطار لهجاتها الخاصة أو بيئاتها المعينة .

ثانيا : البعد عن التعليل

نطق العرب على سجيتهم ، وكما أساغتها طبيعتهم لأن اللغة في الأصل مجموعة عادات ، وان هذه العادات اللغوية تكون قد استقرت بشكل خاص في مرحلة الطفولة المبكرة[٤] Babbling Stages عندما يكون الطفل يمارس جهاز تكلمه ليبهج أذنيه .

وبذلك فان الكفاءة في استخدامها كما يقول Palmer تتاتى نتيجة لتكوين عادات ثابتة[٥] .

ومعنى هذا الكلام أننا لسنا بحاجة في اللغة الى التعليل والتعلق بأساليب الفلاسفة .

لذلك لم يحاول العرب وضع تعليل لما نطقوا به ، واطردت أساليبهم على هذا النحو المعيَّن ، الى أن جاء علماء اللغة في مرحلة جمعها وأخذوا يبحثون فيها بغية الوقوف على أسرارها بهدف ضبطها وتيسيرها على الدارسين .

ومن أجل تحقيق غرضهم في تقعيد اللغة أخذوا يجتهدون في وضع العلل والأسباب محاولين أن يترجموا عما لم يصرح به العرب .

وقد أشار لما ذهبنا اليه الخليل بن أحمد عندما سُئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، هل أخذها عن العرب أم اخترعها من نفسه أجاب : « ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقامت في عقولها علله ، وان لم ينقل ذلك عنها ، وعللت أنا بما عندى أنه علّة ، لما عللته منه ، فان أكن أصبت العلّة فهو الذي التمست وان لم يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أنه علّة ، فان سنحت لغيري علّة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرت بالمعلول فليأت بها »[٦] .

---

١) **لسان العرب** /لوم .
٢) **الخصائص** ــ ابن جني ١٢/٢
٣) **المزهر للسيوطي** ١٥٣/١
٤) Firth, *The Tongues of Men and Speach*, P. 22, London 1966, Oxford University Press.
٥) Byrne, Donn, *English Teaching Extracts*, P. 36, Great Britain 1972.
٦) **الاقتراح** ــ السيوطي /٦٨

وقالوا : كان عبد الله بن اسحاق أول من علل النحو ، وكان شديد التجريد للقياس ٠

ووصل التعليل مرحلة متقدمة على يد الخليل وسيبويه ٠

وتكلم السيوطى في الاقتراح عما أسماه بالعلل التعليمية والعلل القياسية والعلل الجدلية والنظرية ٠ وتكلم غيره من النحاة عن العلل الثواني والثوالث[1] ٠

وفي نهاية المطاف خرجت هذه العلل عن الحد المستساغ ، وظهر فيها النهج المنطقي والافتراض العقلي فأصبحت مرذولة مستكرهة ، بعد أن جافت البساطة وقصد فيها الى الابعاد ، يتضح ذلك في أبواب كثيرة طرقوا فيها ما ليس من النحو في شيء والتمسوا لها من العلل ما لا يقبل ، ولا يتصل بالواقع بسبب ٠ وقد كان ذلك مدعاة عند أبي علي الفارسي لأن يقول عن الرماني النحوى الذي عرف بأسلوبه المعقد في تحليل المادة النحوية : « ان كان النحو ما مع الرماني فليس معنا منه شيء وان كان النحو ما معنا فليس معه منه شيء »[2]٠

أما الكوفيون فقد قام منهجهم على اعتماد المسموع من كلام العرب ، والميل عن تحكم المقاييس العقلية في القضايا النحوية ، فكانوا بذلك أقرب الى روح الدراسة اللغوية وأبعد ما يكون عن الأخذ بأسباب المنطق أو التعلق بأساليب الفلاسفة ، يدلنا على ذلك قول الكسائي الكوفي عندما سئل عن اختلاف أحوال «أيّ» وتعليله أجاب بقوله : أي كذا خلقت ، ومعنى ذلك في وضوح أن تلك الظواهر اللغوية تنقل و لاتمنطق ولا تفسر بعمل عقلي ، وذلك هو الأساس السليم للمنهج اللغوى ٠

وقد ظهرت هذه النزعة الكوفية عند أبي زيد الأنصاري الذي كان يتردد على الكوفة في مراحل دراسته فرأيناه في اتجاهه النحوى يبتعد عن التعليل فقد أنشد في كتابه **النوادر** قول عمرو بن ملقط :

مَهما لِيَ اللَّيلَةَ مَهما لِيَه   أَوْدَى بنعليَّ وسِربالِيَه

واكتفى بالتعليق عليه بقوله :« مهما تجيء للجزاء فجاء بها في غير موضعها »[3] في حين أن أبا الحسن الأخفش لم يرض بقول أبي زيد المتقدم وغلبت عليه نزعته البصرية في ميله الى التعليل فقال في شرح طويل : « قوله مهما لي ما الثانية زائدة للتوكيد وهي غير لازمة كما تلزم في الجزاء اذا قلت مهما تصنع أصنع فهي في الجزاء ما ضمت اليها الأخرى وجعلت للشرط كحرف واحد وأبدلوا الهاء من الألف وأنها حرف هاو لا مستقرّ لها فكرهوا اجتماع ميمين ليس بينهما الا الألف وهي لخفائها وأنها تهوى في مخرجها حاجز ليس بحصين فكأنهم جمعوا بين ميمين فأبدلوا منها الهاء كما كانت شريكتها في الخفاء ولم تكن هاوية بمنزلة الحركة ، فهذا الشاعر زاد (ما) للتوكيد كما تراه في قوله عز وجل « فبما نقضهم ميثاقهم »[4] « ومما خطاياهم »[5] وزيادتها للتوكيد تكثر جدا وانما المعتمد عليه (ما) الأولى وهي التي للاستفهام

---

١) انظر **الرد على النحاة** /١٥١ تاليف ابن مضاء القرطبي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ الطبعة الأولى ـ مصر سنة ١٩٤٧م ٠

٢) **معجم الادباء** لياقوت ١٤/٧٤ ، ٧٥

٣) **النوادر في اللغة** /٦٢ ، ٦٣

٤) **سورة المائدة** /١٣

٥) **سورة نوح** /٢٥ وهي قراءة

والثانية مؤكدة واستثقال الجمع بين ميمين ها هنا كاستثقالة في الجزاء لما بينت لك فعوّضت الهاء من ألف ما الأولى لهذا الشرح »[١] ·

فأبو الحسن يخرج أولا بعلة استثقال الجمع بين ميمين ليس بينهما الا الألف ، ثم يبدأ ثانيا بتعليل ابدال الهاء من الألف فيصرح بأنهم فعلوا ذلك لعلّة خفاء الألف وعلّة أنها حرف هاو لا مستقر ··· وهل يعقل أن يكون كل هذا التعليل قد صرح به الشاعر أو دار في خلده عندما نطق هذا البيت ؟؟

لكن أبا زيد الأنصارى ـ كما رأيناه ـ تمشيا مع مذهبه في البعد عن التعليل احتكم الى الاستعمال اللغوى فصرح بأن الشاعر قد استعمل الكلمة في غير موضعها ، وهو منهج أقرب الى الطبيعة اللغوية يظهر مدى ما تمتع به صاحبنا من حس لغوى وبعد عن الأخذ بأسباب المنطق ·

وأقول ان المدرسة البصرية قد جانبت الصواب مرة ثانية في ميلها الى التعليل لأن المنهج اللغوى السليم يقتضى التخلي التام عن التعليل النحوى في أي لون من ألوانه النظرية حيث ان ميدان البحث اللغوى هو اللغة نفسها دون الأخذ بأسباب المنطق وأساليب الفلاسفة كما أن الظواهر اللغوية **تنقل ولا تمنطق ولا تفسر بعمل عقلي فليس من شان (الجراماتيكا)**[٢] Grammar **كما يقول العالم اللغوى** Morris **أن يضع قوانين للغة كي تتبعها ولكنه يلاحظ ويسجل**[٣] ·

ومن هذا المنطلق كان حكمنا على المنهج الكوفي بأنه أقرب الى الطبيعة اللغوية لأنه ينحرف عن التعليل والامعان المنطقي ويميل الى التتبع اللغوى واعتماد المسموع من كلام العرب ·

ولقد أصاب أبو زيد في رأينا ـ في خروجه على المدرسة البصرية ونزوعه نحو مدرسة الكوفة في عدم ميلها الى التعليل ، فقد كان الرجل متحررا ، وتلك صفة يتميز بها من يود أن يكون مؤسسا لمذهب جديد ·

وحديثنا عن بعد أبي‌زيد عن التعليل يسلمنا للحديث عن جانب آخر من جوانب نزعته الكوفية ، يتصل به اتصالا وثيقا ذلك هو :

ثالثا : البعد عن التقدير والتأويل

شهدت العربية في مراحل جمعها علماء بررة من أبنائها وقفوا حياتهم في سبيل خدمتها ، والتعرف على أسرارها ، فكانوا يضربون الى البادية يجوبون صحراءها من أجل الالتقاء بالأعراب الخلص ومشافهتهم حيث يدونون ما يسمعونه منهم في صحائفهم ويعودون به ليجروا دراساتهم عليه في محاولة ضبط اللغة وتيسيرها على الدارسين ·

ولكن أغرق البصريون في منهجهم العقلي الذي قادهم الى الأخذ بأسباب المنطق فأبعدهم عن منهج البحث اللغوى السليم ، فأخذوا يفترضون ما لم يسمعوا ويقدرون ما لم تنطق به العرب ·

وقد رأينا في الصفحات الماضية كيف أن اقحام المنطق في الدراسات اللغوية قاد البصريين الى محاولة تعليل الظواهر اللغوية ، كما قادهم على نحو ما سنبين في هذه السطور الى التقدير والتأويل ·

---

١) **النوادر في اللغة** /٦٢ ـ ٦٤ ·

٢) انظر **دراسات في علم اللغة** ـ للدكتور كمال بشر ٨٦/٢ حيث نقلت ترجمة « الجراماتيكا » عنه ·

٣) انظر Byrne, Donn. *English Teaching Extracts*. P. 88.

تحكمت نظرية العامل في عقول البصريين فجعلتهم يفرطون في التقدير والتأويل فاذا واجهوا مثالا كقولك : الولد قام ، قالوا ان فاعل قام ضمير مستتر تقديره هو يعود على الولد ، واذا رأوا مثالا كقولك : أزيداً ضربته قالوا ان زيدا مفعول بفعل مضمر تقديره أضربت زيدا ، وهذه دعوى لا دليل عليها الا ما زعموا من أن (ضربت) من الأفعال المتعدية الى مفعول واحد ، وقد تعدّى الى الضمير ، ولا بد لزيد من ناصب ان لم يكن ظاهرا فمقدر ، ولا ظاهر ، فلم يبق الا الاضمار . وهذا بناء على أن كل منصوب لا بد له من ناصب ، وتلك قضية في المنطق تقول بأن لكل معلول علة .

وقد أدى مثل هذه التقديرات والتأويلات المملة التي أوجدها النحويون ، الى أن يصبح الكلام معقدا غير مفهوم اذا سمع لأول وهلة ، في حين أن العربي الذي اتخذ اللغة وسيلة للتعبير عن أفكاره وأداة للتفكير في شؤون حياته لم يصرح بمثل هذه التقديرات والتأويلات ، بل على العكس من ذلك وجدناه يشمئز منها ، فقد روى أن أعرابيا وقف على مجلس الأخفش المتوفي سنة ٢١٥هـ فسمع كلامهم في النحو فحار وعجب ، واستطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون في كلامنا بما ليس فيه[١] .

ووصل الحال ببعض النحويين الى أن يتعمدوا الغموض في دراساتهم النحوية والى أن يجعلوا من النحو رياضة ذهنية ، فقد قال الجاحظ لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أصنع كتبي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني اليه قلّت حاجاتهم اليّ فيها وانما قد كسبت في هذا التدبير اذ كنت الى التكسب ذهبت[٢] .

وكان من نتيجة تلك التأويلات والتقديرات المتكلفة أن كره بعض الدارسين النحو ورغبوا عن دراسته لما وجدوا فيه من تعقيد وتكلف، ولعل من الطريف أن نسوق هنا ما روي عن دماذ صاحب أبي عبيدة من أنه قرأ من النحو الى بابي الفاء والواو ، فلما استمع الى قول الخليل وأصحابه: ان ما بعدهما ينتصب بأن مضمرة وجوبا نبا فهمه عن ذلك ، وكتب الى أبي عثمان بكر المازني شيخ نحاة البصرة في عصره يشكو اليه ما لقيه من عنت الى أن قال[٣] :

فقد كِدْتُ يا بكرُ منْ طولِ ما أفكّرُ في بابِهِ أَنْ أُجَنْ

أما أبو زيد الأنصاري بما أوتي من حِس لغوى سليم نراه يستلهم روح العربية ويبتعد عن التأويل والتقدير فيخرج على المدرسة البصرية فيما ذهبت اليه في هذا المجال .

ففي الوقت الذي نجد فيه أبا على الفارسيَ وهو ممن ينسجون على منوال البصريينَ عندما يسمع قول الشاعر :

لَعَلَّ أَبي المغوار منك قريبُ

١) انظر معجم الادباء ـ ياقوت ١٢/١٠٣

٢) انظر الحيوان ـ الجاحظ ١/٩١

٣) اخبار النحويين البصريين ـ ابو سعيد السيرافي /٦٠

يرفض الجر بلعل جريا على مذهب البصريين ، ويقوده ذلك الى أن يتأول البيت حتى لا يخالف الأصل الذي ارتضاه ـ وهو عدم جواز الجر بلعلّ ـ فيقول : ان أصل البيت لعله لأبي المغوار جوابه قريب فحذف موصوف قريب وضمير الشأن ولام لعل الثانية تخفيفا وأدغم الأولى في لام الجر ومن ثم كانت مكسورة ، ومن فتح فهو على لغة المال لزيد ٠

وقد أثار هذا التأويل والتقدير ضيق العالم اللغوى السيوطى فعقب على قول الفارسى بقوله: « وهذا تكلف كثير مردود »[1] ٠

واقول في الوقت الذي نرى فيه أبا علي يذهب لما سبقت الاشارة اليه نسمع أبا زيد يقول : ان لعلّ حرف جر وما بعدها مجرور بها فيتجنب التأويل والتقدير مقدما عليه ما سمعه من العرب حيث ان الجر بلعل لغة بني عقيل[2] ٠ **وذلك لعمري المنهج اللغوى السليم** ٠

وعندما يتنادى جمهور البصريين ألا تعريف للتمييز ويتأولون ما ورد عن العرب في ذلك يخرج عليهم أبو زيد الأنصاري بجواز ذلك لأنه سمع العرب تقول ما فعلت العشرون الدرهم[3] ٠

وهكذا يبتعد عن التأويل والتقدير انطلاقا من مذهبه الذي يقوم على استلهام روح العربيـة وعدم التعلق بأسباب المنطق ٠

وخلاصة القول فيما أسلفنا : ان أبا زيد الأنصاري تمشيا مع نزعته الكوفيـة يبتعـد عـن التقدير والتأويل اللذين امتلأت بهما كتب النحاة البصريين وانه بدلا مـن ذلـك استجاب لطبعـه اللغوى السليم الذي يستلهم روح العربية وينأى عن الأخذ بأسباب المنطـق ، فيتفق بذلـك مع المنهج اللغوى الحديث الذي يحذر الباحث في اللغة من التعلق بالمنطق وبكل ما يعد خارجا عن ميدان البحث في اللغة ، وهكذا تصبح اللغة وسيلة سهلة للتفاهـم وأداة طيعـة للتعبير عـن الأفكار ٠

ويكون أبو زيد في احترامه للمسموع عن العرب وقياسه على ما سمي بالشاذ وبعده عن التأويل والتقدير والتعليل قد خلص النحو من كثير مما لا يحتاج اليه الدارس ، وبذلك كان أبو زيد رائدا في مجال تيسير النحو على الدارسين ، وكانت الدعوات التي خرجت تنادى بتسهيل النحو صدى لما ردده أبو زيد منذ مئات السنين ، وسوف نأتي على هذه المسألة مبرزين جهود صاحبنا في تسهيل النحو عقب الانتهاء من بيان مذهبه في الصرف والنحو ٠

أما الان ، وقد انتهينا من توضيح النزعتين البصرية والكوفيـة فـي اتجاه أبـي زيـد ، آن الأوان لأن نقول : ان ذلك لا يعنى اطلاقا أن يكون أبو زيد في مسلكه هذا في الصرف والنحو قد اقتصر على الأخذ من البصريين والكوفيين دون أن يكون له في ذلك مظاهر استقلال وتجديد ، حيث ان الواقع يشير الى أن لأبي زيد فضل سبق على غيره من علماء عصره البصريين في التحرر مـن العصبية البلدية ، وقد ساعده ذلك على تمكين حرية الراي عنده ، وعلى حرية الحركة بالأخذ عـن الكوفيين وبالتالى الى بروز شخصيته واستقلالها على نحو فريد مكنه من التجديد في نواح كثيرة ٠

---

١) انظر همع الهوامع ٣٣/٢

٢) انظر ارتشاف الضرب ـ ابو حيان /٦٠١

٣) انظر البحر المحيط ـ ابو حيان ١٩٩/١

وخلاصة القول في اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو : **انه ارتكز على أسس ثلاثة :**

أولها : **تحرر** بداه بالخروج على تقليد أهل البصرة بعدم الأخذ عن الكوفيين ٠

ثانيها : **انتخاب من المذهبين** البصري والكوفي على نحو ما أسلفنا ، ومن أجل ذلك اعتبرناه واحدا من المؤسسين الحقيقيين للمدرسة البغدادية ٠

ثالثها : **تجديد** ساعده عليه استقلال شخصيته ٠

مظاهر التجديد في اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو

استلهام روح العربية في تفسير الظواهر اللغوية

اعتمد البصريون على العقل والمنطق في تفسير الظواهر اللغوية ومن أجل ذلك كانوا أقوى سلطانا عليها وأكثر تشددا في تقعيدها ، لكنهم كانوا أبعد عن الطبيعة اللغوية والمنهج اللغوي السليم ، فقد قادهم اقحام المنطق في الدراسة اللغوية الى مزيد من الجدل والمناقشة ثم الى مزيد من الاختلاف على نحو ما امتلأت به كتب النحو عندهم مما أدى الى تعقيد النحو وزهد كثير من الدارسين فيه ٠

وقد وصل بهم الحال بسبب تحكم المنهج العقلي في دراستهم اللغوية الى أن يفضلوا لغة من لغات العرب على غيرها ، فيقدموا لغة تميم مثلا على لغة أهل الحجاز في (ما) وذلك أن الحجازيين يعملون (ما) عمل (ليس) وبني تميم يهملونها ويرفعون جزأي الجملة بعدها فيقولون : ان لغة تميم أقيس لأن (ما) لا تختص بالدخول على الاسم فليس من قياسها أن تكون عاملة فيه [1] ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن تفضيل لغة على أخرى غير مقبول ، ولكن من حقهم تحديد البيئة والصيغة خوفا من الخلط لا على أساس الأفضلية ٠

كما رفضوا بعض الأساليب العربية لأنها لم تتفق مع قواعدهم وقاموا يشرعون أساليب في العربية لم يسمعوها من العرب ٠

وأقول : ان مهمة الباحث اللغوى تنحصر في ملاحظة الظواهر اللغوية ووضعها دون محاولة التدخل فيها ، **لأن للغة منطقا خاصا يختلف عن المنطق العام** ، وقد خرجت اللغة في أحوال كثيرة عن هذا المنطق وكان ذلك أمرا طبيعيا لأن لكل لغة خواصها ٠

وقد أحسن أبو زيد الأنصاري صنعا في اعتماده على حسه اللغوي الذي يستلهم روح العربية في تفسير الظواهر اللغوية فكان بذلك أقرب من غيره الى طبيعة الدراسة اللغوية ٠

فقد أنشد في نوادره قول الشاعر :

أَرَمَّ عَلَيه وَنَأى بكَلكَل

---

١) انظر **احياء النحو** / ٢٩ تاليف الاستاذ ابراهيم مصطفى ، طبعة مصر ١٩٥١م ٠

فعقـب أبو الحسن الأخفش ـ وهو ممـن ينتهج منهج البصريين ـ على البيت بقوله : « يقال آزَمَ عليه وآزِمَ عليه فهذا انما أسكن آزْم استثقالا للكثرة والفتحة لا تستثقل » ·

فابو الحسن هنا يتجه الى العقل والمنطق يسائلهما في سبب اسكان (أزم) فيهتدى الى علة استثقال الكثرة ، في حين نرى أبا زيد عندما يشرح اسكان (أزْم) يقول : « سمعت من يقول وَليحملِنَ أثقالهم أسكن لام القسم والابتداء وهذا النحو وسمعت من بني ضبَّة سرير وسُرُر وبئر جرور وآبآر جُرْر ومن لغتهم صبور وصُبر يكرهون الضمتين »[1] ·

فنلاحظ أن أبا زيد لا يلجأ الى العقل والمنطق لتفسير الظاهرة اللغوية ، ويستعيض عن ذلك باستلهام العربية على النحو المتقدم ، ويتفق في ذلك مع المنهج اللغوي السليم ·

على أن أهم ما يبرز شخصية أبي زيد الاستقلالية انفراده بآراء تميز بها ـ في الصرف والنحو ـ عن غيره من علماء النحو من المدرستين وذلك ما سوف نتناوله فـي الصفحات التاليـة منهين حديثنا عن اتجاهه في الصرف والنحو ·

آراء انفرد بها أبو زيد

ومن مظاهر استقلال أبي زيد أنه كان ينفرد ـ في بعض الأحيان ـ بين النحويين بآراء يتميز بها مما يشير الى حرية تفكيره ، وتجديده في منهجه ·

وعلى الرغم من أن المراجع لم تسعفنا بمزيد من مادة أبي زيد النحوية كما أشرنا سابقا ، الا اننا لم نعدم وجود بعض الأمثلة التي تكشف ـ على قلتها ـ استقلال شخصية صاحبنا ·

وسوف نوردها على الوجه التالي :

١ ـ **زيادة أم** : أم في الأصل حرف عطف نائب عن تكرير الاسم أو الفعل نحو :

أزيد عندك أم عمرو ، فاذا عادل الهمزة وجاء بعده مفرد أو جملة في معنى المفرد سميت أم متصلة ، واذا انخرم هذان الشرطان أو أحدهما سميت منفصلة[2] ·

وقال قوم من النحاة هي (أو) أبدلت الميم مـن الواو لتحول الى معنى ، أي الى غير معنى (أو) ، وهو قولك في الاستفهام أزيد قام أم عمرو ·

وقال آخرون في (أم) معنى العطف وهي استفهام كالألف الا أنها لا تكون في أول الكلام لأن فيها معنى العطف ·

وكان أبو عبيدة يقول (أم) تأتي بمعنى ألف الاستفهام كقوله ـ جلّ ثناؤه ـ « أم تريدون أن تسألوا رسولكم »[3] بمعنى (أتريدون) ·

أما أبو زكريا الفراء فقال : العرب تجعل (بل) مكان (أم) ، و (أم) مكان (بل) ، اذا كان في أول الكلمة استفهام[4] ·

١) **النوادر في اللغة** /٢٤٠
٢) **البحر المحيط** ـ أبو حيان ٤٥/١
٣) **سورة البقرة** /١٠٨
٤) انظر **الصاحبي في فقـه اللغـة** /١٢٦ تاليف أبي الحسين احمد بن فارس ، تحقيق د· مصطفى الشويمي · بيروت ١٩٦٤م / ١٣٨٣هـ ·

وقال الفارسي وتبعه ابن جني ان (أم) لمجرد الاضراب وهي بمعنى (بل) عاطفة ما بعدها على ما قبلها ، واستدل على العطف بما نقل أن بعض العرب قال : ان هنا ابلا أم شاء[١] .

تلك أقوال عامة النحويين في (أم) حصروها في المنفصلة والمتصلة وفي أنها حرف عطف .

وقد انفرد أبو زيد بين النحويين ـ فيما نعلم ـ فذهب الى أن العرب تزيد (أم) واستدل على ذلك بقوله تعالى : « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين »[٢] ومعناه أنا خير .

ومن الشعر بقول الشاعر[٣] :

يا دَهن أم ما كانَ مشيي رقصا   بَلْ قَدْ تكونُ مِشيَتي تَوَقّصا

أراد يا دهن ما كان مشيي رقصا .

وبقول الآخر[٤]

يا لَيتَ شِعرى ولا منجا من الهرمِ   أم هل على العيشِ بعدَ الشيبِ من هرمِ

٢ ـ **النسبة الى الجمع المكسر:** الجمع المكسر اذا كان له مفرد من لفظه تكون النسبة الى مفرده ، أما اذا لم يكن له واحد في لفظه فانه ينسب اليه على لفظه نحو : عباديد وشماطيط ، نقول : عباديدي وشماطيطي .

واذا كان له مفرد شاذ فان سيبويه وجمهور البصريين ينسبون الى مفرده الشاذ نحو : ملاميح نقول في النسبة اليه لمحي ، وقد أجاز أبو زيد في هذه الحالة النسبة الى لفظ الجمع فيقول ملاميحي لأنه سمع العرب قالوا في النسب الى محاسن محاسني[٥] .

٣ ـ **تثنية سواء :** (سواء) اسم أجرى مجرى المصدر فلا يجوز تثنيته ، وقد استغنوا بتثنية (سي) بمعنى سواء فقالوا هما (سيّان) ، وقد أجاز أبو زيد الأنصاري تثنية (سواء) فقال هما (سواءان) سمعها عن بعض العرب[٦] .

٤ ـ **وقرا أبو زيد قوله تعالى :** « فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب »[٧] بفتح الباء في (يعقوب) زاعما أنه في موضع الخفض عطفا على قوله (باسحق)، والمعنى بشرناها (باسحق) ومن وراء اسحق (بيعقوب) مخالفا بذلك جمهور النحويين الذين قالوا : (يعقوب) بالرفع ، والمعنى من وراء اسحق مُبَشَّر به .

وقد عقب الأزهرى على رواية أبي زيد هذه بقوله « وهذا غير جائز عند حذاق النحويين من البصريين والكوفيين »[٨] .

---

١) **الارتشاف** ـ أبو حيان / ١٠٠٧ .
٢) **سورة الزخرف** /٥٢
٣) **لسان العرب** / مادة ام
٤) **همع الهوامع** ـ السيوطي ١٣٤/٢
٥) المرجع السابق ١٩٧/٢ ، وانظر ايضا **الارتشاف** / ٢٥٠
٦) انظر **البحر المحيط** ٤٤/١ ، **والارتشاف** /٢٢١
٧) **سورة هود** /٧١
٨) **لسان العرب** / مادة عقب

أبو زيد وتيسير النحو العربي

ظهور الحاجة الى تيسير النحو

كان عمل علماء اللغة الأول ينحصر في جمع اللغة من أفواه العرب الخلص فجابوا من أجل ذلك البادية وتكبدوا المشاق الكثيرة ٠

ثم كانت الخطوة التالية حيث وقف العلماء أمام ما جمع من اللغة واستنبطوا منه القواعد المختلفة ٠

لكنهم ـ والحق يقال ـ أضاعوا كثيرا من الفائدة المرجوة بتعلقهم بأسباب المنطق وأساليب الجدل الكلامية وتعدد آرائهم النحوية في المسألة الواحدة وتمسك كل فريق باقامة الحجة والبرهان والتعليل لما ذهب اليه على نحو ما امتلأت به كتبهم ٠

تشددوا في جمع الشواهد ووضعوا أصولهم التي ارتضوها بعد استقراء أمثلة من كلام العرب ثم وجدوا أنفسهم أمام شواهد فصيحة كثيرة تخالف قواعدهم ، فماذا يفعلون ؟

لجأوا الى التأويل المتكلف والوصف بالقلة والشذوذ ، وقد كثر ذلك منهم ، فقلّ أن تجد قاعدة من القواعد تخلو من هذا البلاء ٠

وهكذا جهد النحاة في تأويل ما خالف القاعدة من أمثلة أكثر مما جهدوا في مراجعة منطقهم ونظرياتهم ، والخطأ الذي وقعوا فيه أنهم ما كانوا يخلصون الى القاعدة من المادة التي تحت أيديهم، بل انهم يبنون القاعدة على أساس من اعتبارات عقلية أخرى ، **ثم يعمدون الى المادة فيفرضون عليها القاعدة التي يقولون بها**[1] ، **وكان القاعدة هي الأصل والكلام العربي هو الفرع ٠**

يقول النحاة : المبتدأ مرفوع والفاعل مرفوع والمفعول منصوب وليتهم وقفوا عند هذا الحد، اذا لهان الأمر ، ولكنهم يستمرون فيتساءلون لم رفع المبتدأ والفاعل ؟ ولم نصب المفعول ؟ ولِمَ لَمْ يكن العكس مثلا فينصب الفاعل ويرفع المفعول ؟ ويجيبون على كل سؤال فيختلفون ويقدم كل فريق الحجة والدليل ، وينشأ اعتراض جديد واجابة أخرى وتحتدم الحرب الجدلية في غير طائل٠

ويتساءل أحد الباحثين المحدثين[2] عندما يقع على مثل ذلك في كتبهم ـ وما أكثره ـ فيقول : هل كان العربي الأصيل ومن معه من الناطقين الأوائل يرتبون هذه القضايا الجدلية العنيفة قبل أن ينطقوا بالكلمة ؟

ان النظرة الواعية لما يتردد في كتب النحو لتؤكد بأن جميع هذه العلل والتعليلات التي أطلقها النحاة زائفة لا تمت الى العقل والواقع بصلة ما ٠

وهكذا وجدنا النحو العربي مصابا ببعض العلل والآفات التي توالت وتشابكت مع الأيام والتي ولدت معه ساعة تكوينه ونمت وتغلغلت في أعماقه خلال العصور المختلفة ٠

---

١) انظر **دراسات نقدية في النحو العربي** ، المقدمة ٤/١ تاليف الدكتور عبد الرحمن ايوب ، طبعة مصر سنة ١٩٥٧م ٠

٢) انظر **اللغة والنحو بين القديم والحديث** /١٥٢ تاليف عباس حسن ، دار المعارف ١٩٦٦م ٠

وكانت نتيجة ما تقدم شكوى الدارسين من كثير مما امتلأت بــه كتــب النحو مــن الجدل والتعليلات والتأويلات ، وانصراف كثير منهم عن تعب التحصيل ومشقة الاستيعاب ٠

وتنادى المصلحون على مر الزمن بضرورة تخليص النحو مما علق به مــن نظرية العامــل والعلل المتكلفة والتأويلات المملة والجدل العقلي ، والعودة بالنحو الى مقتضى السليقــة والطبيعــة اللغوية ، وذلك كله بقصد تيسيره على الدارسين٠

ويبرز في هذا الخضم **ابن مضاء في كتابه الرد على النحاة** ليعلنها ثورة على أصول النحــاة ونظرياتهم مطالبا بالقضاء على نظرية العامل والعلل الثواني والثوالث ٠
وتتوالى الدعوات باصلاح النحو الى عصرنا هذا ، فقد ازداد ضيق المتعلمين بما حوته كتب النحو من البلبلة والفوضى والآراء المتضاربة والمتعارضة ، وصرفتهم مشاغل العصر الكثيرة عن الوقوف أمام تلك المسائل النحوية المعقدة، فبَعُدَ تناوله وصعبت مباحثه وأصبحت الحاجة ملحة الى تيسير النحو ، وظهرت في هذا العصر محاولات تهدف الى تيسير النحو ، لكنها كانت بداية على الطريق الطويل ، ويستدعينا هذا المقام أن نذكر الصيحة المبكرة في تيسير النحو ، تلك التي أطلقها أبو زيد الأنصاري ٠

جهود أبي زيد في تيسير النحو العربي

أبادر فأقول : لست أزعم أنني أول من تنبه الى جهد أبي زيد في تيسير النحو العربي فقد سبقني الى ذلك الأستاذ الباحث عباس حسن حين أشار بكلام مفاده أن منهج أبي زيد الأنصارى الذي يبيح القياس على القليل من غير سعي وراء الكثير الذي تصادفه يعتبر تيسيرا محمودا يمنــح اللغة قوة وقدرة على مسايرة الحياة المتجددة من غير أن ينالها أذى أو يتسرب اليها ضعف[١] ٠ فكان للأستاذ فضل السبق عليّ ، لكنه على أي حال لم يمس سوى جانــب واحــد مــن جوانب التيسير التي تضمنها منهج أبي زيد النحوى في حين كان لأبي زيد أثر في تيسير النحو في أكثر من مجال ٠

وعلينا الان أن نتبين الجوانب التي طرقها أبو زيد ميسرا فيها النحو على الدارسين ، وسوف نبرزها على الوجه التالى :

١ ــ **الغاء نظرية العامل** : أكثر النحاة من العناية بنظرية العامل وحكّموها في الأساليــب العربية فرفضوا من الأساليب ما يتعارض مع نظريتهم[٢] ، ووضعوا مكانها أساليب لا تعرفها العربية ، وفي ذلك شر خطير أضافوه الى العربية ، في حين كان الأجدر بهم أن يطوعوا قواعدهم لتوافق المنطوق من العربية ٠

وأدت نظرية العامل فيما أدت اليه الى أن يقدر النحوى العامل وفــق مــا يرى وبالتالى يقع الخلاف بين النحويين ويحتج كل نحوى ليدعم رايه ، وتمتلىء الكتب النحوية بالأدلة العقلية مما يزيد الأمر تعقيدا ٠

وأهم ما يعنينا في نقد هذه النظرية كما يقول أحــد الباحثــين[٣] المحدثــين أنهــم جعلوا

---

١) **اللغة والنحو بين القديم والحديث** ــ عباس حسن ٥٧ ، ٨٧ ، ٩٠
٢) انظر **احياء النحو** ــ ابراهيم مصطفى /٣٠
٣) انظر المرجع السابق /٤١

الاعراب حكما لفظيا خالصا يتبع لفظ العامل وأثره ، ولم يروا في علاماته اشارة الى معنى ، ولا أثرا في تصوير الكلام ، أو القاء ظل على صورته ، فقد روي أن الكسائي قرأ في حضرة الرشيد قول الشاعر :

أَمْ كَيفَ ينفعُ ما تعطي العَلوقُ به رئمانَ أَنفٍ اذا ما ضُنَّ باللبن

ففتح نون (رئمانَ) ، وكان الأصمعي حاضرا فقال : هي (رئمانُ) بضم النون ، فأقبل عليه الكسائي وقال له : اسكت ما أنت وهذا ، يجوز رئمانُ ورئمانَ ورئمانِ[1] ·

وهكذا فقد أمده التقدير الى رفع ونصب وجر رئمان دون أن يشير الى ما يجره ذلك من تغيير في المعنى ·

كانت نظرية العامل بما تجر معها من تأويل وتقدير عبئا ثقيلا على الدارسين ، أدت الى تعقيد النحو ، والى صعوبة الخوض في مسائله ، بعد أن فرضت عليهم تفسير كل شيء في اللغة تفسيرا نحويا حتى ما لا يحتاج الى تفسير ·

وأصبحت الحاجة ملحة الى وجوب كسر طوق هذه النظرية التي أرهقت الدارسين وأقضَّت مضاجعهم ·

فكان في خروج أبي زيد الأنصاري على نظرية العامل ومحاولة الافلات من قيدها دعوة مبكرة للتيسير على الدارسين ·

وبرغم أن المراجع لم تقدم لنا مزيدا من مادة أبي زيد النحوية لتنويع الأمثلة ، فان المثالين التاليين يكشفان بوضوح عدم انصياع أبي زيد لنظرية العامل وخروجه عليها ·

ذهب جمهور البصريين الى أن أداة الشرط لها حق الصدارة ، ولأنها عامل ضعيف لا يجوز تقديم أحد معموليها عليها[2] ، وعلى عادتهم في تحكيم نظرية العامل في الأساليب العربية فانهم يتأولون ما ورد مخالفا لها حتى لو كان من الآيات القرآنية ·

وعلى ذلك فقد تأولوا قوله تعالى : « ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين »[3] على الوجه التالي قالوا ، انّ « انْ كنتم صادقين » شرط جوابه محذوف تقديره فأنبئوني يدل عليه أنبئوني السابق ولا يكون أنبئوني هو الجواب »[4] ·

وما أغنانا نحن عن هذا التأويل والمسألة أبسط من كل هذا الذي يزعمون ، ولكن أين تذهب نظرية العامل ؟ وأين يذهب التقدير والتأويل ؟

وأما أبو زيد الأنصاري بما تميز به من تحرر ومن تيسير في النحو العربي فقد خرج على نظرية العامل **وذهب الى أن جواب الشرط هو المتقدم** في نحو هذه المسألة ، وهكذا فلا حاجة الى هذا التقدير وما فيه من تعسف لم تقصد اليه اللغة ، ولم يقصد اليه أصحابها فينبغي اذا أن نحترم ارادتهم ·

---

١) انظر احياء النحو ـ ابراهيم مصطفى /٣٦

٢) الارتشاف ـ أبو حيان /٩٢٧

٣) سورة البقرة /٣١

٤) البحر المحيط ـ أبو حيان ١/١٤٦

ولدى تعرض جمهور البصريين لقوله تعالى : « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين »[١] قالوا انّ انْ شرطية والجواب محذوف التقدير فلم فعلتم ذلك ويكون الشرط وجوابه قد كرر مرتين على سبيل التوكيد ولكن حذف الشرط من الأول وأبقى جوابه وهو فلم تقتلون ، وحذف الجواب من الثاني وأبقى شرطه ٠

أما مذهب أبي زيد القائم على عدم الانصياع لنظرية العامل فقد قال : انّ انْ كنتم شرط والجواب متقدم عليه ، فلا حاجة الى هذه التأويلات التي لم تجر على العربية غير التعقيد والتكلف[٢] ٠

وفي رأينا أن منهج أبي زيد في الخروج على نظرية العامل على نحو ما تقدم أقرب الى طبيعة الدراسة اللغوية الحديثة ، واذا ما طبقنا على أبواب النحو ما سلكه أبو زيد يتحقق لنا ما نبتغيه من تيسير قواعده على الدارسين ٠

٢ ـ **الغاء التعليل** : أوضحت في حديثي عن النزعة الكوفية في اتجاه أبي زيد النحوى بعده عن التعليل[٣] ، وسوف أبين في هذه السطور أثر ذلك المنهج في تيسير النحو العربي على الدارسين ٠

نعلم أن علماء اللغة استقرأوا الكلام العربي ثم وضعوا قواعدهم وذلك في حد ذاته منهج سليم فليتهم توقفوا عنده ولكنهم مضوا متأثرين بالفلسفة وعلم الكلام يبحثون عن تعليل لكل قاعدة من قواعدهم ، لم كانت الضمة علامة الرفع ، والفتحة علامة النصب ، ولم يكن العكس مثلا ؟

ولكن هل كان لذلك أو غيره من المسائل النحوية تعليل سوى أن العرب نطقت به هكذا ، فكيف يجرؤون اذاً على شيء لم تصرح به العرب ؟!

ومن ذلك يتبين لنا أن تعليلاتهم هذه التي امتلأت بها كتبهم لم تجر على العربية سوى الغموض ٠

وأكثر من ذلك أنهم اتخذوا من هذه العلل قيودا أخضعوا لها الكلام العربي الأصيل مما زاد الأمر تعقيدا ٠

ان المنهج اللغوي السليم يقتضينا أن نرفض هذه التعليلات المتكلفة التي امتلأت بها كتب النحاة ، واذا طلب منا تقديم سبب أو تفسير لأي ظاهرة نحوية ، لم يكن أمامنا سوى أن نجيب : هكذا نطقت العرب ٠٠٠ وفي ذلك تيسير على الدارسين ، ومن أجله اعتبرنا أبا زيد الأنصاري رائدا في مجال تيسير النحو العربي لأنه ابتعد عن التعليل والاحتكام الى المنطق في تفسير الظواهر النحوية على نحو ما أشرنا سابقا واستعاض عن ذلك بحسه اللغوى الذي يستلهم روح العربية ويحتكم الى الاستعمال وكلام العرب يتجلى ذلك في تحليله (لات) في قولهم (لات حين مناص) ، فتراه يستلهم الحس اللغوى في تركيبها ويقيسها على نظائرها، ويستشهد بالشعر وبكلام العرب، فهو حين يقول بالتركيب لا يقوله لمجرد التفلسف وانما يقوله بوحي من العربية ، استمع اليه يقول : التاء فيها صلة والعرب تصل هذه التاء في كلامها وتنزعها وأنشد :

---

١) سورة البقرة /٩١

٢) انظر البحر المحيط ـ أبو حيان ٣٠٨/١

٣) انظر البحث /١١٢ وما بعدها ٠

طَلَبوا صُلحَنا ولاتَ أَوان فأَجَبنا أَنْ لَيس حينَ بَقَاءُ

قال : والأصل فيها (لا) والمعنى فيها (ليس) والعرب تقول : ما أستطيع وما أسطيع ، ويقولون : ثُمَّتَ في موضع ثم و رُبَّتَ في موضع رب ويا ويلتنا ويا ويلنا[1] ٠

فأبو زيد كما ترى يستشهد بكلام العرب : العرب تصل ٠٠٠ والعرب تقول ٠٠٠ ويقولون ٠٠٠ ولا تجد أثرا لتعليل منطقي ، فالكلام سهل ميسور لا تعقيد فيه ولا اختلاف ، لأنه يستند الى طبيعة اللغة ٠٠٠ **وهذا هو المنهج اللغوي السليم ، وهو ما ينادى بتطبيقه علماء اللغة المحدثون ، ودعاة اصلاح النحو العربي وتيسيره ٠**

وقد مرّ معنا[2] انشاد أبي زيد لقول رجل من بني عقيل :

أَلمْ تَعلَمي ما ظِلتُ بالقومِ واقِفاً على طَلَل أَضحَتْ معارفُه قَفرا

وتعقيب أبي زيد عليه بقوله : « كسروا الظاء في انشادهم وليس من لغتهم »[3] ٠

ولا شك أن قول أبي زيد هذا جاء نتيجة تتبع اللفظة في لغة بني عقيل دون تأثر بالمنهج العقلي ٠

لكن سيبويه في تعرضه لمادة (ظِلتُ) ينهج منهجا عقليا في تعليل كسر الظاء فيقول : « أما ظِلتُ فأصله ظَلِلتُ الا أنهم حذفوا فالقوا الحركة على الفاء كما قالوا خفت ، وهذا النحو شاذ »[4] ٠

وفي رأينا أن اتجاه أبي زيد القائم على البعد عن التعليل ، يعتبر تيسيرا محمودا على الدارسين ، ولكن مما يؤسف له أن منهج أبي زيد هذا وصيحته تلك لم يجدا أذنا صاغية بين البصريين من أهل زمانه حيث شغفوا بكتاب سيبويه وما امتلأ به من تعليل منطقي وجدل عقلي حتى قال قائلهم : « من أراد أن يصنف كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي »[5] ٠

٣ ـ **القياس على الشاذ** : أشرت في حديث سابق[6] الى أن مذهب أبي زيد النحوى قام على تطبيق القياس على الشاذ والأخذ به ، وسوف نرى الآن أثر ذلك المنهج في تيسير النحو العربي على الدارسين ٠

من المعروف أن البصريين بنوا قواعدهم على أساس الكثرة الغالبة في كلام العرب، وقد بالغوا في احترام هذه القواعد ، فكانوا اذا سمعوا مثالا مخالفا لقاعدة من قواعدهم تأولوه والا رموه بالشذوذ وتوقفوا عن القياس عليه ٠

---

١) **لسان العرب / لات**
٢) انظر البحث /٣١ ٠
٣) **لسان العرب /ظلل**
٤) **لسان العرب /ظلل**
٥) **معجم الادباء ١٢٣/٧**
٦) انظر البحث /١١٠ وما بعدها ٠

وربما كان هذا المثال الذي رموه بالشذوذ يمثل قراءة قرآنية أو لغة من لغات العرب . ومن أجل ذلك فقد جاءت قواعدهم قاصرة مضطربة لأنها لا تمثل كلام العرب ·

وهكذا ففي منهجهم القائم على عدم القياس على الشاذ **اعنات وتضييق** لأنهم لم يحصوا كلام العرب ، وقد مر معنا[١] قولة أبي عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله. ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم كثير » ·

ومن أجل ما تقدم كان في اتجاه أبي زيد القائم على القياس على ما سمي بالشاذ تيسير للنحو على الدارسين لأنه منهج يقبل بالقليل ويريح النفس من مشقة السعي وراء الكثير ، وذلك يتفق مع روح العصر الذي نعيش فيه ، حيث كثرت المشاغل ، وأصبح من الصعب الوقوف طويلا أمام المسألة الواحدة ·

كما أنه منهج يحترم المسموع من كلام العرب ولا يهدر شيئا منه ·

وفوق هذا وذاك فان في هذا المنهج تنمية لموارد اللغة ، وتطويرا لها ، حيث يمنحها القوة والقدرة على مسايرة الحياة بمستحدثاتها العلمية والحضارية ويمنعها من التوقف والجمود ·

وبعد ، تلك مجهودات أبي زيد في ميدان الصرف والنحو ، تبقى شاهدة له بالفضل على مر الأيام ، **لا ينال منها أن تخطئاه بعض أصحاب الطبقات فلم يذكروه في طبقات النحويين** ·

---

١) انظر البحث /١٠٥ ·

أبو زيد والثروة اللفظية

- اتجاهه في الثروة اللفظية : النزعة البصرية ـ النزعة الكوفية ـ مظاهر الاستقلال في اتجاه أبي زيد ٠

- جهود أبي زيد في الثروة اللفظية : أبو زيد ودلالة الألفاظ ـ أبو زيد والمعاجم اللغوية ـ أبو زيد والنوادر ٠

اتجاهه في الثروة اللفظية

الثروة اللفظية كما سنتناولها في هذا الفصل نعني بها الألفاظ من حيث دلالتها واستعمالها ٠

وسوف نتناول بالحديث في هذا الفصل المعجم العربي وجهود أبي زيد في نشأته ، وقد يشمل حديثنا عن الثروة اللفظية بعض أمثلة صوتية توضح منهج أبي زيد في هذه الدراسة ٠

وقد أوضحت في الفصل السابق في حديثي عن اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو أنه كان من المؤسسين الحقيقيين للمدرسة البغدادية ، بمعنى أن مذهبه منتخب من البصريين والكوفيين بالاضافة الى بعض مظاهر الاستقلال ٠

وعند النظر في موقف أبي زيد من الثروة اللفظية وجدناه ينتهج المنهج نفسه فتبرز نزعته البصرية في بعض الجوانب كما تظهر نزعته الكوفية في جوانب أخرى ، في وقت يبقى معه محافظا على شخصيته المتميزة ومظاهر استقلاله على نحو ما سنوضح ٠

وسوف نعرض بعض الأمثلة التي توضح ما ذهبت اليه وتبرز اتجاه أبي زيد في الثروة اللفظية على النحو التالى :

النزعة البصرية في اتجاه ابي زيد

التقعيد

اتجهت المدرسة البصرية الى الضبط والتقعيد تطبيقا لمنهجها العقلى المتاثر بالفلسفة وعلم الكلام ، فقد حرص البصريون على تنظيم اللغة واحكام سلطانها عليها ، وظهرت هذه النزعة البصرية في اتجاه أبي زيد ، وسوف اجتزىء الأمثلة التالية لتوضيح ما ذهبت اليه :

١ ــ وضع أبو زيد قاعدة تبين نطق صوت الهمزة في التحقيق وذلك بأن نضع العين مكانها

عند النطق[١] ، وساق بعض الأمثلة لتوضيح القاعدة ، قال : « فالتحقيق أن تعطي الهمزة حقها من الاشباع فاذا أردت أن تعرف اشباع الهمزة تجعل العين في موضعها كقولك من الخبء قد خبأت لك خبعت لك وقرأت بوزن قرعت فأنا أخبع وأقرع »[٢] .

٢ ـ ووضع قاعدة أخرى لبيان كيفية تخفيف الهمزة اذا تبعت حرفا ساكنا وذلك بأن نلقي الهمزة ونحرك بحركتها الحرف الساكن قبلها كما في قولنا يلؤُم ويزئر بعد التخفيف يَلُمُ ويَزِرُ ، قال أبو زيد[٣] : « كل همزة تبعت حرفا ساكنا عدلتها الى التخفيف فانك تلقيها وتحرك بحركتها الحرف الساكن قبلها »كقولك : « الرجل يلؤْمُ والأسد يزْئِر . فاذا أردت التخفيف قلت الرجل يَلِمُ والأسد يَزِرُ » .

٣ ـ ووضع قاعدة أخرى لبيان نطق اللفظة « فَلُوّ » عند فتح الفاء وكسرها : قال أبو زيد: « اذا فتحت الفاء شددت واذا كسرت خففت فقلت فِلو مثل جِرْو »[٤] .

٤ ـ ويضع قوانين تبين استعمال بعض الألفاظ كما في لفظتي (حَظوَة) و (شَلِيَّة) فيقصر استعمال الأولى فيما بين الرجال والنساء ، ويقصر استعمال اللفظة الثانية في المال فيقول: « يقال انه لذو حَظوة فيهن وعندهن ولا يقال ذلك الا فيما بين الرجال والنساء »[٥] .

وفي لفظة (شَلِية) يقول : « ذهبت ماشية فلان وبقيت له شليّة وجمعها شلايا ولا يقال الا في المال »[٦] .

٥ ـ ولا يقتصر أبو زيد على وضع القواعد في الأصوات العربية أو في استعمال بعض الألفاظ وانما يتعدى ذلك ليضع القوانين التي تبين أوجه التعبير في الكلام كان يقول : « يقال ما سليت أن أقول ذلك ، ولا يقال سليت أن أقوله الا في معنى ما سليت أن أقوله »[٧] .

أو أن يقول[٨] : « يقال ما عند فلان صِرّيٌّ أي ما عنده درهم ولا دينار ولا يقال عنده صِرّيّ ولا له صرّيّ الا أن يقال ما له صرّيٌّ لا يكون في غير الدرهم والدينار .

فيبين كما ترى وجه الكلام في التعبير لأن أساليب اللغة متعددة وطرق التعبير فيها لا تكاد تقع تحت حصر .

وذلك على أي حال يشير الى أن أبا زيد كان يرقب الاستعمال ويتتبع العرب في تعبيراتهم فيسجلها على شكل قواعد وقوانين .

وقد قاده ذلك التتبع الى أن يروى في نوادره بعض نوادر التعبير ويشرحها ـ كان يقول:[٩] « اتينا الأمير فكسانا كلنا حلّة وأعطانا كلنا مائة معناه كسا كل واحد منا حلّة وأعطى كل واحد منا مائة » .

---

١) وجدير بالذكر هنا ان أبا زيد قد جاوز الصواب بجعله الهمزة من موضع العين لاختلاف مخرجيهما .
٣،٢) لسان العرب ١٩/١
٤) المرجع السابق / فلا
٦،٥) المرجع السابق/حظا ، شلا
٧) لسان العرب /سلا
٨) النوادر في اللغة/٢٢١ .
٩) المرجع السابق / ٢٢١ ، ٢٢٢

تخطئة العرب

احتـرم البصريون أصولهـم وعمـدوا الى تخطئة العربي اذا خالف هذه الأصول وقد غلبت تلك النزعة البصرية على أبي زيد الأنصاري ، فرأيناه ينتقد العربي في كلامه ويحاول تصويبه ، واليك بعض الأمثلة على ذلك :

أنشد أبو زيد البيتين التاليين لعباس بن مرداس :

فلَمْ أرَ مِثلَ الحيِّ حيًّا مصبَّحا ولا مِثلَنا يومَ التقينا فَوارِسا
أكرَّ وأحمَى للحقيقــة منهمُ وأضرَبَ منـا بالسُّيوف القَوانسا

ثم علّق عليهما فقال : « لا يقال ما رأيت أضرب منك زيدا انما هو ما رأيت أضرب منك لزيد »[١] ٠

ومعنى ذلك أن الشاعر كان مخطئا في نظر أبي زيد ، لذلك رأيناه يحاول أن يبين وجه الكلام في التعبير ٠

وانشد أبو زيد قول بعض بني نهشل :

وكـونـي بـالمكـارِمِ ذكّريـنـــي ودَلّـي دَلَّ مـاجِدَةَ صَنَـاع

وقال في شرحه : « والمعنى وصيري مذكرة لى بالمكارم وتقديره في العربية رديء ، لو قلت يا فلان كن بفلان بشرني لم يجز »[٢] ٠

فأبو زيد كما رأيناه يرفض بعض الأساليب العربيـة ، ويقدّم الأصول النحويـة على قول العربي ، ويحكم من خلالها بتخطئته في حين كان المفروض أن يكون العكس هو الصحيح بحيـث نحترم ما ينطق به العربي ولو أدّى ذلك الى تعديل القواعد التي وضعت ، لكنها النزعة البصرية التي سيطرت على أبي زيد فأبعدته عن المنهج اللغوى السليم ٠

النزعة الكوفية في اتجاه أبي زيد

القياس على القليل

كان البصريون أكثر اتباعا لأصولهم التي ارتضوها ، فاذا سمعوا مثالا من العرب مخالفا لتلك الأصول حاولوا تأويله ، والا نعتوه بالشذوذ وتوقفوا عـن القياس عليــه ، أمـا الكوفيون فكانوا أقل تمسكا بقواعدهم وأكثر تقديرا لما يسمعون عن العرب ، فاذا سمعوا مثالا مخالفـا لقواعدهم قبلوه وقاسوا عليه ، فكانوا في مذهبهم يقيسون على القليل ٠

وقد تغلبت هذه النزعة الكوفية على أبي زيد فكان في منهجه يقيس على القليل ، واليك بعض الأمثلة :

١) النوادر في اللغة/٥٩
٢) المرجع السابق/٣٠

سمع أبو زيد من العرب من يقول قريت في قرأت فاذا أراد أن يقول منه يفعل قال يقرأ ، وهذا شاذ لأن القياس يوجب أن يقول يقرى لكن أبا زيد قاس ذلك فقال في مكان آخر : دنا يدنا[١] .

كما روى أبو زيد عن العرب قولهم : خطائيء ودرائيء جمع خطيئة ودريئة . وقد خالفت هذه الرواية قاعدة البصريين في جمع هذه الصيغة ، فبيّن أبو عثمان المازني في شرح طويل جمع خطيئة على خطايا ذاكرا المراحل التي تمر بها الكلمة وما يستتبعها من قلب وابدال .

وكأن هذا الشرح اعتبر ناقصا في نظر ابن جني فبيّن أنه يحتاج الى تتبع وخالفه فيما ذهب اليه ، وأضاف شيئا غيره . ثم عقب ابن سيده وقال : « ان ما حكاه أبو زيد من قولهم دريئة ودرائيء وخطيئة وخطائيء شاذ لا يقاس عليه »[٢] .

أما أبو زيد الأنصاري فقد خالف البصريين واعتبر ذلك مقيسا فجمع جريئة على جرائيء جريا على مذهبه في القياس على القليل[٣] .

البعد عن التفلسف

لم يقبل الكوفيون على التفلسف في تفسير الظواهر اللغوية ، فكان منهجهم أقرب الى الطبيعة اللغوية ، وظهرت تلك النزعة الكوفية في مذهب أبي زيد فكان اذا أراد دليلا لما ذهب اليه لا يتلمسه في المنطق أو في علل النحاة بل يستمده من اللغة يُسائلها ويهتدى بهديها :

ذهب أبو زيد الى أن مضارع (خلف) مضموم العين ، وأراد دليلا لما ارتآه فلم يلجأ الى التعليل ، ولكنه أخذ الدليل من كلام العرب قال : « وشاهد الضم في مستقبل فعله (يعني خلف) قول الشماخ[٤] :

تُصيبهُم وتُخطينا المنَايا وأَخلُفُ في ربوع عن ربوع

وخالف أبو زيد سيبويه فيما ذهب اليه من أن مصدر الفعل (عزّى) (تعزية) على الحذف والعوض ، ولا يجوز غير ذلك ، فقال أبو زيد بجوار الاتمام دون أن يلجأ الى التعليل لرأيه على مذهب النحاة المتسلّحين بالأدلة العقلية ، ولكنه استمدّ الشاهد من الكلام العربي ، فكان دليله انتشار ظاهرة الاتمام بين العرب على نطاق واسع ، لأجل ذلك لم يزد في رده على أن قال : الاتمام أكثر في **لسان العرب**[٥] .

مظاهر الاستقلال في اتجاه أبي زيد

الاستشهاد بالحديث الشريف

توقف علماء اللغة من البصريين والكوفيين على السواء عن الاستشهاد بالحديث الشريف بحجة أن الحديث تجوز روايته بالمعنى وأنه لم يثبت نقل ألفاظه عن النبي عليه السلام ، وقد

---

١) **لسان العرب** / دنا

٢) انظر **المنصف** ـ ابن جني ٢/٥٧ ، و**لسان العرب** / أسم .

٣) **لسان العرب** /جرأ

٤) **لسان العرب** /خلف

٥) المرجع السابق / عزا

تصرف الرواة في ألفاظ الحديث بعد احتفاظهم بمعانيها والدليل على ذلك وجود أحاديث تختلف ألفاظها اختلافا كبيرا ومن هذه الألفاظ ما يكون جاريا على المعروف في كلام العرب ومنها ما يكون مخالفا .

ثم كان اشتغال عدد كبير من الأعاجم في رواية الأحاديث سببا آخر جعل علماء اللغة يتوقفون عن الاستشهاد بالحديث الشريف[١] .

أما أبو زيد الأنصاري فقد خالف علماء اللغة من المدرستين واستشهد بالحديث الشريف، فكان ذلك من أبرز مظاهر استقلال شخصيته .

ونكتفي بأن نسوق بعض الأمثلة التالية التي استشهد فيها أبو زيد بالحديث النبوي الشريف :

في شرح أبي زيد لمادة يتفيهق قال : « هو يتفيهق في كلامه ويتفيحق اذا كان متشدقا متعملا للفصاحة ، وفي الحديث الشريف : ان أبغضكم اليّ الثرثارون المتشدقون المتفيهقون »[٢] .

فأبو زيد هنا يشرح المادة اللغوية ثم يستشهد على صحة ما ذهب اليه بحديث الرسول عليه السلام .

واستشهد أبو زيد بالحديث الشريف في تعرضه لمادة فظع فقال : « فظعت للأمر فظاعة اذا هالك وغلبك فلم تثق بأن تطيقهم ، وفي الحديث : « لما أسرى بي وأصبحت بمكة فظعت بأمري» أي اشتد عليّ وهبته »[٣] .

وأنشد أبو زيد في نوادره قول الخطيئة :

نَدمتُ نَدامةَ الكُسَعيّ لمـا شَرَيتُ رِضا بني سَهم برَغمي

وقال في شرحه : « شريت ها هنا في معنى اشتريت ويكون له معنيان وكذلك بِعت وابتعت ويدخل فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم : لا يبع حاضر لباد »[٤] .

واستشهد أبو زيد بالحديث الشريف في شرحه لمادة فأل حيث قال :

« تفاءلت تفاؤلا وذلك أن تسمع الانسان وأنت تريد الحاجة يدعو سعيد يا أفلح أو يدعو باسم قبيح والاسم الفأل ، مهموز ، وفي نوادر الأعراب : يقال لا فأل عليك بمعنى لا ضير عليك ولا طير عليك ولا شر عليك ، وفي الحديث عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح »[٥] .

---

١) انظر مدرسة البصرة النحوية / ٢٥٦ تاليف الدكتور عبد الرحمن السيد ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م .
٢) الابدال ١/٣١٥ تاليف ابي الطيب اللغوى تحقيق عزالدين التنوخي ، طبعة دمشق ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .
٣) لسان العرب / فظع
٤) النوادر في اللغة / ٣٣
٥) لسان العرب / فأل

وفي توضيحه لمعنى الوليمة قال أبو زيد مستشهدا بالحديث الشريف : « يسمى الطعام الذي يصنع عند العرس الوليمة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف وقد جمع اليه أهله : « أولم ولو بشاة » أي اصنع وليمة »[١] .

ونتوقف عن سرد المسائل اللغوية المختلفة التي استشهد أبو زيد بالحديث الشريف عليها ـ مع أنه أمامنا الكثير منها ـ لنقول : ان أبا زيد لم يتوقف عند حد الاستشهاد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم **وانما تعدى ذلك فاستشهد بكلام بعض الصحابة رضوان الله عليهم** .

فقد استشهد بكلام **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه في تعرضه لشرح مادة (عرض) حيث وردت في قول عمر[٢] . ما لكم اذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس أن لا تعرّبوا عليه ، فيبيّن أبو زيد أن قوله : « لا تعرّبوا عليه معناه لا تفسدوا عليه كلامه وتقبحوه »[٣] .

كما استشهد في مكان آخر بكلام **علي كرم الله وجهه**[٤] .

ومما لا شك فيه أن في الاستفادة من أساليب أمثال هذين الصحابيين منفعة للعربية ، **فقد كانت خطب الامام علي كرم الله وجهه قمة في البلاغة وحسن البيان ، فلا يجوز والحالة هذه اهدار كلامه وعدم الانتفاع به** .

ونعود لنسجل رأينا في توقف علماء النحوواللغة من المدرستين عن الاستشهاد بالحديث الشريف فنقول : ان علماء النحو واللغة قد جاوزهم الصواب في دعواهم السابقة الذكر فان هناك من الأحاديث ما هو ثابت مقطوع بنسبته الى النبي عليه السلام كجوامع كلمه وكالأحاديث التي وردت في التعبد والأحاديث التي اتفق رواتها على ألفاظها ، ومع ذلك لم يستشهد بها النحاة الا ما جاء نادرا لا يقوى دليلا على استشهادهم بالحديث .

وأما دعواهم بأن بعض الرواة من الأعاجم لا تنهض دليلا على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف لأن معرفة هؤلاء الرواة سهلة ميسورة فقد حظي علم الحديث بعناية فائقة ، ووضعت شروط للرواية والرواة ، فمن اليسير اذاً التعرف على أحوال الرواة وقبول ما جاء عن طريق رواة من العرب وترك ما عدا ذلك ، مع العلم بأن بعض من يرجعون الى أصول غير عربية كانوا حجة في اللغة كسيبويه وأمثاله[٥] .

بل ان بعض المشتغلين بالحديث الشريف مشهود لهم بالفصاحة وقوة البيان فحماد بن سلمة يقول عنه يونس بن حبيب عندما سئل عنه أيكما أسن أنت أو حماد ؟ هو أسن مني ومنه تعلمت العربية[٦] .

وبعد ، يجدر بنا الان أن ننوه الى أن لأبي زيد فضل السبق على غيره من علماء اللغة والنحو الذين استشهدوا بالحديث الشريف أمثال ابن مالك وابن حزم .

---

١) **لسان العرب** / ولم
٢) **لسان العرب** / عرب
٣) انظر ايضا البحث/١٣٥
٤) **لسان العرب** / ضرط
٥) انظر **مدرسة البصرة النحوية** ـ الدكتور عبد الرحمن السيد / ٢٥٧
٦) **أخبار النحويين البصريين** ـ أبو سعيد السيرافي /٣٤

وقد كان هذا المسلك من هؤلاء الرجال واضرابهم بداية الطريق العلمي للأخذ بمبدأ الاستشهاد بالحديث ، واستمر الأمر على ذلك حتى وصل الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي رأى جواز الاحتجاج بالحديث الشريف في أحوال خاصة [١] .

استلهام العربية في تفسير المادة اللغوية

أقام أبو زيد في منهجه في الثروة اللفظية وزنا كبيرا لحسه اللغوى الذي يستوحي العربية ويحتكم اليها في تفسيره للمادة اللغوية فلم يعمد الى الاستعانة بحجج الفلاسفة أو علماء الكلام لكنه بدلا من ذلك استلهم اللغة بأن رصد المادة اللغوية وتتبعها في استعمالاتها المختلفة في الشعر والنثر على حد سواء ، **فقد انشد قول خداش بن زهير العامرى** :

كَذَبتَ عَلَيكُمْ أوعدوني وعَلّلوا بي الأرْضَ والأقوامَ قَردانِ مَوْظبا

وأراد شرح مادة (كذبت عليكم) فقال في ذلك : « معنى كذبت عليكم أي عليكم بي وتجيء كذب زائدة في الحديث والشعر ، قال عمر : كذب عليكم الحج فرفع « الحج » بكذب والمعنى عليكم الحج أي حجوا . وقال : نظر أعرابي الى فلان يعلف بعيرا فقال : كذب عليكم البزر والنوى ، وفي الحديث ثلاثة أسفار كذبن عليكم »[٢] .

فأبو زيد هنا قد رصد استعمال المادة اللغوية (كذب عليكم) وتتبعها **في حديث رسول الله** عليه السلام ، **وفي كلام عمر** رضى الله عنه ، **وفي كلام الأعرابي** ، **وفي الشعر** ، قبل أن يخلص الى المعنى الذي ذهب اليه ، وتلك دقة متناهية كثيرا ما وقعنا عليها في منهج أبي زيد وهي تبرز على أي حال مدى ما تمتع به الرجل من حس لغوى سليم ومنهج قويم يعتمد على استلهام اللغة والرجوع اليها وحدها في كل مسألة ، **كما تبين أن أبا زيد كان يعتمد على الشعر والنثر معا في منهجه اللغوي في أحيان كثيرة** .

وقد قاده هذا المنهج الى أن يركز كثيرا على ظاهرة الاستعمال في اللغة وأن يجعل لها المقام الأول في مذهبه ، فيتَردّد عنده عبارات تدل على رصده للمادة اللغوية مثل قوله : **وهو فاش في كلام العرب ... الاتمام اكثر في لسان العرب ... أكثر في الاستعمال** .

وقد سجل أبو زيد رصده للاستعمال في كثير من المفردات التي تعرض لها ومثال ذلك قوله : « وسمعت بعض بني فزارة يقول : هما كسايان وخبايان وفضايان فيحول الواو الى الياء. قال : « والواو في هذه الحروف أكثر في الكلام »[٣] .

وجدير بالذكر أن ظهور الواو في هذه الحروف أخف من ظهور الياء ومن هنا جاء كثرتها في الاستعمال ، وتشير عبارة أبي زيد الأخيرة الى تتبعه استعمال هذه الألفاظ ودورانها على الألسن والأسماع .

ولقد كان لهذا المنهج ـ منهج الاعتماد على المسموع ـ أثر في تطوير اللغة واثرائها ، ومن آثار ذلك فيما لحظه أبو زيد ورواه لنا الأمثلة الآتية :

---

١) انظر مجلة مجمع اللغة ٧/٤ .
٢) النوادر في اللغة / ١٧ ، ١٨
٣) لسان العرب ١٩/١

١ ـ **حذف بعض حروف الكلمة** : أدّى كثرة الاستعمال الى حذف بعض حروف الكلمات مما لا يجوز حذفه في مذهب البصريين فعدّوه شاذا ، ولكن أبا زيد أجاز ذلك واعتد به ، فقد روى حذف الف (ما) الموصولة في لغة كثير من العرب لكثرة استعمالهم لها ، جاء في **الارتشاف** [١] : « وزعم أبو زيد أن كثيرا من العرب تقول سل عن مَ شئت حذفوا الفهـا وهـي موصولـة لكثرة الاستعمال » .

٢ ـ **اسكان ما حقـه الحركة من الحروف** : كما أدى دوران الكلمة على الألسن والأسماع الى اسكان بعض الحروف مما كان حقه التحريك ، كما في كلمة الرّدَغَة ، فهي مفتوحة الدال ولكن ورودها في مَثَل كثر استعماله أدى الى تسكينها ، روى أبو زيد قال : « هـي الرّدَغَة وقد جاء رَدْغَة وفي مثل من المُعاياة قالوا : ضَأْن بذي تُناتِضَةَ يقطعُ رَدْغَةَ المـاءِ بِعَنَق وَارْخاء ، يسكنون دال الرّدغة في هذه وحدها ولا يسكنونها في غيرها » [٢] .

ومعلوم أن الفتحـة أخـف الحركـات فلا تستثقل ولكنهم هنا مالوا الى التخفيف بتسكين دال الكلمة استثقالا للكثرة .

٣ ـ **تحريك ما حقه الاسكان من الحروف** : ولئن أدى كثرة الاستعمال الى تسكين ما حقـه التحريك من الحروف فقد أدى في الجانب الآخر الى تحريك ما حقه التسكين ، روى أبو زيد في قولهم : العِفَوَةُ آفتاءُ الحُمُرْ ، قال : ولا أعلم في جميع كلام العرب واواً متحركة بعد حرف متحرك في آخر البناء غير واو عِفَوَة ، قال : هي لغة لقيس » [٣] .

والواو المتحركة اذا وقعت بعد متحرك تقلب ألفا ، ولكن الذي سوّغ تحريكها وبقاءها في هذه الحالة أنها كثيرة الاستعمال لأنها لغة لقبيلة ، ثم ان الفتحة حركة خفيفة في النطق .

وروى أبو زيد عن الكلابيين أجمعين قولهم : « هذا من لَدُنِهِ ضموا الدال وفتحوا اللام وكسروا النون » [٤] . وكان المنتظر أن يقال مِنلَدُنهِ أو من لَدْنِهِ ، ولكن كثرة استعمـال الكلمة ودورانها على لسان الكلابيين أدى الى تحريكها .

٤ ـ **حذف التنوين وجعل الكلمتين كالكلمة الواحدة** : ويرى أبو زيد من آثار الاستعمال حذف التنوين ونطق الكلمتين كالكلمة الواحدة كما في قولهم : مررت بزيدِ اللّانَ ، فقد كسروا الدال وأدغموا التنوين في اللام وثقلوها وقد فعلوا ذلك لأجل الاقتصاد في المجهود والتخفيف على أعضاء النطق ، قال أبو زيد : سمعت العرب تقول مررت بزيدِ اللّانَ ثقل اللام وكسر الدال وأدغم التنوين في اللام » [٥] .

٥ ـ **تعاقب بعض الأصوات** : وأدى كثرة الاستعمال الى تعاقب بعض الأصوات كما حدث لصوتي الهاء والقاف فيما نقله أبو زيد حين قال : « يقال للرجل اذا حدّث بحديث ثم عدل عنه قبل أن يفرغ منه : خذ على هِدْيتك وقِدْيتك أي خذ فيما كنت فيه ولا تعدل عنه » [٦] .

ومعلوم أن القاف لهوية والهاء حنجرية تجاورتا مخرجا مما سوّغ تعاقبهما .

---

١) /٨٦

٢) **لسان العرب** /ردغ

٣) المرجع السابق/عفا

٤) المرجع السابق / لدن

٥) المرجع السابق/أين

٦) المرجع السابق / هدى

وهكذا أدى تركيز أبي زيد على رصد المادة اللغوية وتتبعها وعنايته بالاستعمال في مذهبه في الثروة اللفظية الى أن يبين الاستعمالات المختلفة للمادة اللغوية ، استمع اليه وهو يتعرض لمادة دعع حيث قال : « دعدعت بالصبي دعدعة اذا عثر فقلت له دعدع أي ارتفع ، ودعدع بالمعز دعدعة : زجرها ، ودعدع بها دعدعة : دعاها ، وقيل الدعدعة بالغنم الصغار خاصة وهو أن تقول لها داعداع ، وان شئت كسرت ونوّنت ، والدعدعة : قصر الخطو في المشي مع عجل ، والدعدعة عدو في التواء وبطء وأنشد :

أَسعى على كُلِّ قَوْمٍ كانَ سَعيُهُمُ وسط العشيرةِ سعياً غيرَ دَعداع

أي غير بطيء[1] .

كما أدى هذا التركيز من أبي زيد في رصد المادة اللغوية وتتبعها الى **لفت انتباهه الى ظاهرة النوادر في اللغة واشتهاره بها** ، فما اللفظة الفصيحة الا الكثيرة الدوران على ألسنة العرب ، وعليه فاللفظة النادرة هي ما قل استعمالها عندهم . وسوف نوفي هذه المسألة حقها من التوضيح عند الحديث عن جهود أبي زيد في ميدان الثروة اللفظية .

الاعتدال بين النزعة السلفية والنزعة التحررية في تفسير المادة اللغوية

ومن مظاهر استقلال أبي زيد في مذهبه في الثروة اللفظية أنه لم يكن من المتزمتين الذين يكتفون بترديد ما يقوله السلف ، كما لم يكن من المتحررين المتطرفين الذين يعادون ما جاء به السلف ، ويطلقون العنان لتفكيرهم وآرائهم ، فقد اتخذ في تفسيره للمادة اللغوية موقفا معتدلا بين النزعة السلفية والنزعة التحررية .

أما مظاهر النزعة السلفية في مذهب أبي زيد فقد جاءت في احتفائه بالرواية وتوسعه فيها وقد تعرض من أجل ذلك لانتقاد تلميذه الجاحظ المعتزلي على نحو ما مرّ معنا في اتجاهه المذهبي[2] ، ومعلوم أن المعتزلة يغضون من شأن الرواية لأنها في رأيهم تقيد العقل وتمنعه من التحرر .

وقد وقعت على آراء لأبي زيد برزت فيها نزعته السلفية ، ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى : « وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون »[3] حيث ذهب الى أن (أو) جاءت بمعنى الواو وبذلك يصبح معنى الآية وأرسلناه الى مائة ألف ويزيدون ، في حين فسرها بعض اللغويين بمعنى (بل)[4] .

وقد تبع أبا زيد فيما ذهب اليه ابن قتيبة المعروف بتحمسه لمذهب أهل السنة ودفاعه عنه ورده على المعتزلة ، حيث أشار الى أن (أو) بمعنى (الواو) رافضا أن تكون بمعنى (بل) خشية من ايهام الغلط في كتاب الله تعالى ، قال ابن قتيبة[5] : « وأما قولهم : وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ، فان بعضهم يذهب الى أنها بمعنى (بل يزيدون) على مذهب التدارك لكلام

---

١) **لسان العرب** / دعع

٢) انظر ص ٤٤ ، ٤٥ من البحث .

٣) **سورة الصافات**/١٤٧

٤) انظر **لسان العرب** / اوا

٥) انظر **تاويل مشكل القرآن** ـ ابن قتيبة / ٤١٤

غلطت فيه ، وكذلك قوله[١] : « وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب » وقوله[٢] : « فكان قاب قوسين أو أدنى » وليس هذا كما تأولوا وانما هو بمعنى الواو في جميع هذه المواضع » ٠

لكن ذلك لا يعني اطلاقا أن أبا زيد في مذهبه اللغوى كان يسير وفق نزعته السلفية لايحيد عنها ، فقد كانت له شخصيته المستقلة التي جعلته سلفيا متحررا ، وكان ذلك من مظاهر استقلاله ٠

وآية ما ذهبنا اليه اتخاذه مواقف لا يرضى عنها أهل السنة كقوله بالزيادة في القرآن[٣] ٠ لكن أبا زيد تجاوب فيما ذهب اليه مع الأساليب العربية واستشهد بها فما القرآن الا اسلوب عربي فصيح ، واليك البيان :

استشهد أبو العباس المبرد[٤] في معرض حديثه عن (أم) بالآية الكريمة : « اليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتي افلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين »[٥] ، وأشار الى أن (أم) في الآية منقطعة والى أن ذلك قول النحويين ، لا يعلم بينهم اختلاف، الا ما حكاه أبو زيد الذي ذهب الى خلاف مذاهبهم ، فقال ان (أم) زائدة ومعنى الآية أفلا تبصرون أنا خير ، ثم أنهى المبرد شرحه بقوله : « وهذا لا يعرفه المفسرون ولا النحويون ولا يعرفون أم زائدة » ٠

لكن أبا زيد أشار الى ان زيادة (أم) لغة أهل اليمن واستشهد بقول الشاعر[٦]

يا دَهنُ أم ما كان مشيي رقصا بَلْ قَدْ تكونُ مِشيَتي تَوقصا

وبقول الآخر[٧]

يا لَيتَ شِعري ولا مَنجا من الهَرَمِ أمْ هَلْ على العيشِ بعد الشيب من هرَمِ

وهكذا يتبين لنا أن أبا زيد انفرد بهذا القول بين المفسرين والنحويين مما يدل على استقلال شخصيته والى أنه كان سلفيا متحررا ٠

وفي رأينا أن لمسلك أبي زيد في هذه المسألة ما يسوغه خاصة وأنه استند الى الأساليب العربية ، وهذا منهج لغوى سليم لأنه يحتكم الى طبيعة اللغة وليس الى قواعد النحاة كما فعل غيره من النحويين ٠

جهود أبي زيد في الثروة اللفظية

كان أبو زيد الأنصاري أحفظ الناس للغة بعد أبي مالك ، اشتهر بالرحلة الى البادية وكثرة تنقلاته بين القبائل العربية ، وعرف باتساعه في الرواية ، يروي ما يسمعه ولو كان غريبا نادرا، ومن أجل ذلك كله خلّف أبو زيد ثروة لفظية ضخمة بالغة ٠

---

١) سورة النحل /٧٧
٢) سورة النجم /٩
٣) انظر اثر القرآن في تطور النقد العربي / ١٠٢ تأليف الدكتور محمد زغلول ، طبعة دار المعارف بمصر ٠
٤) انظر المقتضب ٢٩٣/٣ وما بعدها تأليف المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة سنة ١٣٨٦هـ ٠
٥) سورة الزخرف ٥١ ، ٥٢
٦) لسان العرب / امم
٧) همع الهوامع ١٣٤/٢

بدأ أبو زيد في مرحلة مبكرة من جمع اللغة ـ يعنى بتتبع الفاظ اللغة في نصوصها يشرح غامضها ، ويبين مدلولاتها ، ويشير الى نادرها ، ويسجل هذا الانتاج العلمي في صورة الكتب والرسائل التي كانت مقدمة لنشأة المعاجم اللغوية حيث اعتمدت الأخيرة عليها في تكوينها [1] ٠

ونحن في دراستنا لجهود أبي زيد في الثروة اللفظية سوف نتناول بالحديث أثره في :

١ ـ دلالة الألفاظ ٠

٢ ـ المعجم ٠

٣ ـ النوادر ٠

أولا : أبو زيد ودلالة الألفاظ

شهد العصر الحديث اهتمام علماء اللغة بالألفاظ ودلالتها : بحثوا في نشأة الألفاظ وتطورها، كما بحثوا في امكانية التعبير باللفظ عن دلالتين ، ولحظوا انكماش بعض الدلالات وازدهار غيرها فبحثوا في أسباب ذلك وأرجعوه الى عوامل تاريخية واجتماعية تمر بها الأمم ٠

وقد أطلق على هذه المباحث وغيرها « دلالة الألفاظ » وهو مبحث يمثل جانبا من علم أوسع هو ما يعرف بالسيمانتيك Semantics

ولقد كان لعلماء العربية القدامى جهود ومحاولات في هذه المباحث ، فقد توصلوا الى الدلالات الحسية للألفاظ ، وبحثوا في ترجيح احدى دلالات اللفظ ، وتوضيح المعنى الأقدم ، وأشاروا الى الألفاظ التي اتحدت في الصورة واختلفت في المعنى والتي اصطلحوا على تسميتها بالمشترك اللفظي ، كما أشاروا الى اللفظ عندما يجيء بمعنيين متضادين ، ونبَّهوا الى الألفاظ المتعددة عندما تجتمع على معنى واحد ٠

ومن المعروف أن مبحث دلالة الألفاظ مبحث واسع متعدد الأطراف والجوانب يحتاج الى دراسات واسعة وبحوث منوعة ، ومن ثمّ سوف نكتفي هنا بالنظر في ثلاثة موضوعات معينة هي :

١ ـ المشترك اللفظي ٠

٢ ـ التضاد ٠

٣ ـ الترادف ٠

وانما وقع الاختيار على هذه الموضوعات الثلاثة لأهميتها في حقل دلالة الألفاظ بعامة ، وفي اللغة العربية بخاصة ، ولعناية أبي زيد بها ٠

هذا بالاضافة الى أن مناقشة هذه الأبواب الثلاثة من شأنه أن يلقي الضوء ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ على مشكلات الدلالة فيما رواه أبو زيد من الفاظ أخرى لا تدخل في هذا الاطار المحدّد ٠

أبو زيد والمشترك اللفظي

المشترك اللفظي هو ورود لفظ بمعنيين متباينين ليس بينهما صلة ظاهرة أما اذا تبين أن الاختلاف ناتج عن المجاز ، فان ذلك لا يصح أن يعدّ من المشترك ٠

---

١) انظر **دلالة الألفاظ** / ٢٢٨ تاليف الدكتور ابراهيم أنيس ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٦٣م ٠

وينشأ المشترك في اللغة عن تطور في أصوات بعض الكلمات أو تطور في مدلولات الكلمة الواحدة ٠

وقد لفتت هذه الظاهرة اللغوية أنظار علماء اللغة ـ قدامى ومحدثين ـ فوجهوا اليها عنايتهم واهتمامهم وتباينت آراؤهم في موقفهم منها ، وسوف نجمل خلاصة آرائهم ، بادئين بالمحدثين لأن في آرائهم نوعا من التحديد ، ثم ننتقل لنعرض آراء القدماء قبل أن نخلص الى موقف أبي زيد من المشترك ٠

المشترك اللفظي عند المحدثين : اهتم الباحثون المحدثون اهتماما كبيرا بالمشترك اللفظي وكان ذلك مدعاة في السنوات الأخيرة الى ظهور علم جديد في الدراسات اللغوية عرف باسم « علم المشترك اللفظي » ٠

ومن علماء اللغة المحدثين الذين تعرضوا لهذه الظواهر اللغوية الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس ، عضو المجمع اللغوي في القاهرة ، حيث ناقشها في اثنين من مؤلفاته هما : **دلالة الألفاظ واللهجات العربية** ٠

وقد بدأ مناقشته بعرض آراء علماء العربية القدامى حيث تبين له اختلاف نظرتهم في هذه القضية ، ومن ثم خلص لابداء رأيه ، فقال بوقوع المشترك في اللغة ، فقد تتغير معاني بعض الكلمات مع احتفاظها بصورتها أو قد تتغير صورتها مع الاحتفاظ بمعانيها لكن سبب التغيير كما يرى يبقى أقرب الى الترجيح منه الى مرتبة اليقين ٠

ويرى الدكتور أنيس أن نعتمد على النصوص في حكمنا على المشترك اللفظي ـ وفي غيره بالطبع ـ فاذا ثبت لنا منها أن اللفظ قد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين سمينا هذا بالمشترك ، أما اذا اتضح أن أحد المعنيين هو الأصل وأن الآخر مجاز له ، فلا يصح أن يعد مثل هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره ٠

وعلى هذا فالمشترك اللفظي عند الدكتور أنيس يكون عندما لا نلمح أي صلة بين المعنيين كأن يقال مثلا : ان الخال هو أخو الأم وهو الشامة في الوجه وهو الأكمة الصغيرة ٠ ومثل تلك الألفاظ قليلة جدا في اللغة وخاصة اذا قيست بالألفاظ المترادفة ٠

وبذلك يكون الدكتور أنيس قد خالف بعض علماء اللغة القدامى ومنهم ابن سيده[1] الذين عدّوا المجاز من عوامل وقوع المشترك في اللغة ٠

المشترك عند القدماء : أقر غالبية علماء العربية القدامى بوجود المشترك في اللغة ، ورووا لنا الأمثلة الكثيرة على وروده ، كالخليل وسيبويه وأبي عبيدة ، حتى ان بعضهم قد ألف كتبا جمع فيها أمثلة للمشترك ، من ذلك ما فعله أبو عبيد في كتابه « **الأجناس من كلام العرب** ، وما اشتبه في **اللفظ** واختلف في المعنى » ، وما فعله المبرد في كتابه « **ما اتفق لفظه واختلف معناه** » ٠

لكن ذلك لم يمنع بعضا آخر من العلماء من انكار المشترك في اللغة وعلى رأس هؤلاء : ابن درستويه الذي تأول أمثلته الواردة واعتبرها من المجاز ، فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء ، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال ، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها

١) انظر **المخصص** ـ ابن سيده ٢٥٩/١٢ ط بيروت ٠ نشر المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت ٠

الهلال ، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال ، لا يصح اذا أن تعد من المشترك اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا ، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات[١] ٠

ويستند ابن درستويه في رده للمشترك الى أن اللغة من وضع الله عز وجل ، ولما كان المشترك تعمية فلا يجوز أن يكون موجودا ، لأن اللغة موضوعة للابانة عن المعاني[٢] ٠

وفي رأينا أن الجانبين قد بعدا عن جادة الصواب فالمثبتون للمشترك اللفظي بالغوا في سرد أمثلته ، كما أن المنكرين له مبالغون في انكارهم ، اذ لا معنى لانكار المشترك اللفظي مع ما روى لنا في الأساليب العربية الصحيحة من أمثلة كثيرة لا يتطرق اليها الشك ، ومع ما ورد منه في القرآن الكريم ، المثل الأعلى في الفصاحة والبيان ٠

ومن أمثلة ورود المشترك في القرآن الكريم كلمة (الساعة) فقد وردت بمعنى **يوم القيامة** كما جاءت لتعني **جزءا من أجزاء الزمان** ، قال تعالى في المعنى الأول : بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا »[٣] ٠

وفي المعنى الآخر قال سبحانه : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»[٤] ، وقال : « كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار »[٥] ٠ وقد وردت بالمعنيين في قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة »[٦] ٠

وهكذا يتبين لنا أن المشترك اللفظي ظاهرة ثابتة في اللغة لا مجال لانكارها ، لكن الغريب فيها مبالغة المثبتين لها في ايراد الأمثلة ٠

أما سبب اختلاف العلماء في وقوعه فيرجع فيما نعتقد **الى اختلاف منهجهم في نظرتهم الى الكلمات ومعانيها** ، فالمنكرون للمشترك اللفظي قد نظروا اليها نظرة تاريخية ، وتتبعوها في عصورها المختلفة حيث ان هذه الكلمات في القديم كانت لها علاقة بين معانيها فتأولوها على أنها كلها من الحقيقة والمجاز ٠

واما المثبتون للمشترك فقد بحثوا في الكلمات في فترة معينة من الزمن بقطع النظر عن السابق واللاحق ، وفي هذه الفترة المعينة تكون قد تلاشت العلاقة بين المعاني وتنوسيت، وهكذا كانت نظرتهم الى الكلمات وصفية واقعية ٠

ومن أجل ذلك تباينت النتائج عند الفريقين ٠

المشترك اللفظي عند أبي زيد : ذهب أبو زيد الأنصاري الى أن المشترك اللفظي قد ثبت وروده في اللغة لكنه لم ينص على ذلك ولم يناقش المشترك ومعناه ، واكتفى بسرد الأمثلة التي استنتجت منها ما تقدم ٠

---

١) انظر **دلالة الألفاظ** ـ دكتور ابراهيم انيس / ٢١٤
٢) انظر المزهر للسيوطي ١/٣٨٥
٣) **سورة الفرقان** /١١
٤) **سورة الأعراف** /٣٤ ، **وسورة النحل** /٦١
٥) **سورة يونس** /٤٥
٦) **سورة الروم** /٥٥

وقد قمت بجمع هذه الأمثلة التي وردت مبثوثة في كتبه وفي المعاجم اللغوية ، فالفيتها قليلة اذا ما قورنت بالألفاظ المترادفة المروية عنه مما يجعلنا نرجح صحة ما ذهب اليه الدكتور أنيس من أن ألفاظ المشترك اللفظي الواردة في لغتنا العربية قليلة اذا ما قورنت بالألفاظ المترادفة ٠

وقد قمت بدراسة أمثلة المشترك اللفظي المروية عن أبي زيد فلاحظت أن بعض الأمثلة قد توجد علاقة ما في معانيها بحيث يسهل رد هذه المعاني الى الآخر ، على اعتبار أن المعنى الحسى هو الأصل وأن المعنوى فرع له ، ومثال ذلك ما رواه [1] أبو زيد في معنى كلمة الصاعقة فهي نار تسقط من السماء في رعد شديد وهي أيضا صيحة العذاب فالأول أصل والثاني فرع له على سبيل المجاز ، ومثل تلك الأمثلة لا نستطيع عدها من المشترك اللفظي لأن المشترك عندنا يكون عندما لا توجد صلة بين المعنيين ٠

لكن الأمثلة الأخرى يصعب كشف علاقة بين معانيها ـ على الأقل في وقتنا الحاضر ـ ومثال ذلك ما روي من أن العُراق هو المطر الغزير وهو العظم بغير لحم[2] أيضا ، فهل نستطيع أن نجد بين هذين المعنيين علاقة من نوع ما مهما حاولنا أن نجهد أنفسنا الآن ؟؟

ورايت أبا زيد يعنى في بعض الأحيان بأن يسوق معاني المشترك اللفظي في نصوص من الشعر ، فقد أنشد قول الشاعر :

ساقِطُهن أخولا فأخولا وزرّ من أكتافهن خُصلا

ثم عقب عليه فقال : والزَرّ مصدر زررت القميص زَرّا ٠ والزرّ الطّعن والزَرّ العضّ ، وقال الشاعر :

يَزُرّ ويَلفِظُ أوبارها ويقرو بهنّ قِفافا حُزونا

والزَرّ أن يزرّ عينيه كان يضيّقهما من نواحيهما ، والزرّ النتف ، أنشدني أعرابي :

انْ لم يزل شعر مِقَدّي يُزَرّ

أي ينتف [3] ٠

فانت ترى أن أبا زيد قد ساق من معاني الزَرّ : الطعن والعض والنتف وزر القميص مستشهدا بالشعر ٠

وأخيرا فقد وردت بعض أمثلة المشترك التي رواها أبو زيد نتيجة تعدد اللهجات حيث استعملت اللفظة في لهجة من اللهجات بمعنى على حين استعملت في لهجة أخرى بمعنى مختلف ، ثم جاءت مرحلة تدوين اللغة فتداخل المعنيان مما يثبت أن للهجات دورا في تكوين المشترك اللفظي ، ومثال ما ذهبنا اليه قول أبي زيد : الألفت في كلام قيس : الأحمق والألفت في كلام تميم : الأعسر [4] ٠

---

١) لسان العرب / صعق
٢) المرجع السابق / عرق
٣) النوادر في اللغة / ١٤٥ ، ١٤٦
٤) المزهر ١/٣٨١

ابو زيد والتضاد

لا يكتمل الحديث عن المشترك اللفظي الا بالحديث عن التضاد ، اذ هو منه فالكلام في التضاد فرع الكلام عن المشترك اللفظي ، فاذا صح أن يعبر اللفظ عن معنيين أو أكثر ، فقد وردت الفاظ أخرى عبّر الواحد منها عن معنيين متضادين ، وضد الشيء خلافه ، وقد استعمل العرب هذه الألفاظ في لغتهم ليتوسعوا في كلامهم ويتظرفوا فيه ، واصطلح العلماء على تسمية هذه الألفاظ الواردة بالأضداد .

وكما هو الحال في تناولنا للمشترك اللفظي ، سوف نبدأ بعرض آراء المحدثين في التضاد ، ثم نعقب ذلك بتقديم آراء علماء العربية القدامى وأسباب وقوعه ، حيث نختم حديثنا عن هذه الظاهرة اللغوية بموقف أبي زيد منها وأثره فيها .

التضاد عند المحدثين : تعرض بعض علماء اللغة المحدثين لهذه الظاهرة اللغوية ، لكنهم لم يكونوا أسعد حظا من القدماء ، فقد وقع الخلاف بينهم في نظرتهم الى الأضداد في اللغة ، فأنكر بعض المحدثين وقوعه ، ودعا الى تخليص اللغة منه ، وأقرّ آخرون بوجوده بعد أن تخففوا من أمثلته .

ومن الباحثين المحدثين الذين أنكروا التضاد **الأستاذ احمد أمين** الذي كتب مقالا في مجلة المجمع اللغوى[1] في القاهرة ذهب فيه الى عدم جواز وضع لفظ للدلالة على الشيء وضده لأن في ذلك تعمية ، في حين أن اللغة موضوعة للكشف عن المعاني .

والى ذلك ذهب الأستاذ **عبد الفتاح بدوى** في دائرة المعارف الاسلامية[2] حيث أنكر وقوع التضاد في اللغة بحجة أنه لا يتفق مع طبيعتها في تسهيل التفاهم بين الناس ، ومن أجل ذلك فلا يعقل على حد رأيه أن يوجد لفظ له معنيان متقابلان بوضع واحد .

والملاحظ أن المنكرين للتضاد يذهبون الى أن اللفظ قد وضع أصلا ليدل على معنيين متضادين ، وذلك لم يقل به أحد ، وانما يأتي التضاد عن طريق عوامل أشرنا اليها سابقا .

ومن الباحثين المحدثين المثبتين للتضاد **الأستاذ منصور فهمي** الذي قام بدراسة موضوعية تخفف فيها من أمثلة التضاد وانتهى الى الابقاء على عشرين مثالا منها فقط يفيد معنى التضاد ، وكان قد قدّم لدراسته بعرض آراء القدماء وبيان خلافهم في هذه الظاهرة واسراف كل جانب في دعم مذهبه[3] .

كما تعرض لبحث الأضداد من المحدثين الأستاذ **الدكتور ابراهيم أنيس** فرأى أن الضدية نوع من العلاقة بين المعاني فمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضد هذا المعنى الى الذهن ، فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد ، واذا جاز أن تعبر الكلمة عن معنيين بينهما علاقة ما فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين .

ويرى الدكتور أنيس ان أمثلة الأضداد التي رويت لنا لا تخلو من التعسف والتكلف وأن أكثرها يعوزه النصوص الصريحة القوية .

---

١) انظر مجلة المجمع اللغوي ٨٩/٦ وما بعدها

٢) ٢٩٥/٢ وما بعدها

٣) انظر مجلة المجمع اللغوي ٢٨٨/٢ وما بعدها .

التضاد عند القدماء : اهتم علماء العربية القدامى بتتبع ألفاظ الأضداد وروايتها وجمعها في كتب خاصة ، وكان مبعث هذا الاهتمام عندهم دينيا محضا يهـدف الى خدمـة القرآن وتوضيح معانيه ، فقد وردت بعض ألفاظ التضاد في القرآن الكريم ، فقام العلماء ببيانها وجمع أشباهها في كلام العرب ، قال أبو حاتم في مقدمـة كتاب **الأضداد** موضحا الهدف من تأليفه : « حملنا علـى تأليفه أنّا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا فأوضحنا ما حضر منه اذ كان يجيء القرآن الظن يقينا وشكًا والرجاء خوفا وطمعا وهو مشهور في كلام العرب ، وضد الشيء خلافه وغيره ، فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال : « انها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون »[١] مدح الشاكين في لقاء ربهم ، وانما المعنى يستيقنون وكذلك في صفة من أوتي كتابه بيمينه من أهل الجنة « هاؤم اقرأوا كتابيه ، اني ظننت »[٢] يريد اني أيقنت ، ولو كان شاكا لم يكن مؤمنا ، وأما قوله « قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا »[٣] فهؤلاء شكاك كفار .

وقد ادّى هذا الاهتمام من جانب علمـاء العربيةفي جمع ألفاظ الأضداد الى كثرة الكتـب المؤلفة فيها على مر الزمن ، وقد وصلنا بعضها ، وسوف نتعرض لها في حديثنا عن أثر أبي زيد في هذه الظاهرة اللغوية .

أغرت هذه الثروة اللفظيـة من الأضداد علماء اللغة القدامـى ، فبحثوا فـي أسباب نشأة الأضداد في اللغة ، فأرجع ابن الأنبارى بعضها الى التداخل في المعاني قال : « اذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع ، فمن ذلك الصّريم، يقال لليل صريم وللنهار صريم لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم مـن الليل ، وأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع ، وكذلك الصارخ : المغيث ، والصارخ : المستغيث سميا بذلك لأن المغيث يصرخ بالاغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما من باب واحد »[٤] .

وكان لاختلاف اللهجات العربية نصيب في زيادة الأضداد في اللغة ، فمحال أن يوقع العربي اللفظ على معنيين متضادين ، ولكن الذي يحدث أن يقع اللفظ بمعنى في احدى اللهجات العربية على حين يقع اللفظ نفسه بمعنى مضاد في لهجة أخرى ، وعندما جمعت اللغة وجد اللفظ بمعنيين متضادين ، ويؤيدنا فيما ذهبنا اليه قول الأنبارى : « اذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي مـن العرب والمعنـى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا فالجون الأبيض في لغة حي من العرب والجون الأسود في لغة حي آخر ، ثم أخـذ أحـد الفريقـين مـن الآخر »[٥] .

وقد ذكر أحد الباحثين المحدثين أسبابا أخرى للتضاد أهمها : التطور الصوتي والمجاز اللغوى والتطير[٦] .

---

١) سورة البقرة / ٤٥ ، ٤٦

٢) سورة الحاقة / ١٩ ، ٢٠

٣) سورة الجاثية / ٣٢

٤،٥) المزهر ـ السيوطى ١/٤٠١

٦) انظر اللهجات العربية ـ الدكتور ابراهيم انيس /١٦٦ وما بعدها

على أن أهم ما يستوقفنا في هذه الظاهرة اللغوية ما أثير حولها من جدل وخلاف ، فقد تباينت آراء العلماء القدامى في وقوع الأضداد في اللغة حتى ان بعضهم قد ألف كتبا يشرح فيها رأيه ويرد على مخالفيه .

وانقسم هؤلاء العلماء في نظرتهم الى الأضداد الى فريقين : فريق أثبت وجودها في اللغة وروى أمثلة منها ، وفريق آخر ذهب الى انكارها وتأول ما ورد من أمثلتها .

ومن علماء العربية القدامى الذين تحمسوا لاثبات الأضداد في اللغة ودافعوا عن وجوده : ابن فارس الذي قال[١] : « من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو الجون للأسود والجون للأبيض قال : وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده وهذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد » .

فابن فارس يحتج لاثبات التضاد في اللغة ويرد على منكريه بأمرين :

أولهما : أن التضاد من سنن العرب وقد روى لنا ذلك عنهم ووصلتنا أمثلة منه .

ثانيهما : أننا طالما أسلمنا بوجود المشترك في اللغة فمن الطبيعي أن نقرّ بورود التضاد لأن المصدر للظاهرتين واحد وهم العرب .

هذا ولم يكتف ابن فارس بما أورده هنا فالف كتابا رد فيه على المنكرين حججهم التي تذرعوا بها لانكار الأضداد قال « وقد جرّدنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا ردّ ذلك ونقضه »[٢] .

وكان ابن الأنبارى على رأس المثبتين للتضاد والمنافحين عن وروده حيث تصدّى لمنكريه فكناهم بأهل البدع واتهمهم بالزيغ والازراء بالعرب لأنهم قالوا : « ان ورود التضاد في اللغة انما كان لنقصان حكمة العرب وقلة بلاغتهم لأنه يؤدى الى الغموض في الكلام » ، قال ابن الأنبارى في مقدمة كتابه **الأضداد**[٣] : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزّيغ والازراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم ، فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبىء عن المعنى الذي تحته ودال عليه وموضح تأويله فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمّى » .

فحجة المنكرين للتضاد كما يصورها ابن الأنباري هي أنه مدعاة للغموض والابهام ، فاذا ورد اللفظ بمعنيين متضادين لم يدر المخاطب أيهما المراد .

لكنه لم يترك لهم هذه الحجة فقد أجاب بأن السياق كفيل بتوضيح المعنى المطلوب ، وساق الأمثلة التي تبيّن ما ذهب اليه :

---

١) **الصاحبي** / ٩٧

٢) **المزهر** – السيوطي ٣٨٨/١

٣) /١

قال ابن الأنبارى في معرض رده على المنكرين : « انكلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والاخبار الا معنى واحد فمن ذلك قول الشاعر :

كُلّ شَيء ما خلا الموت جَلَل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدل ما تقدم قبل (جلل) وتأخر بعده على أن معناه كل شيء ما خلا الموت يسير ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل ها هنا معناه عظيم ، وقول الآخر :

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأعفون جَلَلا ولئن سَطَوْتُ لأوهِنَن عَظمي

قَوْمي هُمُ قَتَلوا أُمَيمَ أخي فاذا رَمَيتُ يُصيبُني سَهمي

فدل الكلام على أنه أراد فلئن عفوت لأعفون عفوا عظيما [١] .

ولقد أصاب ابن الأنباري ـ في رأينا ـ في اعتماده على السياق في النصوص الصحيحة المروية عن العرب لدفع ما قد يقع من التباس وغموض في الكلام مما يجعلنا نرجح صحة ما قاله أحد الباحثين المحدثين من أن ورود اللفظ في نص يبعث فيه الحياة ، وأن ألفاظ المعاجم اللغوية بمثابة الجثث الهامدة [٢] .

لكن هذه الحجج كلها لم تمنع المنكرين للأضداد من الصمود في موقفهم وكان على رأس هذا الفريق ابن درستويه الذي تذرع في انكاره للتضاد بأن فيه تعمية وتغطية .

وقد ألف كتابا في ابطال الأضداد ردّ فيه حجج المثبتين له الا أن الكتاب لم يصل الينا ، فلم نتعرف على تلك الحجج التي استند اليها ، وقد نقل السيوطي قول ابن درستويه في شرح الفصيح : « النوء الارتفاع بمشقة وثقل ومنه قيل للكوكب قد ناء اذا طلع ، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا وأنه من الأضداد ، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في ابطال الأضداد » [٣] .

وبذلك أفاد ابن درستويه انكاره الأضداد وتأليفه كتابا في الرد على المثبتين .

وفي رأينا أن كلا من المنكرين والمثبتين للأضداد قد بعد عن جادة الصواب فالمنكرون للتضاد مبالغون في انكاره مع ما ورد من أمثلته في القرآن الكريم وفي الأساليب العربية الصحيحة ، وأما حجتهم بأن ورود الأضداد في اللغة يبعث على الغموض فمردودة لأن السياق كفيل بازالة الغموض . ومن الممكن بعدئذ أن تتعايش المعاني المتضادة بدون احداث ازعاج ، ومن المفيد هنا أن نذكر ما أورده أولمان في هذا الشأن حيث قال : « من المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبا الى جنب لقرون طويلة بدون احداث أي ازعاج أو مضايقة » [٤] .

---

١) **الأضداد** لابن البارى /١

٢) انظر **دلالة الألفاظ** ـ الدكتور انيس /٢١٣

٣) **المزهر** ـ السيوطي ٣٩٦/١

٤) دور الكلمة في اللغة /١١٨

كما ان المثبتين قد بالغوا في سرد أمثلته ، وقد قام أحـد الباحثـين [١] المحدثـين بدراسة الأمثلة التي عدت من الأضداد فتبين له أن ليس بينها ما يفيـد التضاد بمعنـاه العلمـي الا نحو عشرين كلمة في كل اللغة » .

ويرى الدكتور أنيس أن مثل هذا العدد لا يستحق عناية كبيرة لا سيما وأن مصير كلمات التضاد الى الانقراض من اللغـة ، بـأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن [٢] .

التضاد عند أبي زيد : اقرّ ابو زيد بورود الأضداد في اللغة ، لكنه لـم يناقش معناهـا ، واكتفى بأن روى كثيرا من أمثلتها التي جاءت مبثوثة في مؤلفاته وفي كتب الأضداد ، وقد كان ابو زيد في كتبه يشير الى اللفظ ان كان من الأضداد ومثال ذلك ما ورد في كتابه **النوادر في اللغـة** حيث أنشد قول زهير :

بـلاد بهـا نادمتُهُـم والفتُهُـمْ فانْ تُقويـا مِنهمْ فَانَّهُما بَسلُ

وبيّن أن (بسل) بمعنى (حرام) وأنها تأتي بمعنى (الحلال) كما في قول عبد الله بـن همام :

زيادتَنـَا نُعمـانُ لا تَحرِمَنَّنـا تَقِ الله فينا والكتـابَ الذي تَتلو
أَيُثبِتُ ما زِدْتُم وَتُلقى زِيادَتي دَمي ان أُسيغَت هذه لكـم بَسلُ

ثم قال ابو زيد : « وهذا الحرف من الأضداد » [٣] مما يدل على اعتراف صريح منه بوجود التضاد في اللغة .

روى لنا أبو زيد ثروة لفظية كبيرة من الأضداد ساعده على روايتها معرفته بلغات العرب وكثرة تنقلاته بين القبائل العربية ، وقد أشرنا الى أن اللهجات العربية كان لهـا دور فـي زيـادة الأضداد ، ومثال ما رواه أبو زيد من ذلك قوله : « لمقت الشيء ألمقه لمقا اذا كتبته في لغة بني عقيل، وسائر قيس يقولون : لمقته محوته » [٤] .

ويقوم منهج أبي زيد على التوسع في رواية الأضداد ، فقد روى لنـا الفاظـا على أنهـا مـن التضاد ولكنها في حقيقة الأمر ليست منه بحال من الأحوال ، ومثال ذلك قوله [٥] : « خفيته أخفيه خفيا في معنى الاظهار وأخفيته أخفيه اخفاء في معنى الكتمـان » ، فقـد تغيرّت صيغـة الكلمـة فأصبحت كلمتين ، والتضاد ورود كلمـة فـي معنيين متضادين ، لذلك لا يعد مثل هذا اللفظ من الأضداد .

ومثال آخر على توسعه في رواية الأضداد قوله [٦] : « طلعت على القوم أطلع طلوعا اذا غبت عنهم حتى لا يروك ، وطلعت اليهم اذا أقبلت اليهم حتى يروك » .

فالتضاد هنا لم يحدث في معنى الكلمة ولم تفده الكلمة بذاتها وانما جاء من اقترانها بحرف الجر ، فلا يعد مثل هذا اللفظ أيضا من الأضداد .

(١،٢) انظر اللهجات العربية /١٦٩
٣) النوادر في اللغة / ٣ ، ٤
٤) المزهر ـ السيوطي ٣٨٩/١
٥) الأضداد في كلام العرب ـ ابو الطيب اللغوي ٢٤٦/١
٦) المرجع السابق ٤٥٩/٢

وكان أبو زيد في روايته لألفاظ التضاد **يستعين في بعض الأحيان بالسياق** على توضيح الضدية في معنى اللفظ ، فيورد اللفظ في شواهد صحيحة ، قال أبو زيد : « الشفيف من الأضداد يكون لهب الحر ويكون برد الريح ، وأنشد في لهب الحر :

جاءت تشكي لهب الشفيف

وأنشد في البرد

فألجأها الى نارى الشفيف [١]

وذلك منهج قويم ، لكن أبا زيد لم يتقيد به في أحيان أخرى · فرأيته يورد اللفظ من الأضداد مجردا من النصوص ، في حين أننا في دراستنا للأضداد نعلّق أهمية على السياق لأنه السبيل لتوضيح معنى الضدية من جهة وازالة ما قد يقع من الغموض من جهة أخرى ·

ومثال ما أورده أبو زيد من الأضداد مجردا من النصوص قوله [٢] : « يقال بعت الشيء اذا بعته من غيرك ، وبعته اذا اشتريته » · وقوله : البشك السير الرفيق ، والبشك السرعة » [٣] ·

أما أثر أبي زيد في ظاهرة التضاد في اللغة فيكمن في كثرة ما روى لنا من حروفه ، ويتضح هذا الأثر بشكل بارز اذا ألقينا نظرة على الكتب المؤلفة في الأضداد حيث يتبين لنا **ان ابا زيد كان مصدرا هاما لهذه الكتب** سواء فيما روت من الأضداد أو فيما أوردت من الشواهد عليها ·

ولأجل تقديم صورة ملموسة لأثر أبي زيد في هذه الظاهرة اللغوية قمت بجولة في هذه الكتب استخرجت خلالها روايات أبي زيد فيها لدراستها :

رأيت **الأصمعي** ـ معاصر أبي زيد ـ في كتابه في الأضداد يعتمد على أبي زيد ـ في كثير من الأحيان ـ فيما يرويه من حروف التضاد فينقل عنه شرحه لها واستشهاده عليها كأن يقول [٤] :

« قال أبو زيد : السدفة في لغة تميم الظلمة · وفي لغة قيس الضوء ، قال ابن مقبل :

وَلَيلَة قد جَعَلتُ إلصبح موعدَها   بصدرةِ العنسِ حتى تعرفَ السَّدفا

أي أسير حتى الصبح فترى ضوء الصبح ، وقال العجاج :

واقطعُ اللَّيلَ اذا ما أسدَفا

أي أظلم » ·

ويكتفي الأصمعي في بعض الروايات في الاستعانة بأبي زيد فيما ينشده من الشواهد فيقول : « الذعور الذاعر والذعور المذعور وأنشد أبو زيد [٥] :

---

١) الأضداد في كلام العرب ـ أبو الطيب اللغوي ٢/٤١٥

٢) الأضداد /١٨٤ تاليف ابن السكيت . طبعة بيروت ١٩١٣م ·

٣) لسان العرب / بشك

٤) الأضداد / ٣٥ تاليف الأصمعي . طبعة بيروت ١٩١٣م ·

٥) المرجع السابق /٥٥

تنولُ بمعروفِ الحديثِ وان تُرِدْ سوى ذاك تُذْعَرْ مِنكَ وَهيَ ذَعورُ

وكذلك **ابن السكيت** (توفي ٢٤٤هـ) في كتابه ، فقد كان يذكر تارة الحرف وشاهده عن أبي زيد كان يقول[1] : « قال أبو زيد : الناهل في كلام العرب العطشان ، والناهل الذي قد شرب حتى روى قال الشاعر (وهو النابغة الذبياني) :

الطاعِنُ الطَّعنةَ يومَ الوغىَ ينهل منها الأسد الناهلُ

أي يروى فيها الأسد العطشان ٠

لكنه تارة أخرى يكتفي بذكر الحرف عن أبي زيد بدون شاهد، وقد يذكر الحرف ويستعين بأبي زيد في الاستشهاد عليه[2] ٠

أما أبو حاتم السجستاني ـ (تلميذ أبي زيد) ـ في كتابه في الأضداد فقد أكثر من الرواية عن أبي زيد كثرة واضحة الى حد جعله مصدرا أساسيا للكتاب ، وبرغم أنه كرر ما روى عن أبي زيد في **أضداد الأصمعي** الا أنه أضاف اليها المزيد من ثروة أبي زيد اللفظية في الأضداد ٠

ومما زاده أبو حاتم من الحروف عن أبي زيد قوله[3] : « قال أبو زيد : تصدّق الرجل اذا أعطى صدقته وبعض العرب يقول : تصدّق سأل، والجيِّد تصدّق أعطى » ٠

وقوله[4] : « يقال أضعف الرجل اذا كثرت ابله وفشت ضيعته وانتشرت وأضعف اذا كانت ابله ضعافا مهازيل » ٠

واعتمد أبو حاتم على أبي زيد في كثرةً الشواهد التي أوردها لبيان معنى الضدية في الحرف ، ومثال ذلك قوله : « فزع الرجل اذا ارتاع وفزع اذا أغاث غيره ، وأنشدنا أبو زيد لكلحبة اليربوعي[5] :

فقلتُ لِكأْس ألجِميها فانما هَبَطنا الكثيب من زرود لِنَفزعَا

أي لنغيث ٠

وكان أبو حاتم في بعض الأحيان يروى عن أبي زيد معنى الحرف ثم يروى ضده عن غيره من علماء العربية ومثال ذلك قوله[6] : « قال أبو زيد : جمل مَسهوَ أي بطيء بيِّن السهاوة ، وقال الأصمعي : دابَّة سَهو والأنثى سهوة للسريع الخفيف السَّير » ٠

---

١) **الأضداد** . تاليف ابن السكيت /١٩١
٢) انظر **أضداد ابن السكيت** / ١٩٣ ، ٢٠٧
٣) **الأضداد** / ١٣٥ تاليف أبي حاتم السجستاني ، طبعة بيروت ١٩١٣م ٠
٤) المرجع السابق /١١٣
٥) المرجع السابق / ١٢١
٦) المرجع السابق / ١٥٦

أما **ابن الانبارى** (توفي ٣٢٨هـ) فقد كان مقلا فيما رواه أبي زيد من حروف الأضداد في كتابه ، ورأيته ينقل عن أبي زيد الحرف وشاهده ، ومثال ما أورده ابن الأنبارى عن أبي زيد قوله [1] : « وقال بعض البصريين ، قال أبو زيد : الفلذ : العطاء القليل، والفلذ : العطاء الكثير، وأنشد :

فَلذَ العَطاءِ في السنينَ النزَّل

وأنشد للأعشى ، أعشى باهلة :

تكفيه حُزّة فلذ انْ ألَمَّ بها   من الشواء ويروى شربَه الغُمَرُ

وكان **أبو الطيب اللغوى** (توفي ٣٥١هـ) الذي يعتبر كتابه في الأضداد أغزر هذه الكتب مادة أكثر العلماء المتقدمين نقلا عن أبي زيد سواء فيما رواه من حروف الأضداد أو فيما أنشده من الشواهد عليها بحيث يسهل على كل من يطلع على الكتاب أن يتبين بأن أبا زيد **مصدر هام من مصادر الكتاب** ، فقد روى عنه ما **يزيد على خمسين رواية** .

ومن أمثلة ما رواه أبو الطيب عن أبي زيد قوله [2] :

« قال أبو زيد : الخلط من الرجال أن يكون مدحا ويكون ذما . فالخلط الذي يخالط الناس بما يحبون فهذا مدح . والخلط أيضا الذي يلقى متاعه ونساءه بين القوم فيختلط بهم ، فهذا ذم وعيب » .

وقال أبو الطيب [3] : « قال أبو زيد : يقال أمر أمم اذا كان عظيما وأمر أمم اذا كان صغيرا » .

أبو زيد والترادف

الترادف يعني ورود ألفاظ في اللغة متحدة المعنى بحيث يمكن التبادل فيما بينها في أي سياق .

وهذا التعريف الذي اخترناه للترادف هو ما رآه الأستاذ أولمان ، وقد سار في نفس الاتجاه استاذنا الدكتور كمال بشر .

وقد جاءت لغتنا العربية غنية بالألفاظ المترادفة حتى امتلأت بها المعاجم اللغوية وألفت فيها الكتب على نحو ما فعله الفيروز بادى في كتابه الموسوم بـ (**الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف**) .

وكان وجود هذه الثروة اللفظية من الترادف أمام علماء العربية ـ قدامى ومحدثين ـ بمثابة اغراء لهم دفعهم الى أن يتعرضوا لها بالبحث والدراسة . لكن آراءهم قد تباينت وتشابكت سواء في تعريف الترادف أو في امكان وقوعه أو في كمية ألفاظه في حال وجوده أو في المنهج الذي يختار لدراسته .

---

١) **الأضداد / ٤٢١** تاليف محمد بن القاسم الأنبارى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم طبعة الكويت ١٩٦٠م .

٢) المرجع السابق /٢٦٣

٣) المرجع السابق /٣

وسوف نحاول أن نأتي على بعض آراء علماء اللغة المحدثين أولا . فالقدامى ثانيا . ثم نتعرض لموقف أبي زيد من ظاهرة الترادف في اللغة .

الترادف عند المحدثين : ناقش كثير من الباحثين ظاهرة الترادف في اللغة في أبحاثهم . وسوف نكتفي بالاشارة الى رأي الاستاذين الجليلين : علي الجارم والدكتور ابراهيم أنيس .

أما الاستاذ علي الجارم فقد كتب بحثا في الترادف في **مجلة المجمع اللغوى** بالقاهرة سنة ١٩٣٥م [١] ، أقر فيه بوجود الترادف في اللغة ، لكنه عاب على علماء اللغة القدامى القائلين بالترادف كثرة الأمثلة التي أوردوها على أنها من الترادف وحاول اخراج كثير من الامثلة التي جاءوا بها من نحو كمح الدابة وكبحها فهي كلمة واحدة في رأيه . وكل ما حدث هو نوع من التطور الصوتي بين الباء والميم .

كما أشار الأستاذ علي الجارم الى أن المنكرين للترادف قد جانبوا الصواب فيما ذهبوا اليه بدليل ورود أمثلة من الترادف كما يرى لا داعي لانكارها .

وقد عالج الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس قضية الترادف في اللغة في اثنين من مؤلفاته هما : **اللهجات العربية** [٢] **ودلالة الألفاظ** [٣] ، فاعترف بوجود الترادف في اللغة ، وذهب الى أنه حقيقة واقعة وأن كثرة وقوعه أصبحت خاصية للغتنا العربية لا تكاد تشركها في هذا لغة أخرى ، وأنكر على علماء العربية القدامى قولهم بعدم وجود الترادف ، اذ كيف يجوز ذلك منهم مع وجود تلك الكلمات العربية التي لا نلحظ في معانيها فرقا مهما أجهدنا أنفسنا في التأول مثل القمح والحنطة والبر .

وقد اتضح لنا أن الدكتور أنيس قد نظر الى الترادف في اللغة بوجه عام بصرف النظر عن الفروق الناشئة عن اختلاف اللهجات كما أنه قام باخراج بعض الكلمات من الترادف على اعتبار أنها ليست منه ، فقد أدخلها العلماء بسبب التطور في بعض أصواتها .

وقد أخذ عليه **استاذنا الدكتور كمال بشر** احتمال أن تكون هذه الفروق الصوتية راجعة الى اختلاف اللهجات ، وهو احتمال قائم ، وله ما يبرره في رأينا ، فقد وجدنا أن اختلاف الصورة في بعض الكلمات التي أوردها الدكتور أنيس راجع الى اختلاف اللهجات وليس الى تطور الأصوات كما أشار ، وأكتفي بأن أسوق المثالين التالين :

١ ـ **فاضت وفاظت :** كلمتان وليستا كلمة واحدة كما أشار الدكتور أنيس ، والتباين الصوتي راجع الى اختلاف اللهجات على ما روى أبو زيد .

لذلك لا يجوز اخراجها لأن الدكتور أنيس في قوله بوجود الترادف لم يفرق بين اللهجات وانما قام مذهبه على النظر الى اللغة المشتركة .

---

١) انظر ٣٠٣/١ وما بعدها

٢) ص ١٣٨ ـ ١٥٣

٣) /٢١٠ وما بعدها

٢ ـ **شجرات وشيرات** : أشار ابن جني [١] الى أن الياء في شيرة أصل وليست بدلا من الجيم ، وأنها لغة بعض العرب [٢] ، وذلك بالطبع يعني أن التباين في الصورة بين الكلمتين مرجعه اختلاف اللهجات ٠

وقد تعرض لموضوع الترادف في اللغة بعض علماء الغرب المحدثين منهم : **أولمان وبلومفيلد وفيرث** [٣] ٠

أما أولمان فقد اعترف بوجود ما أسماه أنصاف أو أشباه مترادفات في اللغة، أما الترادف فبالرغم من عدم استحالته في اللغة الا أنه نادر الوقوع الى درجة كبيرة ٠

وأما بلومفيلد فقد أنكر وجود الترادف في اللغة حيث يرى أنه اذا اختلفت الصيغة صوتيا وجب اختلافها في المعنى ، وقد وافقه فيرث في انكار الترادف لأنه يرى هو الآخر أن اختلاف المميزات الصوتية من كلمة الى كلمة يؤدي بالضرورة الى اختلاف الكلمات في المعنى ، وهذا يؤدي بالطبع الى عدم وجود الترادف ٠

موقف القدماء من الترادف : أما التباين العجيب في الآراء فقد ظهر في موقف علماء العربية القدامى من وجود الترادف في اللغة ، فذهب فريق منهم الى أن الترادف بمعناه المطلق غير موجود، وهذا يعني أنهم يؤمنون بوجود المترادفات بمعنى عام ولكنهم يخرجون ما ورد منها بقيد من القيود ٠ ونذكر من هؤلاء العلماء : ابن فارس وابن الأعرابي وثعلب ، حيث قاموا بتخريج ما ورد في اللغة من ترادف على أساس ابراز ما بينها من فروق ، فقد ارتكز مذهبهم على أن في كل واحدة من الألفاظ المترادفة معنى ليس في الأخرى ، ففي قعد مثلا معنى ليس في جلس ، ألا ترى أننا نقول قام ثم قعد ، وأخذه المقيم المقعد ثم نقول كان مضطجعا فجلس ، فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ٠

وهكذا يمضون في هذا الباب يجرونه على نحو ما سبق حتى ان أبا الهلال العسكرى (توفي ٣٩٥هـ) ألف كتابا أسماه الفروق اللغوية حاول فيه أن يلتمس فروقا دقيقة بين بعض الألفاظ المترادفة دون سند من نصوص أو شواهد كأن يقول في الفرق بين السخاء والجود ان السخاء هو أن يلين الانسان عند السؤال ولهذا لا يقال لله تعالى سخي أما الجود فكثرة العطاء من غير سؤال ٠

وممن سار في نفس الاتجاه من علماء العربية فأنكر وجود الترادف في اللغة **الامام أبو علي الفارسي** شيخ ابن جني حيث قال عن نفسه [٤] : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو علي وقال : ما أحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة ٠

وواضح من كلامه أن هذه الصفات لها معاز مختلفة ومن ثمّ فلا ترادف بينها ٠

---

١) **مخطوطة سر الصناعة** / ٢٨٥

٢) من الجدير بالذكر ان هذه اللغة ما زالت موجودة الى اليوم في لهجة الكويت حيث يقولون يمل وريـّال بدل جمل ورجـّال ٠

٣) **دور الكلمة في اللغة** / ١١٠

٤) **المزهر** ـ السيوطي ١/٤٠٥

وبعد أن أتينا على موقف بعض علماء العربية القدامى من الترادف يبقى في الصورة موقف الكثرة الغالبة من اللغويين القدماء، وهؤلاء قالوا بوجود الترادف في اللغة ورووا لنا في المعاجم مجموعة كبيرة من الألفاظ المترادفة تصل في أحيان كثيرة الى حد المغالاة ، حتى ان منهم من يقول : ان للأسد نحو ٥٠٠ كلمة وللثعلب نحو ٢٠٠ كلمة وللداهية نحو ٤٠٠ كلمة ·

وقبل أن نختم كلامنا عن موقف علماء العربية القدامى من الترادف يجمل بنا أن نشير الى أن مرجع ما رأيناه من تباين في الآراء يعود **الى اختلاف المناهج بين الدارسين** ·

فأبو علي الفارسي وغيره من المنكرين للترادف رأوا أن كل كلمة لها لون من المعنى ومن ثم لا ترادف بالمعنى الحقيقي ·

وأما القائلون بوجود الترادف في اللغة كابن خالويه وأمثاله فقد أهملوا الفروق في المعاني ونظروا الى الكلمات في عصر من العصور دون اعتبار لما كانت عليه من قبل ·

الترادف عند أبي زيد : عني أبو زيد بظاهرة الترادف في اللغة ، وحرص على جمع المزيد من الفاظها وألح في طلبها مما يظهر رصده لهذه الظاهرة اللغوية وعنايته الفائقة لجمع مفرداتها [١] ·

وقد كان شيخنا احد الأئمة الذين ألفوا رسائل جمعت فيها الألفاظ الخاصة بموضوع معين ، ووصلنا منها الكتب التالية : **المطر واللبن والهمز** ، وقد ضمت هذه الكتب في طياتها عددا من الألفاظ المترادفة ·

وبالاضافة الى ما روي عن أبي زيد من الترادف في مثل هذه الكتب ، فقد تجمعت لدى ثروة أخرى من المترادفات جمعتها من روايات أبي زيد في معجم **لسان العرب** ·

وأول ما تجدر الاشارة اليه **أننا لم نقع على رأي صريح لأبي زيد في الترادف ومعناه** ، وكل ما وصلنا أمثلة رويت عنه ، مما يحتم علينا مناقشة هذه الأمثلة لاستخلاص **راي ومنهج ابي زيد في الترادف** ·

وجدنا أبا زيد في بعض الأحيان ـ يلتمس فروقا طفيفة بين معاني الألفاظ **وذلك بالطبع يخرجها من المترادفات** لأن شرط الترادف الحقيقي هو الاتحاد التام في المعنى ، بحيث يمكن التبادل بينها في أي سياق ·

ومثال ذلك قوله في أسماء المطر [٢] : « أول أسماء المطر القطقط وهو أصغر المطر والرذاذ فوق القطقط والطش فوق القطقط والرذاذ » ·

وقوله [٣] : « والمحتفل المطر الحثيث المتدارك والسَّحّ مثله غير أن السَّحّ ربما لم يتبين قطره » ·

وجاء في كتابه **الهمز** قوله [٤] : « نأت الرجل ينئت نئيتا ونهت ينهت نهيتا وهما واحد غير أن النئيت أجهرهما صوتا » ·

---

١) انظر البحث /٣١

٢،٣) البلغة في شذور اللغة / ١٠٢ ، ١٠٤

٤) /٤

وقال أبو زيد في **لسان العرب**[1] : « قرّظ فلان فلانا وهما يتقارظان المدح اذا مدح كل واحد منهما صاحبه ، ومثله يتقارضان بالضاد ، وقد قرّضه اذا مدحه أو ذمّه ، فالتقارظ في المدح والخير خاصة ، والتقارض في الخير والشر » .

لكن أبا زيد في التماسه لهذه الفروق ، **لم يستند الى نصوص أو شواهد** نتبين فيها استعمالات تلك الألفاظ ونستدل على ما يمكن أن يكون بين الدلالات من فروق ، وذلك بطبيعة الحال يفقد هذا العمل كثيرا من أهميته .

ومن الملاحظ أن أبا زيد في منهجه في الترادف **قد نظر الى اللغة بوجه عام بصرف النظر عن الفروق الناشئة عن اختلاف اللهجات** ، ومن الأمثلة التي رواها في ذلك قوله : « الترّصيص هو أن تنتقب المرأة فلا يرى الا عيناها ، وتميم تقول هو التوصيص بالواو ، وقد رصصت ووصصت »[2] .

قام منهج أبي زيد في الترادف على **التوسع والمبالغة في ادخال كثير من المفردات في الترادف** ، دون محاولة ايجاد فروق في دلالاتها ، ونحن لا نستطيع أن ننكر أو نثبت ترادف كثير من تلك الألفاظ لأنها تفتقر الى السياق لورودها خالية من النصوص ، ونحن نعلم أن استعمال اللفظ في نص يبعث فيه الحياة ، وأن الحكم على دلالة اللفظ في نص ما أدق وأوثق مما لو استقيناه من المعاجم وحدها .

ومن أمثلة الترادف عند أبي زيد قوله :

« درب دربا ولهج لهجاً وضرى ضرى اذا اعتاد الشيء وأولع به »[3] وقوله[4] : « شيخت الرجل تشييخا وسمعت به تسميعا وندّدت به تنديدا اذا فضحته » .

وقوله[5] : « مأست بين القوم وأرشت وأرثت بمعنى واحد » .

وقال أبو زيد[6] : « حفشت السماء تحفش حفشا وحشكت تحشك حشكا واغبت تغبي اغباء فهي غبية وهي الغبية والحفشة والحشكة من المطر بمعنى واحد » .

وقال[7] : « أشر الرجل أشراً وأرن أرناً وهما واحد وهو النشاط » .

لكنا نستطيع **أن نستبعد بعضا من تلك الألفاظ المترادفة المروية عن أبي زيد** نرجع أن يكون اختلاف الصورة بينها **نتيجة تطور في بعض أصواتها** ما لم يقم الدليل في المستقبل على أن التباين حدث بسبب اختلاف اللهجات فاننا والحالة هذه نقبلها لأن أبا زيد في نظرته الى الترادف يهمل اهمالا تاما ما قد يكون بين الكلمات من اختلاف اللهجات .

ونكتفي بان نورد بعض الأمثلة التالية :

١ ــ **الدال والتاء**

قال أبو زيد : يقال هو حسن القدّ وحسن القتّ بمعنى واحد »[8] .

---

١) / قرظ
٢) **لسان العرب** / رصص
٣-٦) المرجع السابق /درب . شيخ . مأس . حفش
٧) **كتاب الهمز** ــ ابو زيد الأنصاري /٩
٨) المرجع السابق /قتت

وقال : « هرد ثوبه وهرته اذا شقه »[1] .

وقال : « ستاة الثوب وسداة الثوب بمعنى »[2] .

ومعلوم أن الدال كالتاء ، فهما نطعيتان متجانستان اتفقتا في المخرج وفي الشدة والاصمات والانفتاح والاستفال واختلفتا في الجهر والهمس ، فسهل حدوث تطور بينهما .

وعلى هذا الأساس ، فان الأمثلة السابقة ليست الا كلمات ذات أصل واحد تطورت صورتها فهي **لا تعتبر من المترادفات حسب المعنى الدقيق للترادف .**

٢ ـ العين والغين

قال أبو زيد[3] : « عهب الشيء وغهبه بالغين المعجمة اذا جهله» .

وقال[4] : « رجل ممعط وممغط أي طويل » .

ولما كانت العين والغين حلقيتين مجهورتين متفقتين في المخرج والجهر والاصمات والانفتاح ، فقد ساعد كل ذلك على حدوث تطور فيهما ، ومن أجله عدت هذه الأمثلة كلمات ذات أصل واحد وليست من المترادفات .

٣ ـ اللام والنون

قال أبو زيد : « نمقته أنمقه نمقا ولمقته ألمقه لمقا كتبته[5] » .

وقال : « لقست الناس ألقسهم ونقستهم أنقسهم وهو الافساد بينهم وأن تسخر منهم وتلقبهم الألقاب[6] » .

واللام والنون ذلقيتان من مخرج واحد فهما أختان ، ويجمع بينهما من الصفات الجهر والانفتاح والاستفال والذلاقة والوضوح السمعي ، وبذلك سهل وقوع التطور فيهما ، وعليه فهذه الألفاظ لا تعد من الترادف .

٤ ـ اللام والميم

قال أبو زيد : « الرؤال والرؤام : اللعاب[7] » .

ومع اختلاف اللام والميم في المخرج حيث ان اللام ذلقية والميم شفهية الا أنهما اتفقتا بالجهر والانفتاح والاستفال والوضوح السمعي ، فأمكن وقوع تطور بينهما ، جعلنا نستبعد هذه اللفظة من الترادف .

٥ ـ الباء والميم

قال أبو زيد[8] : « صئب الرجل من الماء يصأب صأبا ، وصئم منه يصأم صأما وهما واحد وهو شربه من الماء أو غيره من الأشربة » .

١،٢) لسان العرب /هرد ، ستى
٣،٤) المرجع السابق /عهب ، معط
٥) المرجع السابق / لمق
٦) المرجع السابق / لقس
٧) المرجع السابق / رال
٨) كتاب الهمز / ١٦

تقارب الصوتان (الباء والميم) في المخرج والصفة حيث انهما من الأصوات الشفوية والمجهورة ، لذلك وقع التطور في هذه اللفظة فأخرجت من الترادف ٠

٦ ـ الفاء والميم

قال أبو زيد [١] : سوّفت الرجل أمرى تسويفا أي ملكته وكذلك سومته » ٠

والفاء والميم شفهيتان اتحدتا في المخرج واشتركتا في الانفتاح والاستفال والذلاقة ، وعليه سهل وقوع التطور فيهما ، فاستبعدت اللفظة من الترادف ٠

٧ ـ اختلاف ترتيب الأصوات

قال أبو زيد : « يقال هو على تلك الدّجمة والدّمجة أي الطريقة [٢] » ٠

وقال[٣] : « دقمت فمه أدقمه دقما اذا كسرت أسنانه وقالوا أدمقه دمقا وهما واحد » ٠

وهكذا يتبين لنا أن هذه الألفاظ ذات أصل واحد ، تطورت صورتها باختلاف ترتيب أصواتها ، وليست هذه الألفاظ بمترادفات حسب المعنى الذي أشرنا اليه للترادف ٠

ثانيا : أبو زيد والمعاجم اللغوية

عني أبو زيد الأنصاري برواية اللغة ونصوصها ، وتوفر على تدوينها وشرح مفرداتها ، فقد أفنى سنوات من عمره المديد في الارتحال الى البادية ، يجوب صحراءها ويتنقل بين قبائلها ، يشافه أعرابها ، ويدوّن ما يسمعه ، ثم يعود الى البصرة وقد نفذت قناني حبره ، وامتلأت صحائفه بما جمعه من ألفاظ اللغة ونصوصها ، وقد تكررت رحلاته الى البادية واشتهر بها حتى أجمعت كتب الطبقات على عدّه من كبار اللغويين الذين رووا لنا جلّ ما في أيدينا من اللغة ٠

كان أبو زيد في المرحلة الأولى يسجل ما يسمعه من الأعراب أو يأخذه عن شيوخه في صحائفه دون تنسيق معين ، ثم جاءت مرحلة ثانية ، وهي تفريغ ما جمعه في كتب أو رسائل يدور كل منها حول موضوع معين أو فكرة محددة كما في كتاب **المطر واللبن والابل والشجر والوحوش** وغير ذلك ٠

وقد كان لأبي زيد فضل في اشتهاره بتأليف الكتب في مرحلة جمع اللغة حيث كان من أكثر علماء البصرة تأليفا للكتب فبلغ ما ألفه منها **خمسة وخمسين مصنفا** على نحو ما بينت في الفصل الأول من هذا الباب ٠

وجدير بالذكر هنا أن أبا زيد ومن في طبقته من علماء اللغة بكثرة تأليفهم لمثل هذه الكتب **قد ساهموا في وضع اللبنة الأولى للمعاجم العربية ومهدوا السبيل لنشاتها** ٠

ونحن اذا استعرضنا جهود مؤلفي المعاجم العربية نرى أنها ـ على عظيم فضلهم فيها ـ كانت تؤسس على جهود من سبقوهم من علماء اللغة من أمثال أبي زيد ومن في طبقته ، الأمر الذي يجعل جهد صاحبنا في المعجم العربي بارزا وشاهدا له بالفضل على مرّ الزمن ٠

---

١) لسان العرب / سوف

٢) المرجع السابق /دمج

٣) النوادر في اللغة /١٩٧

وفي ظننا أنه ليس يكفي هنا أن نقف عند هذا الحد في بيان أثر أبي زيد في المعجم العربي· اننا لو فعلنا ذلك لم نكن الا مرددين لما يقوله الباحثون والدارسون من قبل ، لهذا رأينا أن نجعل هذا الأثر **لأبي** زيد في المعجم حقيقة ملموسة ، ولتحقيق هذا الغرض قمت بجمع روايات أبي زيد في معجم العربية الأشهر ــ وهو **لسان العرب** ــ ثم أحصيتها فالفيتها **ثماني عشرة وستمائة والف رواية ١٦١٨** · وتلك خطوة جديدة في النظر في آثار أبي زيد ما نظن أن أحدا قام بها من قبل ·

هذه الثروة اللفظية الضخمة لأبي زيد في معجم واحد خير دليل على أنه كـان **مصدرا هامـا للمعجم العربي** ·

بقي أن أشير الى الملاحظات السريعة التالية على روايات أبي زيد في معجم لسان العرب :

١ ــ وجدت أبا زيد في هذه الروايات يعني **بالاشارة الى الألفاظ المعربة** ومن ذلك :

أ ــ اشارته الى أن لفظة محزرق **نبطية** وقد وردت في قول الأعشى :

حتى ماتَ وهو مُحَزْرَقُ [1]

ب ــ ومن الألفاظ التي عرّبت من **العبرانية** هيت لك ، قال أبو زيد :

« هيت لك بالعبرانية هيتالج أي تعال أعربه القرآن [2] » ·

جـ ــ ودخلت لفظة الصحناة العربية من **الفارسية** ، قال أبو زيد :

« الصحناة فارسيـة وتسمّيهـا العرب الصِّير » [3] ·

كما دخلت العربية أيضا (خاش ماش) بمعنى قماش الناس وقيل قماش البيت وأنشد أبو زيد :

صَبَّحنَ أنمار بنـي مِنقاش
خوص العيون يُبَّسَ المُشاش
يحمِلن صبياناً وخاشِ مـاش

قال : سمع فارسيته فأعربها [4] ·

٢ ــ **ينفرد أبو زيد بروايات فينقلها عنه أصحاب المعاجم وعلماء اللغة** · ومثال ذلك ما رواه **الأزهري عن أبي زيد انه حكى عن أعرابي قرأ :** حبَط عمله بفتح الباء ، وعقب الأزهري بقوله : « لم أسمع هذا لغيره [5] » · وقال ثعلب : « لا أعرف البَداوة بالفتح الا عند أبيزيد وحده [6] »·

ومن المفيد أن نذكر هنا تقديم أصحاب المعاجم لروايات أبي زيـد فـي كثـير مـن الأحيـان وتوثيقهم له ·

٣ ــ **يهتم أبو زيد في هذه الروايات بالتنبيه على اللهجات العربية** ، كما كان شديد العنايـة بلغات العرب ، ووصف أنه صاحب معرفة فيها ·

١ـ٦) **لسان العرب** / حزرق ، هيت ، صحف ، خوش ، حبط ، بدا على الترتيب ·

ومن أمثلة اشارته الى اللهجات العربية ما أنشده لعلباء بن أرقم :

يا قبَّحَ اللهُ بني السِّعلاة
عمرو بن يربوع شِرار النَّاتِ
لَيسوا أعفاء ولا أكياتِ

قال : أراد الناس وأكياس وهي لغة لبعض العرب [١] . وقد أشار السيوطي الى أن ذلك **يدعى الوتم في لغة اليمن** [٢] .

وروى أبو زيد قال : « يصئَص الجرو تيصيصا اذا فتح عينيه لغة في : جصئَص لأن العرب تجعل الجيم ياء فتقول للشجرة شيرة وللجنجات جثيات » [٣] .

وقال أبو زيد : الكلابيون يقولون :

وبلدة ليس بها طوئي

الواو قبل الهمزة وتميم تجعل الهمزة قبل الواو فتقول طؤوي [٤]

٤ ـ **جمع كثيرا من الروايات التي تشهد بتوسعه في الرواية** ، ومنها قول ابن دريد : «أجاز أبو زيد رث وأرث وقال الأصمعي رث بدون ألف [٥] » . وقال أبو حاتم : « قال أبو زيد مرة : رجل أثط ، فقلت له أتقول أثط ؟ قال : سمعتها [٦] » .

وقال أبو زيد : « محقه الله وأمحقه وأبى الأصمعي الامحقة [٧] » .

٥ ـ **جاءت روايات كثيرة شاهدة على معرفة أبي زيد الواسعة بكلام العرب** ، ومثال ذلك : قال أبو زيد [٨] : « يقال للناقة بعد البزول شارف ثم عَوْزَم ثم لِطلِط ثم حَجمَرِش ثم جَمعاء ثم ذِلقِم اذا سقطت أضراسها هرما » .

٦ ـ **يشير أبو زيد الى المشترك اللفظي وحروف التضاد والترادف** ، وقد بينت ذلك في مكانه من البحث ويعني **بظاهرة الاتباع في اللغة** ، فقد جاء قوله : « يقال جوعا له ونوعا ، وجوسا له وجودا [٩] » .

٧ ـ تردد في هذه الروايات ذكر كتب أبي زيد التالية : **النوادر في اللغة** [١٠] ، **الهمز** [١١] ، **الشجر** [١٢] ، **المطر** [١٣] ، **المصادر** [١٤] ، **حيلة ومحالة** [١٥] ، **الغنم** [١٦] ، **وكتاب الأمثال** [١٧] .

---

١) **لسان العرب** / نوت
٢) انظر **المزهر** ـ السيوطي ٢٢٢/١
٤،٣) **لسان العرب** /يصص ، طأ
٦،٥) المرجع السابق/رثث ، ثطط
٧) المرجع السابق / محق
٨) المرجع السابق / دمق
٩) المرجع السابق / نوع
١٠) المرجع السابق / بكم ، حتم ، قهم ، قوم ، دنا ، ضوا ، ضنط ، شمل ، فقع ، شقق ، وجن ، جوا .
١١) المرجع السابق / شاب ، ثاج ، باس ، داظ ، دال ، زام ، زرم ، قثا .
١٢ـ١٧) المرجع السابق / عضض ، غرل ، تام ، دهده ، جها، غزر .

٨ ـ **يهتم أبو زيد بالاشارة الى النوادر** مما يقودنا للحديث عن أثر أبي زيد في هذه الظاهرة اللغوية التي اشتهر بها ٠

ثالثا : أبو زيد والنوادر

مكانة أبي زيد في النوادر

اشتهر أبو زيد بكثرة تنقلاته في البادية ، ومشافهته للأعراب ، وقد عني أثناء رحلاته بتتبع الألفاظ النادرة وتسجيلها في صحائفه ، حيث أودعها كتابه المشهور « **النوادر في اللغة** » ٠

وقد أكثر علماء اللغة في عصر أبي زيد من التأليف في النوادر ، وذكر أصحاب الطبقات عشرات من الكتب المؤلفة في هذه الظاهرة اللغوية ، حتى لا نكاد نجد عالما من علماء اللغة ورواتها الذين عاشوا في هذا الدور الا وله كتاب في النوادر أو كتابان أو أكثر ٠

وبرغم كثرة الكتب المؤلفة فاننا وجدنا نوادر أبي زيد عَلَماً بينها اشتهر أمرها على مرّ الأيام والعصور ، وأكب عليها الأعلام من علماء اللغة ينهلون من معينها ، ويكفي للتدليل على علوّ مكانتها أن نشير لما ذكره أصحاب الطبقات من أن أبا العباس الرياشى كان يحفظ الشعر الذي في النوادر ـ كما يحفظ السورة من القرآن ٠

ومع أن العالم اللغوى المشهور أبا علي الفارسى ـ شيخ ابن جني ـ لم يكن راضيا عن نوادر اللحياني حين ذاكره بها تلميذه ، فانه كان يكاد يصلي بنوادر أبي زيد اعظاما لها [1] ، وقد قال لتلميذه وقت قراءته اياها عليه « ليس فيها حرف الا ولأبي زيد تحته غرض ما »[2] مما يشير الى فهم أبي زيد الدقيق لتلك الظاهرة اللغوية وحسن اختياره لمفرداتها وتضلعه بأسرارها ، وذلك ـ في ظننا ـ مبعث عظم مكانته وعلو شأنه واشتهاره في ظاهرة النوادر ٠

وقد أكد ابن جني قولة شيخه السابقة عندما عقب عليها فقال : وهو كذلك لأنها محشوة بالنكت والاسرار[3] » ٠

وقد ساعد أبا زيد في جمعه لألفاظ النوادر كثرة ارتحاله الى البادية ومعرفته الواسعة بكلام العرب ولغاتهم ٠

ولعل **شهرة نوادر أبي زيد** على مر العصور الى يومنا هذا أنها تمثل لغة البادية في الجاهلية وصدر الاسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلا جيدا ٠

وهي في مجموعها أثبت وأوسع نص لغوى وصل الينا عن المرحلة الأولى لجمع اللغة وتدوينها في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث من الهجرة ، وهي بذلك تعد مثالا جيدا للخطة البدائية التي اتبعها الرواة والعلماء في بادىء الأمر لجمع اللغة وتدوينها ٠

ويهمنا الآن أن نقدم تحليلا لنظرة أبي زيد لهذه الظاهرة اللغوية ـ النوادر ـ ونتعرف منهجه فيها وتفسيره لها من خلال الثروة اللفظية التي رواها أبو زيد في هذا المجال ٠

(١ـ٣) انظر **مخطوطة سر الصناعة** ـ ابن جني / ١٢٠ ٠

وسوف يتخلل عرضنا **أمثلة من النوادر عند بعض علماء اللغة** ، وذلك بقصد المقارنة والتوضيح ٠

تفسير ظاهرة النوادر في اللغة

بحثت في كتاب **النوادر** لأبي زيد عن تفسير لهذه الظاهرة اللغوية ، فلم أعثر على طلبتي ، فقد خلا الكتاب ـ كما علمنا ـ من مقدمة يبين فيها شيخنا تفسيرا لهذه الظاهرة ٠

لكني من خلال دراستي لهذه الأمثلة الكثيرة المروية عن أبي زيد والتي اعتبرت نوادر تبين لي أن هذا التعبير اللغوي نادر ورد بمعنى خلاف الفصيح المعروف على الأغلب ٠

وأخذت أبحث من خلال هذه الأمثلة عن تعليل لهذه الظاهرة فوجدت ما يلى :

١ ـ **نوادر لمخالفة القياس** : ان كثيرا من هذه الألفاظ اعتبرت نادرة لمخالفتها للقياس وخروجها عليه ٠

وقد وردت أمثلة على ذلك في **الجموع والمصادر والأفعال والتصغير والنسب** ٠ وسوف أكتفي بأن أسوق بعض الأمثلة المروية عن أبي زيد لتقريب ما ذهبت اليه من الأذهان :

أ ـ **فمن نوادر الجموع** التي وردت في نوادر أبي زيد وخرجت على القياس ما أنشده أبو زيد للأسود بن يعفر من قوله [1]

فَغِظناهُمُ حتَّى أتى الغيظُ منهُمُ قُلوبـاً وأكبـاداً لهـم ورئينـا

جمع (رِئة) على (رِئون) والقياس (رِئات) ٠

وروى أبو زيد في أحد أبواب **النوادر** قال : « رجل مَقتَوَين ، ورجلان مَقتَوين ورجال مَقتَوين وكذلك المرأة والنساء وهو الذي يخدم القوم بطعام بطنه وقال عمرو بن كلثوم :

تَهَدَّدْنـا وأَوْعِدْنـا رُوَيـداً متـى كنـا لأمِّـك مَقتَوينـا

قال أبو الحسن : القياس وهو مسموع من العرب أيضا فتح الواو من مَقتَوَين فتقول مَقتَوَين فيكون الواحد مَقتى فاعلم مثل مصطفى فاعلم ومصطفين اذا جمعت [2] » وقد اعتبرت مفتوين من النوادر لخروجها على القياس ٠

ب ـ **ومن نوادر المصادر** التي خرجت عن القياس :

قال أبو زيد : « وقالوا عَلِقَ يعلق علوقا ولم يجيء المصدر منه على قياس [3] » ٠

وروى أبو زيد في باب آخر من النوادر : « وَمَجَلَتْ تَمجِلُ مَجَلا « وعقب أبو الحسن بقوله : « القياس عند أهل العربية وهو شائع في كلام العرب أن يقول : مجلت يده تَمجَلُ مَجلا [4] » ٠

---

١) المرجع السابق / ١٨٨

٢) **النوادر في اللغة / ٢٤**

٤،٣) المرجع السابق/١٦٩ ، ١٧٢ ٠

وفي مكان ثالث من **النوادر** روى أبو زيد : « وتشزّن الرجل صاحبه تشزينا اذا تورّكه وصرعه والمصدر على القياس تشزنا [1] » .

ج ـ **ومن نوادر الأفعال** ما رواه أبو زيد عندما قال [2] : « حَسِبَ يَحسِبُ ويَئِسَ يَئِسُ » . والقياس أن يقال حَسِبَ يحسَبُ ويَئِسَ ييأَسُ ، لأن كل فعل مكسور العين فان مستقبله يأتي بفتح العين نحو : عَلِمَ يَعلَمُ وكَبِرَ يَكبَرُ وعَجِلَ يَعجَلُ باستثناء أربعة أحرف من الفعل السالم جاءت بالفتح والكسر ، روى أبو زيد منها الفعلين المتقدمين وأضاف الفراء أيضا اليها قوله : « ويَبِسَ يَيبِسُ ونَعِمَ يَنعِمُ ويَنعَمُ [3] ».

وجدير بالذكر أن ورود (يَفعِلُ) بكسر العين وفتحها حدث نتيجة **تداخل اللغات** في مرحلة تدوين اللغة ، فقد روى أبو زيد أن لغة عليا مضر يَئِسَ يَيْئِسُ وحسِبَ يحسِبُ وسفلاها يقولون يَئِسَ ييأَس وحسِبَ يحسَبُ [4] ، وهكذا سمعت الصيغتان في مرحلة تدوين اللغة فتداخلتا وقيل يئس ييئِسُ وييأَس وحسِبَ يحسِبُ ويحسَبُ .

د ـ **ومن نوادر التصغير التي جاءت على غير قياس ما** أنشده أبو زيد قال :

وقال سلمان بن ربيعة الضَّبِّيّ أو سلمي :

زعَمَت تماضر أنَّني اما أمُت ... يسدُدْ أبَينوها الأصاغِرُ خلَّتي

صغَّر الأبناء على أبينين على غير قياس [5] .

وقال أبو زيد : « وقالوا في تصغير الحُبارى حُبَيرَى وقالوا شكيعا مثلها» والقياس أن يقال حبيرة وشكيعة [6] .

هـ ـ **ومما اعتبر نادرا حذف ياء النسب على غير قياس :**

أنشد أبو زيد قال : وقال ابن الرقيات :

بكِّي بدَمعِك واكِفَ القَطر ... ابنَ الحواري العالي الذّكر

وقال الراجز : قَدْني من نصر الحُبَيبَين قَدْ

أراد : الحواريّ والحبيبيِّين فحذف ياء النسب [7] .

ومن امثلة ما رواه بعض ائمة اللغة نادرا لخروجه على القياس :

أ ـ **قال أبو عمرو** [8] : « ركَنَ يَركَنُ » ، وكان المنتظر أن يقال ركَنَ يركِنُ ، لأن كل فعل ماضيه على فعل مفتوح العين فان مستقبله على القياس يأتي بالضم أو بالكسر ، نحو ضرب يضرِب وقتل يقتُل ولا يأتي مستقبله بالفتح الا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد حروف الحلق الستة ، وليس الفعل الذي رواه أبو عمرو على ذلك ، فجاء نادرا .

---

١) **النوادر في اللغة**/٢٠٦
٢) المرجع السابق/٢٢٥
٣) **اصلاح المنطق** ـ ابن السكيت / ٢١٦
٤) **النوادر في اللغة** / ٢٢٥
٥،٦) المرجع السابق/١٢١ ، ٢١٠
٧) المرجع السابق / ٢٠٥
٨) **اصلاح المنطق** ـ ابن السكيت / ٢١٧

ب ـ **وقال ابن خالويه** [١] : « يقال أكب لوجهه وكبّه الله » ، وقد جاء هذا الحرف نادرا لأن القياس يوجب أن يقال كبَّ لوجهه وأكبّه الله .

ج ـ **وروى ابن السكيت** [٢] أحرفا جاءت نوادر منها قوله (مُسعُط) وكان القياس أن يقال (مِسعَط) لأن ما كان على مِفعَل ومِفعَلَة فيما يعتمل فهو مكسور الميم نحو مِخرَز ومِقطَع ومِبضَع ومِسَلَّة ومِخَدّة ومِصدَغة ومِخلاة .

د ـ **وزعم الكسائي** [٣] أنه سمع (مَوْجَل) وسمع الفراء (مَوْضَع) من قولك وضعت الشيء مَوْضَعا وكان القياس أن يقال : مَوْجِلا ومَوْضِعا لأن ما كان على فَعِلَ مما كان فاء الفعل منه واوا فان مصدره اذا كان على مَفعِل مكسور ، نحو قولك : وَجِل يَوْجَل وَجَلا وَمَوْجِلا .

هـ ـ ومن مخالفة القياس ما **رواه السيوطي** من قول الشاعر :

الحمدُ للـهِ العليِّ الأَجْلَلِ

حيث أضاف بأن القياس الأجلّ بالادغام [٤] .

هذه الأمثلة السابقة ومثيلاتها تظهر اتفاق ائمة اللغة مع ابي زيد في منهجه في النوادر كما تبين صحة نظرته اليها على أساس مخالفة اللفظ للقياس وخروجه عليه .

٢ ـ **نوادر لقلة الاستعمال :** ووردت ألفاظ أخرى في نوادر أبي زيد واعتبرت نادرة لقلتها في الاستعمال ومعلوم أنه اذا تعارض السماع والقياس نطقت بالمسموع على ما جاء عليه لأنك انما تنطق بلغة العرب ، وتحتذى في جميع ذلك أمثلتهم ، ويدلنا هذا على **مدى قوة الاستعمال وسطوته** ، كما يبين أن مخالفة القياس والخروج عليه لا تحل لنا مشكلة النوادر ولا تفسرها وحدها ومن هنا يأتي دور الاستعمال ليوضح لنا هذه الظاهرة اللغوية .

وعلامة كون اللفظة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا ، أو أكثر من استعمالهم لفظة بمعناها ، فالمراد بالفصيح ما كثر استعماله في ألسنة العرب ، وعليه فالنادر ما قلّ استعماله ، وكلما كثر استعمال اللفظة وعرفها جمهور أكبر من العرب وشاعت على ألسنتهم كانت أجود وأفصح ، وعلى العكس من ذلك فكلما قل استعمال اللفظة وعرفها ناس من العرب قليلون كانت نادرة مجهولة ، وعلى هذا فكثرة الاستعمال أو قلته هو المعيار الصحيح الثابت الذي به يمكن لنا أن نحكم أن هذا اللفظ فصيح معروف وأن ذاك اللفظ نادر مجهول .

وقد بنى البصريون مذهبهم على أساس الشائع في الاستعمال واعتبروا ما قلّ شاذاً ونادراً ولم يقيسوا عليه .

ومن الأمثلة التي جاءت نادرة عند ابي زيد لقلتها في الاستعمال ما يلي :

أ ـ انشد ابو زيد لغريبة بن الأشيم قوله [٥] :

فـاذا سَمِعـتُ بأنَّني قَدْ بِعتُهُ بوصال غـانِيَة فَقُلْ كُذّبْذُبُ

---

١) **المزهر ـ السيوطي** ٢٣٨/١
٢) **اصلاح المنطق** /٢١٨
٣) المرجع السابق / ٢٢٠
٤) **المزهر ـ السيوطي** ١٨٦/١
٥) **النوادر في اللغة** /٧٢

والكذبذب الكاذب لكنه يقل في الاستعمال لأنه يندر ورود ثلاث عينات وبذلك شذ عن الأبنية التي حكاها سيبويه في كتابه ، وقد عقب أبو علي على هذا الحرف قال : « وهذه الكلمة كذبذب يحكى فيما شذ عن سيبويه في الأبنية ، ولولا ثقة أبي زيد وسكون النفس الى ما يرويه لكان ردّها مذهبا [1] ».

ب ـ **وانشد ابو زيد :**

أمسوا كَمذْعورةِ الأَرْوى اذ افزعها عُرْجُ الضباعِ تُبارى الأُسدَ والذّئبَا

قال أبو زيد: جمع ذيبا على ذِئَب ، قال أبو الحسن : فِعل وفِعَل يقل جدا في الكلام ولا أعلمه محفوظا [2] .

ومن هنا جاءت النَدرة كما ترى .

ج ـ **وانشد ابو زيد قال :** وقال ذو الخرق الطهوى ، جاهلي [3] :

يَقولُ الخَنا وأبغَضُ العُجمِ ناطِقاً الى ربِّنا صوتُ الحمارِ اليُجَدّعُ

قد أدخل (أل) على الفعل وهذا مخالف للاستعمال فكان نادرا .

د ـ **وروى أبو زيد :** صلح صلاحا وصُلوحا وفسد فسادا وفُسودا ، وأنشد [4] :

وكَيفَ بأطرافي اذا ما شَتَمتَني وما بَعدَ شَتمِ الوالدينِ صُلوح

المشهور المستعمل من هذه المصادر : (صلاح) و (فساد) . أما (صُلوح) و (فُسود) فلم يكثر استعمالها ، فسقطا لذلك وكانا من النوادر .

وزاد أبو مسحل الأعرابي في نوادره أيضا [5] : ذهب ذَهابا وذُهوبا وكَسد كسادا وكُسودا وفسد فَسادا وفسودا وأنشد :

كَسَدْنَ مِن الفَقر في قومِهِنَّ فقد زادهن سَوادى كُسودا

ومن أمثلة ما عدّه ائمة اللغة نادرا لقلته في الاستعمال ما جاء في نوادر أبي مسحل قال : « ويقال : قد أنتَنَ اللحمُ ونَتُن فمن قال : نتُن قال مِنتِن ومن قال : أنتن قال: مُنتِن وهي أجودهما وقالوا مَنخِر ومِنخِر ولم نجد في الكلام على مِفعِل الا مِنخِر ومِنتِن ، وهما نادرتان [6] » .

وهكذا فقد عدّ اللفظان من النوادر لقلة الاستعمال .

---

١) الحجة في علل القراءات السبع ـ ابو علي الفارسي ٢٢٨/١
٣،٢) النوادر في اللغة/١٨٤ ، ٦٧
٤) اصلاح المنطق / ١١٠
٥) كتاب النوادر ٢٢٦/١ تاليف ابي مسحل الأعرابي تحقيق الدكتور عزة حسن ، طبعة دمشق ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
٦) المرجع السابق ٨٣/١

وجاء فيه أيضا : « وهذه أرض منصورة ومغيوثة ومغيثة ولغة هذيل مغاثة لأنهم يقولون : أغاثها المطر ، وغيرهم من العرب يقول قد غيثت فهي مغيثة ومغيوثة ، وهو أكثر[1] » ·

وهكذا عدت (مغاثة) من النوادر لأنها خاصة بهذيل وكلام الجمهور من العرب غير ذلك ·

وجاء في نوادر اليزيدي[2] : « يقال : أَلَقتُ الدَّواةَ الاقَةَ ولقتُها ليقا رديئة ، وتقول أقلتُه البيع اقالة ، وقِلتُهُ قيلا رديئة ·

وفي ديوان الأدب للفارابي يقال[3] : هو أخير منه في لغة رديئة والشائع هو خير منه بلا همز » ·

وفي **لسان العرب** جاء قول صاحبه في مادة (خيل) : « وتقول في مستقبله اخال بكسر الألف وهو **الأفصح** ، وبنو أسد يقولون : أَخال بالفتح وهو القياس والكسر اكثر استعمالا » ·

وهذا المثال يدلنا على مدى قوة الاستعمال وسطوته ·

مما تقدم نتبين اتفاق أئمة اللغة في منهجهم مع أبي زيد في نظرته الى ظاهرة النوادر في اللغة وتحليله لها على أساس اعتبار اللفظة القليلة الدوران على ألسنة العرب نادرة ·

٣ ـ **الاتساع في الرواية** : كما وردت أمثلة أخرى واعتبرت نادرة نظرا لمنهج أبي زيد في جمع اللغة القائم على الاتساع في الرواية ·

فقد اشتهر أبو زيد بالرحلة الى البادية ، وبالرواية عن الفصحاء ، وكان كثير السماع عن العرب ، لكنه متسع في روايته ، يوسع دائرة **الأخذ** ، ويروى ما يسمع ولو كان نادرا وغريبا ، ويجعل الشاذ والفصيح واحدا فيجيز كل شيء ·

وهو في منهجه هذا على نقيض **الأصمعي** الذي يضيق دائرة الأخذ ولا يروى الا أصح اللغات وأفصحها ويقوم منهجه على اعتماد القليل الصحيح، جاء في **المزهر**[4] : « قال ابن خالويه في شرح الفصيح : قال أبو حاتم : كان الاصمعي يقول أفصح اللغات ويلغي ما سواها وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحدا فيجيز كل شيء » ·

وهذان الرأيان ـ رأي أبـي زيد ورأي **الأصمعي** ـ يمثلان الطرفين المتباعدين في مذهبين مختلفين في قضية النوادر في اللغة ·

وقد أدى تباين وجهات النظر عند علماء اللغة أنفسهم واختلاف معاييرهم في تقدير فصاحة الألفاظ وغرابتها الى ورود أمثلة كثيرة عدت من النوادر ·

ويجدر بنا الآن أن نسوق بعض الأمثلة من نوادر ابي زيد لتوضح لنا ما اسلفنا :

أ ـ انشد أبو زيد لعبدة بن الطبيب[5] :

فبكى بَناتـي شجوَهُنّ وزَوجَتي والطَّامِعونَ الـيَّ ثم تَصدَّعوا

---

١) النوادر لابي مسحل / ٣٦٩

٢،٣) المزهر ـ السيوطي ٢٢٤/١

٤) ٢٣٢/١

٥) النوادر في اللغة /٢٣

أما (الزوج) فيوضع للمذكر والمؤنث فتقول المرأة هذا زوجي ويقول الرجل هذه زوجي وتلك هي اللغة الفصيحة التي وردت في القرآن الكريم [١] .

لكن لفظة (زوجتي) وردت في الشعر وأجازها أبو زيد في الرواية وأنكرها الأصمعي وقال : لا تكاد العرب تقول زوجته [٢] » .

ونفهم من هذا القول الذي أوردناه سابقا أن الأصمعي كان يعد (زوجي) فصيحا فيأخذه ويعد (زوجتي) خلاف الفصيح فيلغيه ، وليس الأمر كما يفعل الأصمعي وانما هذا منه رأي ارتآه ومقياس اتخذه لنفسه .

ومن الدلائل على فصاحة (زوجتي) وتمكنها من الفصاحة أنها زحمت (زوجي) وغالبتها حتى أتى حين من الدهر على اللغة العربية صارت فيه (زوجي) من النوادر وشاعت (زوجتي) على ألسنة الناس وأقلام الكتاب الى يومنا هذا .

ب ـ **وروى ابو زيد في باب نوادر ما يلي** [٣] : « وقالوا صِداق المرأة وصُدْق وأَمهَرْتُ وَأَصدَقتُ واحد » .

قال أبو الحسن : أخبرني أبو العباس محمد بن يزيد قال : « وَمَهَرْتُ المرأة هي المشهورة الفصيحة وأَمهَرْتُ لغة وليست في جودة الأولى » .

وقد أجاز أبو زيد قولهم : « وأمهرت لأنه يوسع دائرة الأخذ ويجعل الفصيح والشاذ واحدا فقد سمعها من العرب » وأنشد لقحيف العقيلي قوله [٤] :

أُخِذْنَ اغتصاباً خِطبة عَجرَفِيَّة ... وَأُمهِرْنَ أرماحا من الخط ذُبَّلا

جـ ـ **وروى ابو زيد في نوادره قال** [٥] : « ويقال سخيت النار مثل رميت في الزنة وسخوتها أسخوها سخوا اذا جعلت لها مذهبا تحت القدر أو غير ذلك » وعقب أبو الحسن قال :

« الذي عليه الناس سخوت النار وسخيتها لغة » .

لكن أبا زيد سمع سخيت ولم يرفضها لاتساعه في الرواية .

وجدير بالذكر أنالأمثلة المتَقدِّمة قريبة من قلة الاستعمال لكن رواية أبي زيد لها تدل على توسعه حيث ان بعض العلماء كالأصمعي لا يلتفتون الى هذه الأمثلة .

٤ ـ **نوادر لكونها معربة** : وردت أمثلة أخرى واعتبرت من النوادر لكونها معربة دخيلة على العرب ، **انشد ابو زيد للعذافر الكندي قوله** [٦] :

---

١) **لسان العرب / زوج**
٢) **المزهر ـ السيوطي ١٢٩/١**
٤،٣) **النوادر في اللغة / ٢٠٧ ، ٢٠٨**
٥) /١٣٥
٦) **النوادر في اللغة/٣٠٨**

قالت سليمي اشترْ لنا سويقا
وهات برّ البَخسِ أو دقيقا
واعجل بشحم نتخذ خُرْديقا

الخُرْديق بالفارسية : المرقة ، مرقة الشحم بالتابل ·

وقد وافق أبا زيد في نهجه المتقدم ابو مسحل الأعرابي فروي في نوادره الفاظا عدت من النوادر لكونها معربة ، قال أبو مسحل [١] : « ويقال : بنّس يا فلان وبنّش يريد اجلس وهو مأخوذ من الفارسية وانشد :

تقول ذات المِجسَدِ المُوَرّس
والحَلي ذي الهتامِلِ المُوسوسِ
ان كنت غيرَ صائِدى فبنّسِ

هذه أمثلة من شانها ان تبين الأسباب التي من أجلِها عدت بعض الألفاظ من النوادر ·

وقد زاد أبو زيد **فروى نوادر في الأسلوب** ضرب قوله : « ويقال اذا طلعت الجوزاء انتصب العود في الحرباء يريدون انتصب الحرباء في العود وذلك في شدة الحر » ·

يبقى أن نشير الى أنه ليس كل ما في كتاب **النوادر** مخالفا للقياس ونادرا أي قليل الاستعمال ، حيث اننا نقع كثيرا على الفاظ تتمتع بالشيوع والاستعمال العريض ·

والملاحظ أن مؤلفي كتب النوادر كانوا يوردون النادر الشاذ من اللغة الى جانب الفصيح المشهور منها للدلالة على النادر ومعرفة معناه وموضع استعماله ·

فوائت كتاب النوادر

وقعت في روايات أبي زيد الواردة في معجم **لسان العرب** والتي قمت بجمعها على الفاظ نادرة لم أجدها في كتابه **النوادر** ، مما يدل دلالة واضحة أن الكتاب لم يضم كل ما روى عنه في هذه الظاهرة اللغوية ، وأن الثروة اللفظية التي رواها أبو زيد من النوادر جاوزت ما ذكر في الكتاب مما يشير الى عظيم أثره في هذا المجال ·

وهذه امثلة لفوائت عثرت عليها في لسان العرب :

١ ـ **خُروب** : جاء في **لسان العرب** : «الخربة عروة المزارة ، وقيل أذنها ، والجمع خرب وخروب ، هذه عن أبي زيد نادرة » ·

٢ ـ **سكّينَة** : والسكّينة لغة في السّكينة عن أبي زيد ، وهذا البناء عزيز أو معدوم ولا يعلم في الكلام فعّيلة ·

٣ ـ **خُبوث** : الخبيث ضد الطيّب من الرزق ، وحكى أبو زيد في جمعه خبوث وهو نادر أيضا ·

---

١) نوادر ابي مسحل ٢/٥١٥ ، ٥١٦

٤ ـ **يافع** : قال أبو زيد : سمعت يفعة ووفعة بالياء والواو ، وقد أيفع أي ارتفع وهو يافع على غير قياس ، ولا يقال موفع وهو من النوادر .

٥ ـ **غَلَقَ** : غلق الباب واغلقه وغلّقه الأولى عن ابن دريد عزاها الى أبي زِيد وهي نادرة .

٦ ـ **لا فال عليك** : قال أبو زيد : تفاءلت تفاؤلا ، وذلك أن تسمع الانسان وأنت تريد الحاجة يدعو يا سعيد يا أفلح أو يدعو باسم قبيح ، والاسم الفأل مهموز ، وفي نوادر الأعراب : يقال لا فال عليك بمعنى لا خير عليك ولا طير عليك ولا شرّ عليك .

٧ ـ **الشئمة** : جاء في لسان العرب : «والشئمة مهموزة : الطبيعة حكاها أبو زيد، قال ابن سيده : والذي عندي فيه أن همزه نادر لأنه ليس هناك ما يوجبه .

٨ ـ **أَقرِوَة** : وحكى أبو زيد : أَقرِوَة ، مصحح الواو وهو نادر من جهة الجمع والتصحيح .

الخـاتمة

بعد هذا التطواف في أبي زيد الأنصارى واتجاهه في الدراسات الصرفية والنحوية ، وفي الثروة اللفظية ، من حقنا أن نقف قليلا لنتساءل : ماذا حققنا في هذه الدراسة ؟ وما النتائج التي انتهينا اليها ؟

لم يكن البحث في أبي زيد الأنصاري بالأمر السهل خاصة بعد ضياع غالبية آثاره ، ولكننا استطعنا بعد العناء والبحث أن نجمع الأخبار المروية عن أبي زيد فـي كتـب التراجـم والطبقات فنصور حياته وثقافته الواسعة ، ومنزلته العلمية الرفيعة ٠

أما من ناحية آثار أبي زيد فانه يمكن القول : اننا أول من حاول توثيق كتـب أبـي زيـد الموجودة بشكل مطمئن تجاوز التوثيق التاريخي ، حيث قمنا بجمع نصوص عثرنـا عليهـا فـي أمهات كتب اللغة وقابلناها بمثيلاتها في كتب أبي زيد الموجودة امعانا في التوثيق ، ومن هنا جاء عملنا جديدا في بابه ٠

وأمر آخر لم يسبقنا أحد اليه في هذا المجال وهو الكشف عن الخطأ الذي وقع فيه صمويل ناجلبرغ ـ ناشر كتاب **الشجر** ـ عندما نسبه ـ خطأ ـ لابن خالويه في حين أنه كتاب أبي زيد وقد أقمنا الدليل على ذلك بمقابلة النصوص الواردة في كتب اللغة على لسان أبي زيد بمثيلاتها في الكتاب ٠

أما اتجاه أبي زيد في الدراسات الصرفية والنحوية فقد أوضحنا فيه خروجه على تقليد أهل البصرة بعدم الأخذ عن الكوفيين مما عزز تفكيره الحر ونهجه المستقل ، كما استعرضنا مظاهر نزعته البصرية ثم الكوفية فالاستقلاليـة حيـث انتهينا الى أن أبا زيد من واضعي بذور المدرسة البغدادية ، ولعل ذلك أهم ما في هذا البحث ٠

واستطعنا أن نبرز جهود أبي زيـد في تيسير النحو العربي وأن نشير الى أن هذه الجهود كانت صيحة مبكرة في مجال اصلاح النحو رغم أنها لم تصادف أذنا صاغية في حينها بين أتباع المدرسة البصرية بسبب شغفهم بكتاب سيبويه ٠

وقد أظهرت هذه الجوانب المتقدمة التي كشفنا عنها في اتجاه أبي زيد في الدراسات الصرفية والنحوية الى أنه كان مظلوما عندما تخطّاه بعض أصحاب الطبقات فلم يذكروه في طبقات النحويين ٠

أما اتجاهه في الثروة اللفظية فقد استعرضنا فيه النزعتين : البصرية والكوفية ، وأفضنا الحديث عن مظاهر استقلاله ٠ ثم توقفنا عند جهوده في ميدان الثروة اللفظية فتكلمنا عن أثره في الدلالة والمعجم العربي والنوادر في اللغة ٠

ويمكننا أن نلخص عملنا في هذا البحث بما يأتي :

١ ـ جمعنا المعلومات والأخبار المتناثرة عن أبي زيد ورسمنا صورة واضحة لحياته وثقافته واتجاهه المذهبي ، كما ناقشنا الروايات المختلفة في نسبه وسنة وفاته ، وانتهينا الى توثيق نسب أبي زيد وسنة وفاته ٠

٢ ـ تتبعنا آثار أبي زيد واحصيناها ، وجمعنا كتبه الموجودة ووثقناها بطريقة لم نسبق اليها ٠

٣ ـ كشفنا عن الخطأ الذي وقع فيه المستشرق صمويل ناجلبرغ ـ ناشر كتاب **الشجر** ـ عندما نسبه ـ خطأ ـ الى ابن خالويه ، وأقمنا الدليل على أنه كتاب أبي زيد في الشجر ، وذلك ما لم يسبقنا اليه أحد ٠

٤ ـ ورسمنا صورة واضحة لاتجاه أبي زيد في الدراسات الصرفية وانتهينا الى أنه من واضعي بذور المدرسة البغدادية ٠

٥ ـ أبرزنا جهود أبي زيد في تيسير النحو العربي باعتبار أنها صيحة مبكرة في اصلاح النحو ٠

٦ ـ أوضحنا مظاهر استقلال شخصية أبي زيد التي كان من أبرزها استشهاده بالحديث الشريف ومخالفته لعلماء اللغة الذين توقفوا عن ذلك ٠

٧ ـ قدّمنا خطوة جديدة في النظر في آثار أبي زيد ما نظن أن أحدا قام بها من قبل حيث جمعنا روايات أبي زيد في **معجم لسان العرب** ٠

هذا ما استطعنا أن نقوم به في هذا البحث ٠

ومن الله العون والتوفيق ٠

المراجـع

أولا : المخطوط

ابن جني ، أبو الفتح عثمان الأزدي ٠

١ ـ **سر صناعة الاعراب** ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٢٠ لغة ٠

أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسى ٠

٢ ـ **ارتشاف الضرب** ، دار الكتب المصرية ، رقم ٨٢٨ نحو ٠

الخولي ، أمين ٠

٣ ـ **الاجتهاد في النحو** ، جامعة القاهرة ، رقم ٣٨٦٨٨ ٠

الذهبي ٠

٤ ـ **تاريخ الاسلام** ، دار الكتب المصرية ، رقم ٤٢ تاريخ ٠

السيرافي ، أبو سعيد ٠

٥ ـ **شرح الكتاب** ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٣٧ نحو ٠

الشافعي ، عبد الباقي اليمني ٠

٦ ـ **اشارة التعيين** ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٦١٢ تاريخ ٠

شريف ، محمد أبو الفتوح ٠

٧ ـ **ابن خالويه وأثره في الدراسات الصرفية** ، دار العلوم ، رقم ٣٠٣ رسائل ٠

ابن قاضى شهبة ٠

٨ ـ **طبقات النحاة واللغويين** ، دار الكتب المصرية ، رقم ٢١٤٦ تاريخ ٠

ابن قدامة ، أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسى الحنبلى ٠

٩ ـ **الاستبصار في أنساب الأنصار** ، دار الكتب المصرية ، رقم ٤٤٨٩ تاريخ ٠

المالكي ، محمد بن علي بن أحمد الداودي ٠

١٠ ـ **طبقات المفسرين** ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٦٨ تاريخ ٠

محمد عبد القادر أحمد (دكتور) ٠

١١ ـ **النوادر في اللغة** ، جامعة القاهرة ، رقم ٩٨١ رسائل ٠

أبو مسلم ٠
١٢ ـ **المجالس المذكورة للعلماء** لأحد علماء القرن الرابع ، دار الكتب المصرية ، رقم ٧٧ ش ، وقد صورتها دار الكتب باسم مجالس أبي مسلم برقم ٩٠٥٨ أدب ٠
ابن مكتوم ٠
١٣ ـ **تلخيص أخبار النحويين واللغويين** ، دار الكتب المصرية ، رقم ٢٠٦٩ تاريخ تيمور ٠

ثانيا : المطبوع

ابراهيم أنيس (دكتور) ٠
١ ـ **دلالة الألفاظ** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٦٣م ٠
٢ ـ **في اللهجات العربية** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، مصر ١٩٦٥م ٠
ابراهيم مصطفى ٠
٣ ـ **احيـاء النحو** ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥١م ٠
أحمد أمين ٠
٤ ـ **ضحى الاسلام** ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، مصر ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٣م ٠
أحمد مكي الأنصاري (دكتور) ٠
٥ ـ **أبو زكريا الفراء** ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م ٠
ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ٠
٦ ـ **النهاية في غريب الحديث** ، تحقيق محمود محمد الطناحي وزميله ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م ٠
الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ٠
٧ ـ **تهذيب اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ٠
الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ٠
٨ ـ **الأضداد** ، نشر الـدكتور أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣م ٠
ابن الانباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ٠
٩ ـ **نزهة الألباء فـي طبقـات الأدباء** ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، طبعة بغداد سنة ١٩٥٩م ٠
١٠ ـ **الانصاف فـي مسائل الخـلاف** ، تحقيق محمد محيي الديـن عبـد الحميد ، عنـي بنشره محمود توفيق ، الطبعة الثالثـة ، مطبعـة السعـادة بالقاهرة ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ، المكتبة التجارية الكبرى٠
ابن الانباري ، محمد بن القاسم ٠
١١ ـ **الأضداد** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيـم ، دائرة المطبوعـات والنشر بالكويـت ١٩٦٠م ٠
باقر محمد الموسوي الأصفهاني ٠
١٢ ـ **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات** ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٦٧هـ ٠
بروكلمان ، كارل ٠
١٣ ـ **تاريخ الأدب** ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ١٩٦١م ٠

البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ٠
١٤ ـ **تاريخ بغداد** ، مكتبة الخانجي بمصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م ٠
البغدادي ، عبد القادر بن عمر ٠
١٥ ـ **خزانة الأدب** ، تحقيق محمد محيي الدين وزملائه ، الطبعة الاولى ، مصر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ٠
البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن طاهر ٠
١٦ ـ **الفرق بين الفرق** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح ، مطبعة المدني ، القاهرة ٠
البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ٠
١٧ ـ **فتوح البلدان** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦م ٠
ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ٠
١٨ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ٠
الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ٠
١٩ ـ **البيان والتبيين** ، تحقيق عبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٤٨م ٠
٢٠ ـ **الحيوان** ، تحقيق عبد السَّلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٩٦٥م ٠
ابن الجزرى ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ٠
٢١ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء** ، مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ٠
٢٢ ـ **النشر في القراءات العشر** ، القاهرة ، مطبعة مصطفى محمد ٠
ابن جني ، أبو الفتح عثمان الازدي ٠
٢٣ ـ **الخصائص** ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الاولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ٠
٢٤ ـ **المنصف** ، تحقبق ابراهيم مصطفى وزميله ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ٠
٢٥ ـ **المحتسب** ، تحقيق علي النجدي ناصف وزملائه ، القاهرة ١٣٨٦هـ ٠
ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ٠
٢٦ ـ **الأذكياء** ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ)٠
الجوهري ، اسماعيل بن حماد ٠
٢٧ ـ **الصحاح** ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٧٧هـ ٠
ابن حجر العسقلاني ٠
٢٨ ـ **تهذيب التهذيب** ، الطبعة الاولى ، حيدر أباد ١٣٢٦هـ ٠

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ٠

٢٩ ـ **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م ٠

حسين نصار (دكتور) ٠

٣٠ ـ **يونس بن حبيب** ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م ٠

أبو حيان الأندلسى ، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ٠

٣١ ـ **البحر المحيط** ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٩م ٠

أبو خيان التوحيدي ٠

٣٢ ـ **الامتاع والمؤانسة** ، تصحيح أحمد أمين وزميله ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، طبعة مصر ١٩٣٩م ٠

ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ٠

٣٣ ـ **كتاب الشجر** ، عني بنشره المستشرق الدكتور صمويل ناجلبرغ ، مطبعة ماكس شمرسوف ، كرخهين ١٩٠٩م ٠

٣٤ ـ **مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع** ، النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٣٤م ٠

ابن خلكان ، أبو شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ٠

٣٥ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨م ٠

ابن خير الاشبيلى ، أبو بكر محمد ٠

٣٦ ـ **فهرسة ما رواه عن شيوخه** ، مؤسسة الخانجي بالقاهرة والمكتب التجاري ببيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٢٨هـ/١٩٦٣م ٠

خير الدين الزركلي ٠

٣٧ ـ **الأعلام** ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ٠

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأسدي ٠

٣٨ ـ **جمهرة اللغة** ، مكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ ٠

الزبيدي ، السيد محمد مرتضى الحسيني ٠

٣٩ ـ **تاج العروس** ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ببنغازي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٠٦هـ ٠

الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن ٠

٤٠ ـ **طبقات النحويين واللغويين** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الناشر : محمد سامي أمين الخانجي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ٠

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق ٠

٤١ ـ **مجالس العلماء** ، تحقيق عبد السلام هارون ، وزارة الارشاد والأنباء ، الكويت ١٩٦٢م ٠

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ٠

٤٢ ـ **المستقصى في أمثال العرب** ، طبعة أولى ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ١٣٨١هـ/١٩٦٢م ٠

أبو زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس ·

٤٣ ـ **النوادر في اللغة** ، تصحيح سعيد الشرتوني ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، لبنان ١٩٦٧م ·

٤٤ ـ **الهمز** ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٠م ·

ستيفن أولمان ·

٤٥ ـ **دور الكلمة في اللغة** ، ترجمة الدكتور كمال بشر ، دار الطباعة القومية ، مصر ١٩٦٢م ·

السجستاني ، سهل بن محمد ·

٤٦ ـ **الأضداد** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩١٣م ·

ابن سعد ، محمد ·

٤٧ ـ **الطبقات الكبرى** ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م ·

ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق ·

٤٨ ـ **اصلاح المنطق** ، تحقيق أحمد محمد شاكر وزميله ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ·

٤٩ ـ **الأضداد** ، نشر الدكتور أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣م ·

سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر ·

٥٠ ـ **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم ، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م ·

السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله ·

٥١ ـ **أخبار النحويين البصريين** ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وزميله ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٩٥٥م ·

السيوطي ، جلال الدين ·

٥٢ ـ **الاقتراح** ، الطبعة الأولى ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ١٣١٠هـ ·

٥٣ ـ **بغية الوعاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ·

٥٤ ـ **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثالثة ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ·

٥٥ ـ **المزهر** ، شرح وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وزميليه ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ، القاهرة (بدون تاريخ) ·

٥٦ ـ **همع الهوامع** ، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧هـ ·

طه الحاجري ·

٥٧ ـ **الجاحظ : حياته وآثاره** ، دار المعارف مصر ١٩٦٢م ·

أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي الحلبي ·

٥٨ ـ **الابدال** ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العربي بدمشق ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ·

٥٩ ـ **الأضداد في كلام العرب** ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٣م ٠
٦٠ ـ **شجر الدر في تداخل الكلام** ، تحقيق محمد عبد الجواد ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ٠
٦١ ـ **مراتب النحويين** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٥م ٠

عباس حسن
٦٢ ـ **اللغة والنحو بين القديم والحديث** ،دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م ٠

ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ٠
٦٣ ـ **العقد الفريد** ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٩٤٢م ٠

عبد الرحمن أيوب (دكتور) ٠
٦٤ ـ **دراسات نقدية في النحو العربي** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٧م ٠

عبد الرحمن السيد (دكتور) ٠
٦٥ ـ **مدرسة البصرة النحوية** ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ٠

عبد الصاحب الدجيلي ٠
٦٦ ـ **أعلام العرب في العلوم والفنون** ، الطبعة الثانية ، مطبعة النعمان ، النجف العراق ١٩٦٦م ٠

عبد الله بن أسعد ، أبو محمد اليافعي اليمني المكي ٠
٦٧ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية ، بيروت ـ لبنان ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ٠

عبد الوهاب حمودة ٠
٦٨ ـ **القراءات واللهجات** ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م ٠

أبو عبيد البكرى ٠
٦٩ ـ **فصل المقال** ، تحقيق احسان عباس وزميله ، طبعة الخرطوم ١٩٥٨م ٠

عرفان عبد الحميد (دكتور) ٠
٧٠ ـ **دراسات في الفرق والعقائد** ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ٠

أبو علي الفارسي ٠
٧١ ـ **الحجة في علل القراءات السبع** ، تحقيق علي النجدي ناصف وزملائه ، طبعة مصر ١٩٦٥م ٠
٧٢ ـ **الايضاح العضدي** ، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ، دار التأليف بمصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ٠

علي النجدي ناصف ٠
٧٣ ـ **سيبويه امام النحاة** ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م ٠

ابن العماد الحنبلي ، أبو فلاح ٠
٧٤ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، المكتب التجاري، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ)٠

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ٠

٧٥ ــ **الصاحبي في فقه اللغة** ، تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ٠ بدران للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ٠

أبو الفرج الأصفهاني ٠

٧٦ ــ **الأغاني** ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٥م ٠

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ٠

٧٧ ــ **أدب الكاتب** ، دار صادر ــ بيروت ، طبعة مدينة ليدن ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ٠

٧٨ ــ **تأويل مختلف الحديث** ، تصحيح محمد النجار ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ١٩٦٦م ٠

٧٩ ــ **تأويل مشكل القرآن** ، تحقيق السيد أحمد صقر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر ١٩٥٤م ٠

٨٠ ــ **المعارف** ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار الكتب المصرية ١٩٦٠م ٠

٨١ ــ **المعاني الكبير** ، الطبعة الأولى ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ــ الهند ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ٠

القفطي ، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ٠

٨٢ ــ **انباه الرواة على أنباه النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ٠

لويس شيخو ٠

٨٣ ــ **البلغة في شذور اللغة** ، الناشر : أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٤م ٠

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ٠

٨٤ ــ **الكامل** ، تعليق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٥٦م ٠

٨٥ ــ **المقتضب** ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة احياء التراث العربي ، مصر ١٣٨٦هـ ٠

محمد ثابت الفندي ٠

٨٦ ــ **دائرة المعارف الاسلامية** ، نقل الدكتور عبد الحميد يونس وزملائه ، مصر ١٩٣٣م ٠

محمد زغلول (دكتور) ٠

٨٧ ــ **أثر القرآن في تطور النقد العربي** ،دار المعارف بمصر ١٩٦٨م ٠

المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي ٠

٨٨ ــ **الأمالي** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٥٤م ٠

أبو مسحل الأعرابي ٠

٨٩ ــ **النوادر** ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ٠

ابن مضاء القرطبي ·
٩٠ ـ **الرد على النحاة** ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧م
ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ·
٩١ ـ **لسان العرب** ، دار صادر ودار بيروت ، لبنان ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ·
الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري ·
٩٢ ـ **مجمع الأمثال** ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ·
ابن النديم ، محمد بن اسحاق ·
٩٣ ـ **الفهرست** ، مكتبة خياط ، بيروت ـ لبنان ١٩٦٤م ·
ياقوت الحموي ·
٩٤ ـ **معجم الأدباء** ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، طبعة دار المأمون ، القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ·
اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ·
٩٥ ـ **تاريخ اليعقوبي** ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م ·
اليغموري ، أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ ·
٩٦ ـ **نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء** ، تحقيق رودلف زلهايم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٤م ·
يوسف اليان سركيس ·
٩٧ ـ **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة** ، مكتبة يوسف اليان سركيس بالفجالة بمصر ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م ·
يوهان فك ·
٩٨ ـ **العربيـة** ، تحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٠هـ /١٩٥١م ·

ثالثا : المجلات

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ·

رابعا : المراجع الاجنبية

1) Byrne, Donn **English Teaching Extracts,** London, Longman (1972).

2) Rivers, Wilga Marie, **Teaching Foreign Language Skills,** Chicago, The University (1970).

3) Firth, John Rupert, **The Tongues on Men and Speech,** London, Oxford Univ. press.

الكشافات

كشاف الآيات

(ا)

كشاف الأحاديث

كشاف الأشعار

الهمزة

(ب)

(ت)

(ح)

(د)

(ر)

رقم الصفحة

كشاف أنصاف الأبيات

مطابع جامعة الرياض

مطابع جامعة الرياض